قصة التاريخ المصري القديم

تأليف

محمد زكريا توفيق



0

مقدمة

هذا كتاب متواضع عن تاريخ مصر القديم. وهو تاريخ غني جدا بالأحداث والتفاصيل. يعتبر متاهة لمن يغوص فيه بدون دليل هادي. موسوعة سليم حسن مثلا، تحتاج إلى تفرغ كامل وحياة كاملة لكي نستوعب ونفهم ما بها. الكتب والمراجع العربية والأجنبية بكل اللغات، ليس لها عدد، ولا يمكن أن يستوعبها فرد واحد.

لذلك يقف شبابنا حائرا، كيف يبدأ وماذا يقرأ وسط هذه المتاهة. نحن نتحدث عن أحداث ثلاثة آلاف سنة على الأقل. فماذا يقرأ من أحداث وماذا يهمل أو يمر عليه مرور الكرام، دون خلل بالتسلسل التاريخي أو المنطقي؟

لهذا كتبت هذه الكتاب، بصورة مختصرة. بهدف فتح شهية السادة القراء لطلب المزيد. حاولت أن أبين فيها، الروح المتوثبة لهذا الشعب العظيم، وأمجاده وجزءا من إسهاماته في الحضارة الإنسانية، وما قدمه للبشرية.

راعيت الدقة والأمانة في العرض. مع الالتزام بالبساطة والوضوح. فأرجو أن أكون قد وفقت. شكرا للسادة القراء، لتشريفكم. ولا حرمنا الله من أمثالكم.

محمد زكريا توفيق

1

فترة ما قبل التاريخ

كنت أزور يوما متحف المتروبوليتان بمدينة نيويورك، فى الولايات المتحدة، الذي به قسم ضخم للآثار المصرية القديمة. أشهد أنني لم أدهش بروعة الآثار المصرية المعروضة قدر دهشتي، عندما شاهدت إحدى السيدات الأمريكيات.

وهي تنحني أمام نموذج لمركب فرعوني، حتى اقتربت رأسها من رأس طفل صغير، لا يتعدى عمره خمس سنوات، لتشرح له كيف استطاع الفنان المصري القديم، التعبير عن الصيد، وكيف صنع تمثال المراكبي وهو يميل بجسده على المجداف، لكي يستخدم وزنه وكل قوته لتحريك المركب.



متحف المتروبوليتان بمدينة نيويورك

هناك شئ ساحر بالنسبة لتاريخ مصر القديمة، يخلب لب كل الناس. القسم المصري في كل متاحف العالم، يجذب أكثر السياح. أفلام الموميات الفرعونية يطلبها المشاهدين أكثر من غيرها من الأفلام. هناك شئ غامض ومحير دائما بالنسبة لمصر القديمة.



الآثار المصرية بمتحف المتروبوليتان بنيويورك

الكنوز المدفونة تحت الأرض. اللغة الهيروغليفية التي يصعب قراءتها بالرغم من جمال حروفها. الرسوم العجيبة، والتماثيل الجميلة، والمعابد الرائعة، التي يرجع تاريخها آلاف السنين. الهدف من هذا الكتاب هو محاولة فك هذه الطلاسم، وجعل تاريخنا في متناول شبابنا والناس العاديين. فهي ليست للمتخصصين والأكاديميين، فاللهم يسر وأعن.

ما ظهر على ضفاف النهر، حدث وحيد فريد في تاريخ البشرية. لم تعش حضارة هذه المدة، ولم تعط حضارة بهذه الوفرة، ولم تبهر حضارة أخرى هذا الإبهار، مثل الحضارة المصرية القديمة.

لأن تاريخ مصر القديمة، يغطي فترة زمنية طويلة، يقسم علماء المصريات، تاريخ مصر إلى ثلاث فترات أو ثلاث ممالك:

1- المملكة القديمة
2- المملكة الوسطى
3- المملكة الحديثة

المملكة القديمة، شهدت بناء الدولة المصرية، تحت رعاية حكام عظام، الفراعنة. خلال هذه الفترة، بنيت الأهرامات، وتأسست قواعد الفن المصري القديم الذي استمر في البلاد مدة ثلاثة آلاف سنة.

المملكة الوسطى، تمثل فترة البحث عن الاستقرار، أعقبت انهيار المملكة القديمة. فترة حروب وقلاقل لاستيعاد مجد وعظمة مصر السابقة.

المملكة الحديثة، درة التاريخ الفرعوني، فترة بريق ووهج وعظمة مصر القديمة، ظهرت فيها كل النجوم الزاهرة في تاريخنا العظيم: أحمس، حتشبسوت، تحتمس الثالث، اخناتون، توت عنخ آمون، رمسيس الثاني، وآخرين. سنتعرف على كل في حينه.

سنستعرض أحداث ثلاثة آلاف عام من تاريخ مصر بأسلوب مبسط سهل الفهم. عسى أن نعرف، ما الذي جعل مصر عظيمة في الماضي. وهو أمر، فشلت مناهجنا ومدارسنا في الاجابة عليه حتى الآن.

متعة دراسة التاريخ، تقع في التفاصيل. لذلك، سوف نعرف أي نبيذ كان يشربه الملك توت عنخ آمون، وأن رمسيس الثاني العظيم، كان مصابا بالروماتيزم في آخر عشرين سنة من عمره المديد، وأنه قد أنجب 100 طفل وطفلة. سنعرف أيضا، ماذا يعني أن تكون عامل منجم تركواز، أرسل إلى سيناء في شهر بؤونة، أيام شدة القيظ والحر اللافح.

لكن، لماذا نقوم بدراسة مصر القديمة؟ لأنه هناك شئ خاص مميز بالنسبة لمصر القديمة. فمصر قد قدمت للإنسانية، أعظم حضارة عرفها التاريخ. قدمت فن العمارة، المعابد والأهرامات. وقدمت أيضا، علوم الطب والتحنيط، وعبادة الرب الواحد، وأشياء كثيرة سوف نتحدث عنها في حينها.

بالرغم من فك شفرة اللغة الهيروغليفية، إلا أن مصر القديمة، لاتزال لغزا ليس له مثيل بين حضارات العالم. بالإضافة إلى أن الفن المصري القديم، هو أجمل الفنون التي عرفتها البشرية حتى الآن.

هناك طرق عديدة لدراسة مصر القديمة. عن طريق دراسة اللغة القديمة، وهي طريقة "السير ألان جاردينر". أو عن طريق دراسة الفن المصري القديم. أو عن طريق دراسة الأحداث والوثائق والبرديات. لا في مصر وحدها، ولكن في الدول المجاورة أيضا. هذا هو الأسلوب المتبع في هذا العرض.

الفن والأدب، يحكي الكثير عن هذه الحضارة العظيمة. رسوم جدران المقابر والمعابد، تخبرنا عن طبيعة المصريين، وعقيدتهم وإيمانهم بالحياة بعد الموت. القبور كانت تحتوي، إلى جانب تابوت الميت، على أشياء متنوعة كثيرة من الحياة الدنيا.

جدران المعابد، تعطينا وثائق عن المعارك الحربية وأسماء الملوك. البرديات تعطينا نصوص الكتب الدينية. كتاب الموتى، يثبت أن المصريين، قد فكروا في العالم الآخر، والحياة بعد الموت، قبل أي شعب آخر.



الحساب بعد الموت

الأدب، وخصوصا أدب القصة، وكلمات أغاني الحب، تعطينا معلومات إضافية عن اعتقاد المصريين القدماء. هيرودوت، المؤرخ اليوناني القديم في القرن الخامس قبل الميلاد، أمدنا بملاحظاته عن مصر، بالرغم من أن هذه الملاحظات لم تكن كلها دقيقة.

لكن، ما عمر الحضارة المصرية القديمة؟ في القرن السابع عشر ، أعلن المطران "آشر"، استنادا إلى أحداث التاريخ بالإنجيل، أن بداية خلق الكرة الأرضية والعالم، كانت عام 4004ق م.

ماذا نعني بمصطلح "ما قبل التاريخ"؟ نعني، ما قبل اختراع الكتابة وتدوين الأحداث. في مصر، مثلا، اختراع الكتابة تم نحو عام 3200ق م. هذا يعني أن مصر، دخلت التاريخ قبل دولا كثيرة، منها إنجلترا على سبيل المثال.

في عام 1859م، بينت الحفريات المكتشفة في إنجلترا، أدواتا كانت مستخدمة أيام العصر الحجري، وبقايا عظام تحجرت وتكلست لحيوانات انقرضت منذ سنوات عديدة وعصور غابرة، ولم تعد موجودة الآن.

في نفس السنة، نشر "تشارز داروين" كتابا بعنوان "أصل الأنواع"، يقول فيه، أن الكائنات الحية، جاءت عن طريق التطور الطبيعي، وأن عمر الإنسان موغل في القدم. هو أقدم بكثير من العمر الذي أعلنه المطران "آشر".

بعد ذلك بقرن واحد تقريبا، اكتشف عالم الآثار "لويس ليكي"، هو وزوجته ماري، في منطقة "أولدوفاي جورج" بشرق أفريقيا، حفرية "هومونيد"، وتعني "ما يشبه الإنسان"، عمرها 1.75 مليون سنة. هذا هو عمر الحفرية، لكن عمر ال"هومونيد"، بصفة عامة، قد يمتد إلى أكثر من ذلك.

هذه السنون الموغلة في القدم، تنقسم عادة إلى ثلاثة عصور:

العصر الحجري القديم، "باليوليتيك". باليو=قديم، ليتيك=حجري.
في هذا العصر، كان الإنسان يعيش على الصيد وجني الثمار. اكتشف كيف يوقد النار، ويصنع أدوات الصيد من العظام والحجارة.

العصر الحجري الوسيط، "ميزوليتيك". ميزو=وسيط، ليتيك=حجري.

العصر الحجري الحديث، "نيوليتيك". نيو=جديد، ليتيك=حجري.
في هذا العصر، عرف الإنسان الزراعة وترويض الحيوانات.

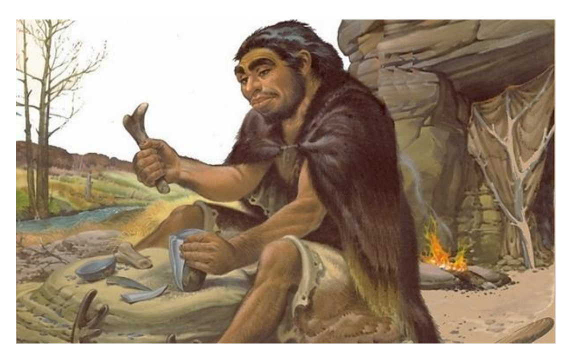
في بداية العصر الحجري القديم، كان يعيش الإنسان المعروف ب"هومو إريكتوس"، وتعني الإنسان منتصب القامة. وهي فترة تقدر ب (700ألف – 70ألف ق م).

المصريون الأوائل، كانوا يسكنون الوادي منذ 700ألف عام. أي منذ عصر ال"هومو إركتوس". ربما جاءوا عن طريق الهجرة من جنوب الوادي، وهم يتتبعون الصيد، فرادا وزرافات.


الإنسان منتصب القامة، هومو إركتوس، منذ 700 ألف سنة

المناخ في مصر، كان يناسب معيشة حيوانات مثل الزراف والغزال وفرس النهر. السكان الأوائل كانوا يستخدمون اللغة في التخاطب. يجمعون الطعام، ويستخدمون الفؤوس. ربما كانوا يستخدمون النار. الفؤوس كانت مصنوعة بحيث تلائم اليد جيدا. وظلت تستخدم لمدة 70 ألف سنة.

في الفترة التي تقع وسط العصر الحجري القديم، مابين 70 ألف و 43 ألف سنة، ظهر إنسان "نياندرتال". لم يكن إنسانا متوحشا شرسا. بل كان رقيق المشاعر، يدفن موتاه في اتجاه شروق الشمس، ويضع مع رفاتهم سبعة زهور مختلفة الشكل.



إنسان نياندرتال، منذ 70 ألف سنة

يعتني بمرضاه وكبار السن. كانت أدواته أفضل في الشكل وأدق في الوظيفة، مثل أدوات الكشط والخناجر. كثيرون منهم وجدت آثارهم في الصحراء المصرية.

الإنسان المعروف ب "هومو سابيان"، (43ألف إلى 30ألف سنة)، وتعني الإنسان العاقل، إما أن يكون قد حل محل إنسان "نياندرتال"، أو يكون قد تطور من سلالته. متوسط عمر ال"هومو سابيان"، كان لا يزيد عن 30 سنة. حكاية أن الإنسان القديم كان متوسط عمره مئات السنين، مجرد أسطورة، لم تثبت صحتها.





إنسان هوموسابيان

في أواخر العصر الحجري القديم، (30ألف-10ألف) سنة، كان النيل منخفضا. المصريون على ضفتيه، يعيشون وسط مستنقعات، تكثر فيها الناموس، وينتشر فيها مرض الملاريا.

مساكنهم كانت من اللبن، بها "كوانين" من الطمي لطهي الطعام، وأحجار مسطحة لطحن الغلال البرية، وقوارير صغيرة بها كحل للعين. لم يكن يعرفون الفلاحة بعد، أو تربية المواشي.

الآلات المستخدمة كانت مصنوعة من: حجر المرو (الكوارتز)، حجر اليوريت، حجر الصوان، حجر السبج(حجر كريم أسود اللون). اخترع المصري السهم والقوس، وهو أول اختراع لتخزين الطاقة، ثم تفريغها فجأة. مما يجعل الصيد أسهل وأكثر أمنا.

اختراع المصري للمنجل (الشرشرة)، يثبت أن النباتات أصبحت هامة بالنسبة لغذائه اليومي. إلا أن المنجل بعد اختراعه، قد اختفى من حياة المصري لعدة آلاف من السنين. مما يدل على أن محاولته الأولى للفلاحة قد فشلت. ربما لتغير المناخ، أو لأنه استعاض عنها بالصيد الوفير.

العصر الحجري الوسيط، (10ألف-5ألف) سنة، حدثت به بعض التغيرات. ظهرت أدلة مادية على ممارسة المصري القديم لبعض الطقوس الدينية، في صورة صباغ ومستحضرات تجميل.

قشر بيض النعام كان يستخم في الطهي شمال مصر، ربما كمصدر للكالسيوم. في الجنوب، كانت تنتشر صناعة الفخار. السكان كانوا يعيشون في جماعات منعزلة، لكل لغتها الخاصة.

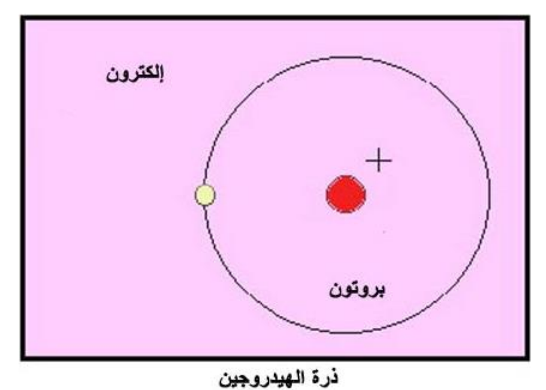
في العصر الحجري الحديث، (5ألف-3ألف) سنة، بدأت صناعة الفخار تنتشر شمال مصر. المصري بدأ يشتغل بالزراعة. الحبوب كانت تطهي، ويصنع منها الجعة. المساكن كانت تنتشر على ضفاف النهر. الحاكم الملك، ظهر في الشمال، وظهر أيضا في الجنوب في نفس الوقت.

هذه هي بداية الحضارة المصرية القديمة. عدد السكان كان لا يزيد عن ألفين نسمة. الأموات كانوا يدفنون، ومعهم تدفن ممتلكاتهم. أواني مصنوعة من الصخور، محفورة من الداخل ومزينة من الخارج برسومات فنية، كانت تستخدم في طحن مواد التجميل.

لكن، كيف نتأكد من صحة هذه المعلومات عن المصري القديم في فترة ما قبل التاريخ، حيث لا توجد كتابة أو تواريخ محفورة. كيف نحسب هذه التواريخ بدقة مقبولة؟

نعرف ذلك عن طريق الحفريات وتقدير عمرها. ولكن، كيف؟ لكي نجيب على هذا السؤال، اسمحوا لي بشئ من الفيزياء، ومعذرة للتطويل، حتى يمكننا الوثوق في تاريخ أجدادنا.

كل عنصر من العناصر الكيميائية، له عدد محدد من البروتونات، داخل تركيب الذرة، لا يتغير يسمى العدد الذري. غاز الهيدروجين له بروتون واحد، غاز الهيليوم له اثنان، الكربون له 6 بروتونات.



ذرة الهيدروجين

إذا تغير عدد البروتونات داخل النواة، تغير العنصر إلى عنصر آخر .أما عدد النيترونات داخل نواة الذرة، فقد يختلف بالنسبة للعنصر الواحد.

الكربون الشائع المعروف بالكربون12، تتكون نواته من 6 بروتونات، و 6 نيترونات. لكن هناك أيضا الكربون13، الذي تتكون نواته من 6 بروتونات و7 نيترونات. يوجد أيضا، الكربون14، الذي تتكون من 6 بروتونات و8 نيترونات.

هذه الأنواع المختلفة من الكربون، مثل الأنواع المختلفة من البرتقال، تسمى نظائر. النظائر ما هي إلا أنواع مختلفة من نفس العنصر. تختلف فقط فى عدد النيترونات داخل النواة .هذه النظائر، هي التي تستخدم فى قياس الزمن الجيولوجي، وتقدير عمر الحفريات.

البروتونات والنيترونات داخل نواة الذرة، تتكوم فيما يشبه أكوام البرتقال عند بائع الفاكهة. بعض الأكوام تكون مستقرة، وأكوام أخرى سرعان ما تنهار عند أي اهتزاز.

أكوام البرتقال تتماسك بسبب الجاذبية. لكن البروتونات والنيترونات تتماسك بواسطة قوى أخرى. هي قوة الجاذبية، وقوة لا تعمل إلا داخل أنوية الذرات تسمى بالقوة الشديدة .(Strong Force)

عندما ينهار أو يتحلل نظير من النظائر، فإنه يطلق دفعات من الطاقة ومعها جسيم أو أكثر من جسيمات الذرة. هذا يؤدي فى النهاية إلى تحول العنصر إلى عنصر آخر، أو النظير إلى نظير آخر.

إنك لا تستطيع التنبؤ بالوقت الذي تبدأ فيه ذرة ما بالتحلل. لكن كل مجموعة كبيرة من الذرات المشعة، تتبع قوانين إحصائية معينة. هي قوانين الاحتمالات والأعداد الكبيرة، التى تنطبق أيضا على المجموعات السكانية.

هذه القوانين تبين لنا نسبة الوفيات ونسبة المواليد فى كل مجتمع، أو نسبة حوادث السيارات مثلا بدقة متناهية. لكنها لا تعمل بالنسبة للفرد. فلا تستطيع معرفة متى سيموت شخص ما، أو متى سيتعرض لحادثة سيارة على وجه التحديد.

لنفرض أن هناك حصاة بها مليون نظير من النظائر المشعة. وأن هذا النوع من النظائر له قدرة احتمالية على التحلل تقدر ب 50% في السنة. بعد السنة الأولى، نصف مليون نظير سوف يبقى فى الحصاة. بعد السنة الثانية يصل ما تبقى من النظائر إلى ربع مليون نظير في الحصاة.

سنة بعد أخرى، نصف ما يتبقى من النظائر يختفي فى السنة التالية. بعد عشرين سنة، يختفي آخر نظير وتصبح الحصاة خالية من النظائر. يسمي علماء الفيزياء الوقت الازم لكل نظير لكي يفقد نصف عدده، بنصف الحياة.

اليورانيوم238، على سبيل المثال، نصف حياته تقدر ب4.47 مليون سنة. عناصر أخرى لها نصف حياة تقدر بعشرات البلايين من السنين، بينما توجد عناصر تقدر نصف حياتها بالدقائق أو الثوان.

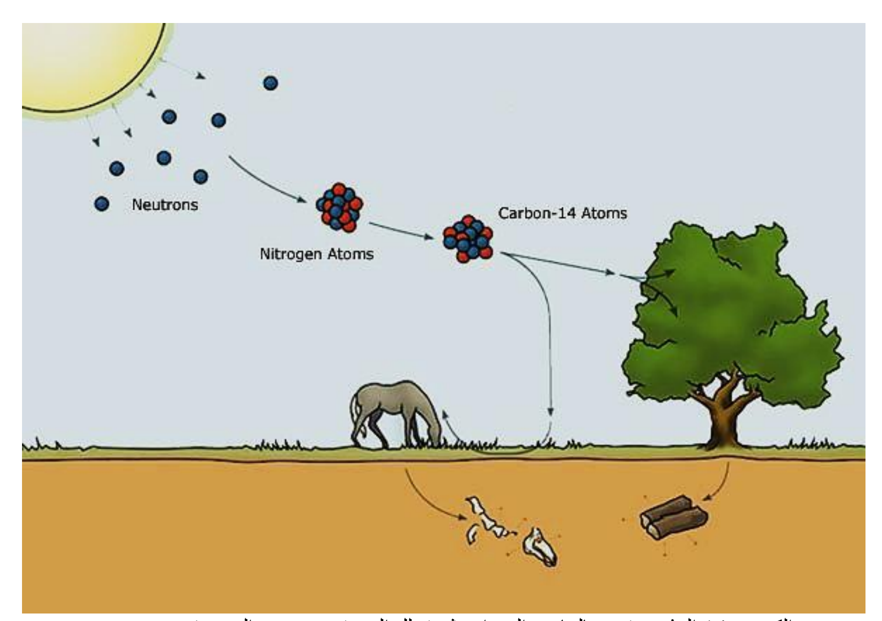
لحسن الحظ، وجد الجيولوجيون عشرات المواد المشعة الأخرى، التي تتطلب مدد أقصر من المدة التى يتطلبها اليورانيوم. لكي نحدد بدقة تاريخ البشرية، وجد العلماء نظير مشع آخر، نصف عمره يقدر ب 5730 سنة. هو الكربون14 الذي يستطيع أن يدلنا على الزمن حتى 40 ألف سنة.

يتكون الكربون14 المشع، عندما تصطدم جسيمات الذرة المتساقطة علينا من الفراغ الخارجي، بذرات النيتروجين فى الغلاف الجوي للكرة الأرضية. هذا الكربون14 المشع، يتحول بمرور الوقت إلى نيتروجين، ويطلق أثناء التحول بعض الجسيمات.

الكائنات الحية، سواء نبات أو حيوان، تتنفس الهواء من الغلاف الجوي المحمل بالكربون14 المشع. هذا الكربون14 يجد طريقه إلى الخلايا الحية فى جسم الكائن الحي، جسمي وجسمك، وكل الأحياء التي تتنفس، وأجسام الكائنات الآخرى التى نتغذى عليها.

ما أن يموت هذا الكائن، فإن كمية الكربون14 المشع داخل جسمه لا تتجدد بالتنفس أو بالغذاء. بذلك، تأخذ هذه الكمية المحدودة في التحلل بمرور الوقت إلى نيتروجين.

بقياس الكربون المشع داخل خلايا الكائنات الميتة، يمكن معرفة الوقت الذي كانت تحيا فيه. هذه هي الطريقة التي قسنا بها عمر ممياء فرعون مصر العظيم رمسيس الثاني. وهي نفس الطريقة التي نحدد بها عمر النباتات والحيوانات والبذور والعظام التي كانت موجودة في مصر في فترة ما قبل التاريخ.



الكربون 14 المشع يمتص بالنبات والحيوان، ثم يتحلل إلى نيتروجين بعد الموت في زمن معين

2

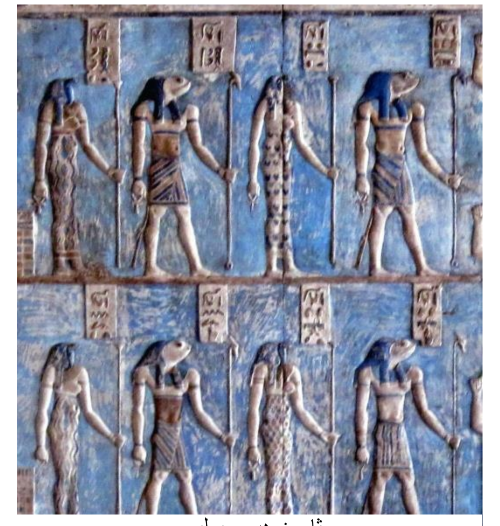
الفكر

الأساطير والأديان والفلسفة، تحاول الإجابة على أسئلة، عجز العلم عن الإجابة عليها. من هذه الأسئلة، هل هناك حياة بعد الموت؟ كيف بدأ الخلق؟ هل هناك إله؟ إلخ.

تقول الأساطير المصرية القديمة، أن البداية كانت الفوضى. البداية، عبارة عما يعرف بثامون هيرموبوليس. الذي يتكون من أربعة أزواج من الذكور والإناث، تعيش في المياه، هي:

- نون \ نونة (الماء)
- آمون \ آمونة (الهواء أو الخفاء)
- كوك \ كوكة (الظلام)
- حوح \ حوحة (الغير محدد)

من الفوضى، كانت تمثل الذكور بضفادع ، والإناث بحيات. هيرموبوليس قرية بالقرب من قرية الأشمونيين بمحافظة المنيا حاليا.



ثامون هيرموبوليس

ثم خلق ثامون هيرموبوليس التلّ(أحتورت)، الذي ارتفع فوق سطح الماء. على هذا التل، ظهر الإله آتوم، الذي آتوم نفسه، ثم خلق باقي الآلهة.

هي تشبه قصة الخلق التوراتية التي تقول:

"أنت شققت البحر بقوتك، كسرت رؤوس التنانين على المياه، أنت رضضت رؤوس لوثيان." (المزامير).

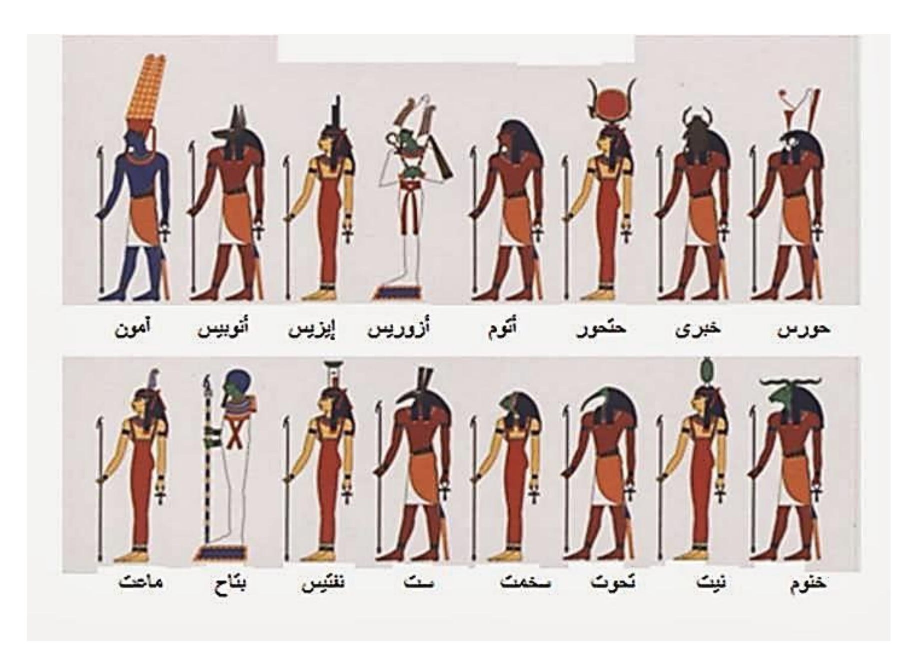
"في ذلك الوقت ستقتل لوثيان، الحية الهاربة، لوثيان الحية الملتوية، ويقتل التنين الذي في البحر." (أشعيا).

"وكانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه الغمر ظلمة، وروح إله يرف على المياة التي تحت الجلد والتي فوق الجلد، وكان كذلك، ودعا الله الجلد سماء." (التكوين)



لوثيان

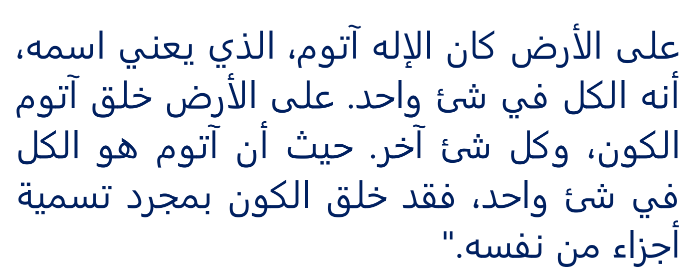
من آتوم جاء: شو(الهواء)، تيفنوت(الرطوبة). شو، و"تيفنوت" أنجبا جب(الأرض)، ونوت(السماء). جب، ونوت أنجبا زوجين. إيزيس وأوزوريس، ست ونيفتيس. ست كان إلها شريرا، الثلاثة الآخرين كانوا طيبين.



آلهة مصرية قديمة

بردية منف، تبين لنا عقلية المفكر المصري في المملكة القديمة، وهي تشرح من الناحية الدينية كيف بدأ الخلق. أهمية هذه البردية أن أحد فصولها يوضح ميكانيكية خلق الكون كما كان يعتقد المصري القديم.

"قبل الخلق كانت هناك مياة محاطة بالعدم والظلام. وكما أن فيضان نهر النيل يرسب تلال الطمي لتظهر عليها الحياه في مصر، فإن المياه سمحت بظهور الأرض ومن حولها العدم والظلام.



على الأرض كان الإله آتوم، الذي يعني اسمه، أنه الكل في شئ واحد. على الأرض خلق آتوم الكون، وكل شئ آخر. حيث أن آتوم هو الكل في شئ واحد، فقد خلق الكون بمجرد تسمية أجزاء من نفسه."



على الأرض خلق آتوم كل شئ

فكر في القلب وتعبير باللسان أو الكلمات، هي الطريقة التي خلق بها آتوم الكون. طريقة كن فيكون. هذا يطابق ما جاء في التوراة "في البدء كانت الكلمة والكلمة كانت مع الرب، والكلمة هي الرب".

أهمية بردية ممفيس أنها تدل على أن المصري القديم كان يبحث عن نفسه وعن الكون وخالقه قبل النبي موسى بألفي عام. إنها تدل على أنه كانت هناك قضايا فلسفية شغلت بال المصري القديم في عهد الأسرات الأولى، لم نجد لها شبيه بين الأسرات المتوسطة والحديثة.



من اليمين: إيزيس وأوزوريس وابنهما حورس

تتركز عقيدة المصريين في الحياه بعد الموت حول الإلهة إيزيس والإله أوزوريس. هبطت إيزيس وأوزوريس على الأرض لكي يجعلا المصريين شعبا متحضرا. بينما كان أوزوريس يقوم بتعليم المصريين كيف يرتقون بأنفسهم، كانت إيزيس تراقب أخيها الشرير ست.

لكن ست نجح في خداع أوزوريس، وأغراه بالنوم في التابوت المرصع بالجواهر. بحجة أنه يمكن أن يفوز به لو تصادف أن كان في حجم جسده. عندما حاول أوزوريس تجربة التابوت، أسرع ست بغلق التابوت وتثبيت غطاءه العلوي بالمسامير. ألقاه بعد ذلك في النيل لكي يجرفه التيار إلى البحر المتوسط.

بعد موت أوزوريس، ذهبت إيزيس إلى "بيبلوس" على الساحل الشرقي للمتوسط، لكي تعيد جسد زوجها الحبيب إلى مصر. لكن "ست" يكتشف عودة الجسد، فيقوم بتمزيقه 13 قطعة، ونثرها في طول البلاد وعرضها.

هنا تقوم إيزيس، بمساعدة أختها نفتيس، بجمع أجزاء أوزوريس الممزقة، من كل أنحاء البلاد، ولصقها ولحمها والنفخ فيها بأنفاس الحياه. فيبعث زوجها من جديد، ويكون أول المبعوثين. بذلك أصبح أوزوريس إله العالم الآخر، عالم الحياه بعد الموت.

قصة أوزوريس، تبين لنا أهمية دفن الجسد في التربية المصرية، وأهمية وجود الجسد كاملا غير منقوص، كشرط للبعث والحياه بعد الموت. هذه هي فكرة التحنيط عند قدماء المصريين.

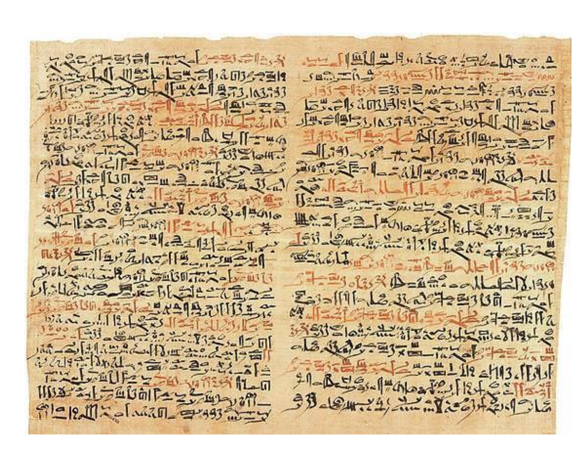
لذلك، نجد أن اليهود، تهتم اهتماما فائقا، برفات الميت ودفنه بطريقة صحيحة. وهي عادة، لا شك أنها جاءت من جذور ضاربة في أعماق الحضارة المصرية القديمة.

كما أن العامة، لازالت تعتقد، بأن الميت إذا لم يدفن بطريقة سليمة، تظل روحه هائمة في المكان الذي مات فيه. وباللغة الدارجة، "تطلع عفريتته".

أنجبت إيزيس من أوزوريس، "حورس". ثم قام حورس، عندما بلغ سن الشباب، بمنازلة عمه الشرير "ست". فهزمه بعد معركة حامية الوطيس. أثناء هذه المعركة، كان يتخفى "ست" في صورة خنزير بري. ربما يكون هذا سبب تحريم أكل لحم الخنزير، الذي انتقل إلى اليهود، ثم إلى المسلمين.

فقد حورس أثناء هذه المعركة، إحدى عينيه، لكنه استردها بمعجزة إلهية. هزيمة "ست" حقيقة واقعة، لكنه لم يمت ويختفي الشر من حياتنا. الشر باق معنا، سوف يلازمنا طول الوقت.

مثال هام يوضح لنا الأسلوب العلمي الذي كان لدى علماء مصر القديمة. هو ما جاء في بردية "إدمون سميث" الطبية، التي لا يضاهيها شئ في العالم القديم. هذه البردية، وإن كانت كتبت في القرن السابع عشر قبل



بردية إدمون سميث الطبية

الميلاد، إلا أنه يرجع أصلها إلى عهد المملكة القديمة.

أحد فصول هذه البردية الطبية يوضح وظيفة القلب وأهميته وعلاقته ببقية أعضاء الجسم. البردية تبين لنا أيضا، أهمية قياس نبض المريض عند فحصه طبيا لتشخيص مرضه.

تركز البردية بصفة خاصة على أمراض العظام والكسور. تصف كل أنواع أمراض العظام وطريقة علاجها، إن كان لها علاج. هي مذيلة بشروح للرموز والاصطلاحات المستخدمة في البردية.

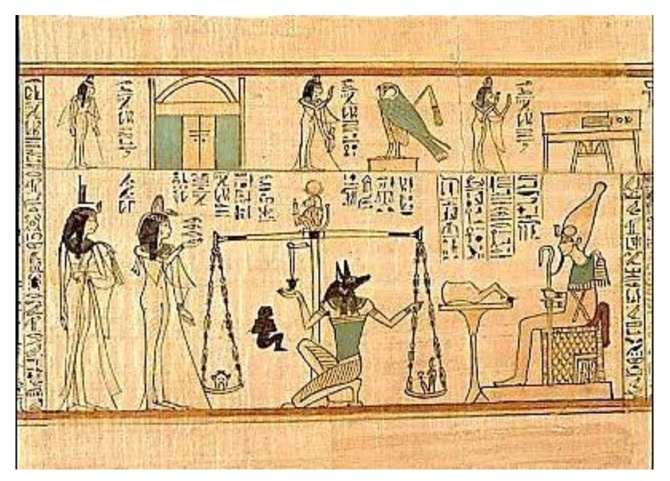
الغريب أن البردية، تكاد تخلو من السحر والشعوذة. العلاج بها عبارة عن جلسات طبية، وراحة وتنظيم في الغذاء، واستخدام للعقاقير والأعشاب كدواء.

تنصح البردية الطبيب، عندما يواجه حالة مستعصية، ولا يعرف علاجها، أن يتابع الحالة عن كثب، ويسجل مراحل تطورها. هذه نقطة في غاية الأهمية، تدل على العقلية العلمية في المملكة القديمة.

البردية لم تلجأ إلى طرق السحر وعمل الأحجبة، حتى في الحالات المستعصية، التي ليس لها علاج. إنما نصحت بمتابعة الحالة وتسجيل مراحل تطورها، حتى يستفاد منها فيما بعد.

هذا شئ نادر في هذا الزمن السحيق. فمثلا في حالة الشلل النصفي، تصف البردية أن الحالة عضوية محضة، ليست بسبب شئ خارجي أصاب المريض. أى أنها تقول أن الشلل النصفي، مرض عضوي وليس بسبب مفعول السحر أو الحسد أو غضب الآلهة.

كان المصري القديم، يعتقد أنه يموت ويأخذ معه حسناته وسيئاته. ثم يقف أمام الآلهة، لكي توزن حسناته مقابل سيئاته. إنقاذ روحه من الفناء، يتوقف على عملية إقرار الحق والعدل، "معات".


وزن الحسنات مقابل السيئات

أى أنه، لا يكفي أن يأتي الفرد بحسنات كثيرة وخطايا قليلة، لكن يجب أن تكون عملية وزن الحسنات ضد السيئات نفسها، عملية صحيحة سليمة، لا خطأ ولا غش ولا تزوير فيها.

عملية إقرار الحق والعدل. إذا كانت ضرورية لإنقاذ روح الإنسان المصري في الآخرة، هي ضرورية ولازمة في الحياه الدنيا أيضا. لأن الحق والعدل هما شئ واحد، وجزء لا يتجزأ. شئ مطلق في المكان والزمان.

لذلك نجد الملك خيتي الأول ينصح ابنه "مري-كا-رع" ويحثه على إقامة الحق والعدل على سطح الأرض. وأن تتصف بأعماله بالإنسانية والرحمة حيال رعاياه البسطاء، لأن الإله الخالق يراقب كيف يسير النظام في العالم الذي فطره، ويجزي البشر على قدر أعمالهم، حتى أعمال الفرعون نفسه.

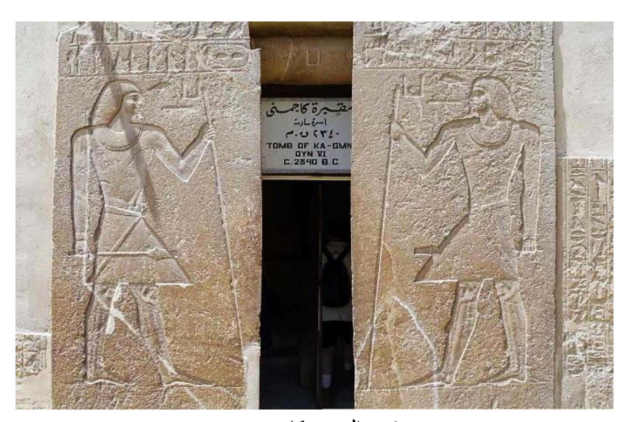
تستمر نصائح الأب الحكيم إلى ولده، وهي شبيهة بنصائح لقمان لولده:
"لا تكن شريرا، واصبر فالصبر جميل. اعط حبك لنفسك إلي العالم كله. لأن الأخلاق الحميدة والسمعة الطيبة تظل خالدة".

لا ننسى أن هذه تعليمات ملك يعد ابنه لتولي الحكم من بعده. هذه ليست تعليمات، تبين له كيف يستعبد شعبه، أو كيف يزور الانتخابات، حتى يظل كابسا على أنفاس العباد.

أو كيف يبقي السلطة في يده بكل طرق ميكافيللي المشروعة والغير مشروعة.
لكنها تعليمات روحية في الأخلاق والسلوك. الشئ الذي يدهشنا حقا قوله:
"إن الآلهة تفضل الفعل الجميل على تقديم القرابين."

وما رأيك في تعاليم الأب إلى ولده، الوزير "كا-جمني"، التي تنصحه إذا دعي إلى وليمة، بأن لا يأكل من الطعام الذي يحبه، حتى لا يأكل كثيرا ويظهر بمظهر غير لائق. هذا شئ راقي في آداب السلوك، لم نقرأ أو نسمع مثله في أي عصر من العصور.

يقول الحكيم "أبوير" في برديته:"الحاكم الصالح، هو من يرعى رعيته. حتى إن كانت الرعية قليلة العدد. عليه أن يقضي يومه في رعاية شئونها. الحاكم أو المسؤول، حسب تعريف أبوير، هو الراعي الذي يرعى رعيته بعناية واهتمام. الحكم هنا مسئولية والتزام، والراعي ملزم بها.



مقبرة الوزير كا-جمني

لننظر إلى قصة من هذه الفترة، وإن جاءت متأخرة، تبين كيف أن فكرة الحق والعدل ليست علاقة مقصورة بين العبد وربه فقط، إنما هي علاقة سائدة بين الأفراد أيضا. وهي قصة "الفلاح الفصيح" كما يسميه برستيد.

القصة تتلخص في أنه كان هناك فلاح بسيط وقع تحت ظلم أحد الأثرياء ذوي النفوذ. فقد استولى الثري على حمير الفلاح المحملة بالأسمدة، بحجة أن الحمير سارت في أرضه وأتلفت زرعه.

ذهب الفلاح لشكاية الثري لدى رئيسه، رئيس الديوان الملكي. ولأن الفلاح، أثبت إصرارا وفصاحة في التعبير عن شكواه، لم يجبه الرئيس إلى طلبه فورا، إنما جعله يستمر في عرض شكواه، وتقديم


الفلاح الفصيح

شكايات أخرى، حتى وصل عددها تسعة.

عندما طُلب منه السكوت، بحجة أنه يقف أمام معبد إله الصمت أوزوريس، ارتفعت جهيرته بالدعاء: "يا إله الصمت، رجع لى مالي". ماذا يريد الفلاح سوى استرداد بضاعته؟

لقد طلب الفلاح إقرار الحق والعدل، من الرجل المنوط بإقرار الحق والعدل. الحق والعدل ليسا مجرد إقرار نظام أو تطبيق قوانين، إنما هما بحث إيجابي وفعلي عن الصالح والجيد.

عندما لم يجد الفلاح إنصافا من رئيس الديوان الملكي، بدأ في مهاجمته بنفسه، وبدأ يشرح له مفهوم الحق والعدل، وما يجب أن يفعله لإقرار الحق والعدل بين الناس.

تنتهي القصة العظيمة، بأن يصل الأمر إلى فرعون مصر، فيأمر بإعادة بضاعة الفلاح له، ومكافأته على شجاعته وفصاحته في عرض شكواه، وعقاب الرجل الذي ظلمه. القصة تدل على أنه حتى الفلاح البسيط، يمكنه أن ينهض، ليطالب بحقه في مجتمع كان يسمح له بذلك.

هذه هي مصر القديمة. مساواة في الحقوق والواجبات. هذه هي النظرة الإنسانية للعدالة الاجتماعية، التي أوجدها المصري القديم قبل الإسلام والمسيحية واليهودية بما يزيد على ألفي عام.

لنتأمل نظرة المصري القديم إلى الإنسان بصفة عامة، في قصة أخرى هي قصة خوفو والسحرة.

"ومثل ديدي الساحر، بحضرة الملك خوفو. فقال جلالته: ياديدي كيف لم أرك من قبل؟ أجاب ديدي: إنا نتوجه إلى من يدعونا، وقد دعاني الملك فلبيت.

فقال جلالته: أصحيح ما يقولون من أنك قدير على أن تلصق رأسا فصل من الجسد؟ أجاب ديدي: نعم يا مولاي، في مقدوري ذلك. فقال الملك: على بسجين ننفذ فيه التجربة.



تمثال الملك خوفو

فاستدرك ديدي قائلا: حاشا لله يا مولاي، أنا لا أجرب سحري في الإنسان. أليس الأخلق بنا أن نجرب مثل هذا العمل في الحيوان؟ فأحضروا له أوزة ليجري عليها سحره.

3

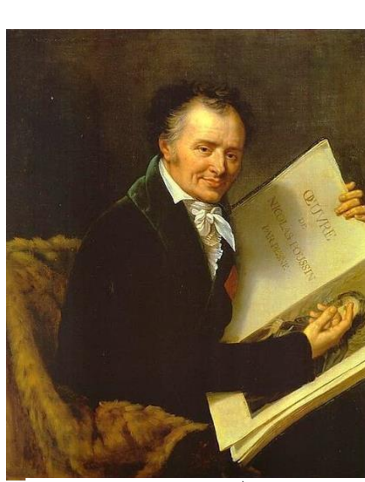
بداية التاريخ


نابليون بونابرت

كان لدى "نابليون بونابرت" عدة أسباب لغزو مصر. لم يرد نابليون غزو إنجلترا، تلبية لرغبة الحكومة الفرنسية في ذلك الوقت. بدلا من ذلك، قام بغزو مصر، على أمل قطع الطريق بينها وبين مستعمراتها في الهند.

ماذا كان معروفا عن مصر القديمة، وقت الحملة الفرنسية؟ اللغة الهيروغليفية، كانت لغة ميتة، والتاريخ المصري القديم، كان مجهولا. ولم تكن هناك دراسات منهجية، أو دلائل مادية في صورة حفريات أو وثائق. مجرد جهود إرساليات وتقارير مغامرين ومحبي الاستطلاع.

"ريشارد بوكوك"، و"فريدريك نوردين"، القبطانان البحريان، قاما بزيارة مصر، لكنهما لم يكونا مدربين على الملاحظة العلمية الدقيقة. لكن نابليون، كان معه في حملته، وهذا شئ غريب، 150 عالما وفنانا، هم من خيرة ما أنجبت فرنسا في ذلك الوقت.


الفنان دينون

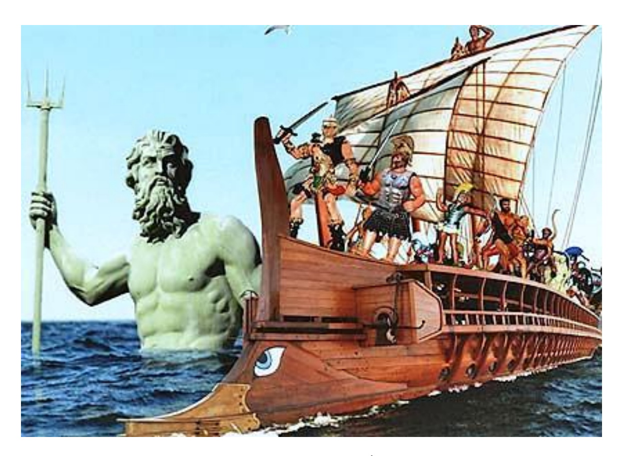
منهم الفنان "دومينيكي فيفانت دينون"، الذي أصبح فيما بعد، المدير الأول لمتحف اللوفر. "كلود لويس بيرثوليت"، كيميائي الحملة. "جيوفروي سان هيلاريو"، عالم الحيوان الشاب النابغة.

وأيضا "نيكولاس كونتيه"، المهندس الذي يستطيع تصنيع أي شئ، ومخترع القلم الرصاص وألوان الشمع الباستيل. وغيرهم من النوابغ والعباقرة.



المهندس كومنتيه

أسطول نابليون وعلماؤه، يذكرنا بسفينة الأرجونوت، بقيادة البطل جاسون، الذي كان يبحث عن الفروة الذهبية. فهو أيضا، كان يأخذ معه الأبطال المغاوير، كل في تخصصه. من الصدف الغريبة، أن هذه القصة كتبها "أبولونيوس" في مصر أيضا، في مدينة الإسكندرية، أيام مجدها العلمي أثناء حكم البطالمة.

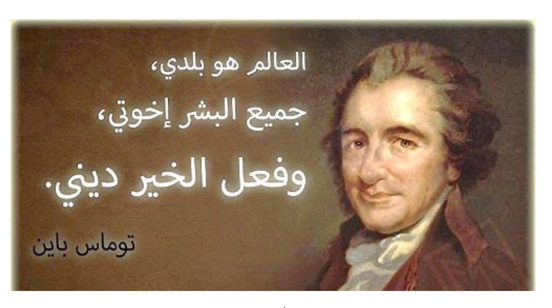


جاسون وسفينة الأرجونوت، مع إله البحار بوسيدون

بالرغم من هذا الحشد الكبير من العلماء، كان على نابليون محاربة المماليك، الذين ينهبون ثروات مصر، ويحكمونها بالحديد والنار. بعد انتصار نابليون على المماليك، وعد المصريين بالتحرير والحكم الذاتي، وحكم أنفسهم بأنفسهم.


معركة امبابة التي انتصر فيها نابليون على المماليك

اجتمع نابليون بمشايخ القاهرة، ليجد كل منهم على المائدة، نسخة مطبوعة من المصحف، بجوارها نسخة مطبوعة مترجمة من كتاب "حقوق الإنسان" ل"توماس بين".



توماس بين

في موقعة الأهرامات، تقابل الشرق مع الغرب لأول مرة في العصر الحديث. هجم المماليك على الجنود الفرنسيين، الذين كانوا يتشكلون في شكل مربعات. بعد معركة حاسمة، فاز الفرنسيون على جيش المماليك بسهولة بالغة.


موقعة الإهرامات، انتصر فيها نابليون على المماليك بسهولة

موقعة أبوقير البحرية، كانت أول نكسة لجيش نابليون. كان أسطول نابليون مرابطا في الميناء، فجاء القبطان الإنجليزي نيلسون، ونفذ بأسطوله من ثغرة بين السفن الفرنسية، ثم قام نيلسون، بجرأة، بمحاصرة الفرنسيين من الخلف. نفس قصة الثغرة في حرب 73.

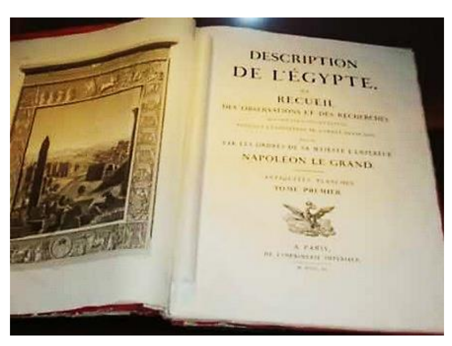

السفينة الشرق تشتعل فيها النيران في موقعة أبوقير البحرية التي هزم فيها أسطول نابليون أمام نيلسون القبطان الإنجليزي

السفينة الفرنسية، "الشرق"، أكبر سفينة في العالم في ذلك الوقت، اشتعلت فيها النيران وانفجرت فجأة. صوت الانفجار، كان يسمع من على بعد 20 ميل.

الكثير من الأجهزة العلمية والمعامل، دمرت بالكامل مع غرق السفينة، هذا الحادث في حد ذاته، يعتبر نكسة كبيرة للحملة الفرنسية. تسبب في عزل جيش نابليون، وقطع خطوط الامدادات والتموين عن البلد الأم فرنسا.

الطاعون بدأ ينتشر بين الجيش الفرنسي، أثناء حصار عكا على ساحل المتوسط. نابليون نفسه، فاجأ الجميع، بتخليه عن جنوده، وعودته سرا إلى فرنسا، لكي يعلن نفسه القائد المنتصر، قاهر مصر والمصريين.

لكن، لسخرية الأقدار، ومكر التاريخ، كما يقول الفيلسوف هيجل، هذه الحملة، تسببت في مولد علم المصريات الحديث. علماء الحملة، نشروا موسوعة "وصف مصر". عشرة مجلدات ضخمة رائعة، مليئة



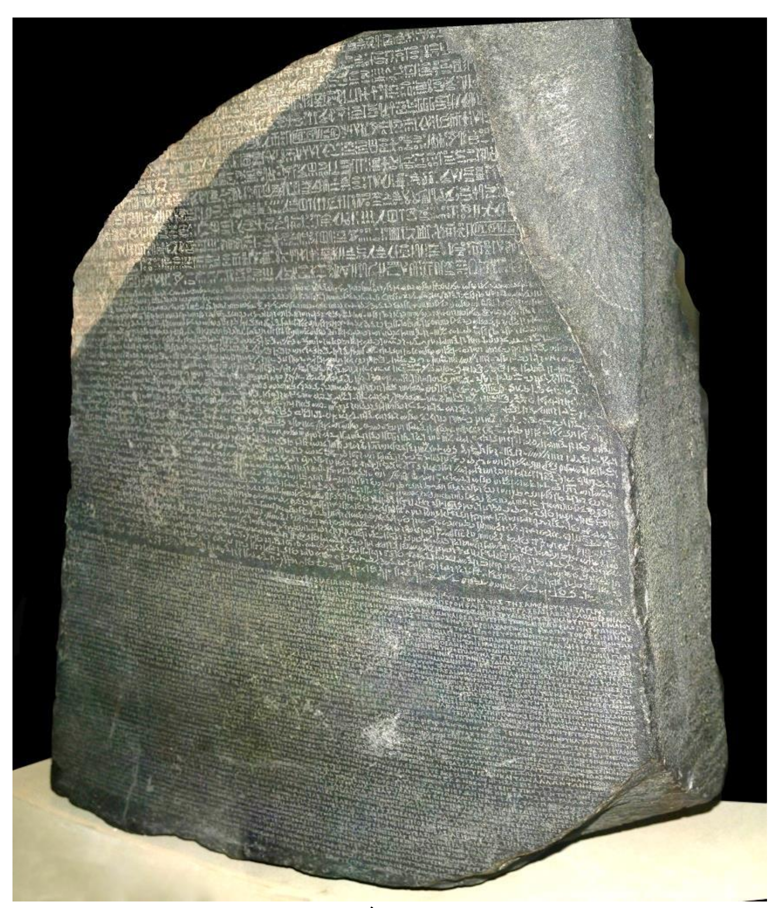
وصف مصر، 10 مجلدات

بالرسومات والتوضيحات والخرائط الغنية بالتفاصيل عن مصر والمصريين.

سرعان ما سبب نشر الموسوعة المصرية، هوسا للأوروبيين، فأصبحت الملابس والأثاث والديكور المصري، هو موضة العصر في أوروبا في ذلك الوقت.

أمر نابليون رجاله، بنسخ الحروف الهيروغليفية، كما هي بالضبط. وقد ثبت أن هذا العمل، هو أعظم وأجل نتائج الحملة وأخلدها. ثم قامت فرنسا بتوقيع معاهدة مع إنجلترا، بمقتضاها، يسمح لفرنسا بامتلاك كل مكتشفاتها في مصر، فيما عدا الآثار الفرعونية.

أهم الآثار الفرعونية على الإطلاق، هو حجر رشيد. مفتاح حل شفرة اللغة الهيروغليفية. بسبب هذه المعاهدة، نجد حجر رشيد الآن، في المتحف البريطاني، وليس كما هو المتوقع، في متحف اللوفر بباريس.



حجر رشيد

اللغة المصرية القديمة، لغة ميته. لأن المصريين، قد مرت عليهم عهود احتلال طويلة. ظلت اللغة المصرية ميته لمدة 1000 سنة. كان الاعتقاد، هو أن اللغة المصرية، لغة "إيديوغرافية"، بمعني أنها لغة صور ورموز مباشرة بدائية.

لكن ثبت خطأ هذا الاعتقاد. "هورابوللو"، الكاهن السكندري، ذكر منذ زمن بعيد، أن الرموز الهيروغليفية، تمثل شيئا يختلف عن الشكل المرسوم، وكان محقا في ذلك القول.

حجر رشيد، هو مفتاح حل لغز اللغة الهيروغليفية. أحد جنود الحملة، وجد الحجر تحت أنقاض قلعة في مدينة رشيد بالوجه البحري. شكل الحجر يشبه شاهد القبر، أو حجر الستيللا، التي كانت توضع في مداخل المعابد.

منقوش على الحجر، ثلاثة أنواع من الكتابات. اثنان يمثلان اللغة المصرية القديمة، هما "الهيروغليفية، والديموطيقية"، والكتابة الثالثة، تمثل اللغة اليونانية القديمة.

الهيروغليفية، هي الكتابة الدينية المقدسة للمصريين القدماء. الكتابة الديموطيقية، أسهل وأكثر دقة من الهيروغليفية. وهي الكتابة التي يستخدمها عامة الشعب. الكتابة اليونانية، هي كتابة لغة حكام مصر البطالمة، في الوقت الذي نقش فيه حجر رشيد، في عهد بطليموس الخامس عام 196 ق م.

تبينت أهمية حجر رشيد البالغة، منذ اللحظة الأولى لاكتشافه. آخر سطر على الحجر، ترجمته كالآتي: "كتب بالحروف المقدسة، والمحلية، واليونانية".

الكتابة الهيراطيقية، التي هي عبارة عن اختزال للكتابة الهيروغلفية. لم تكن على الحجر. الكتابة القبطية، التي هي كتابة اللغة المصرية القديمة بحروف يونانية، لم تكن موجودة على الحجر أيضا. لكنهما كانتا أداتين لفك طلاسم اللغلة الهيروغليفية.

في عام 1801م، استولت بريطانيا على حجر رشيد، بعد هزيمة فرنسا في موقعة أبوقير البحرية. قامت بنقله إلى إنجلترا، لكي يعرض في المتحف البريطاني. منذ عام 1802م، حجر رشيد هو الأثر الأكثر مزارا بين كل الآثار المعروضة هناك.


توماس ينج

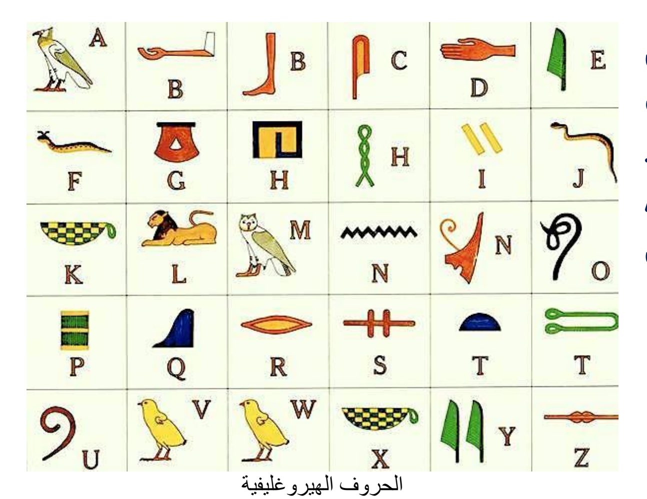
بخلاف ما يعتقد، حجر رشيد، حجر جرانيتي رمادي اللون، وليس حجر بازلتي. قام بالإشتراك في فك طلاسم الحجر، مجموعة عقول نابهة. "توماس ينج"، الطبيب الإنجليزي، اقترح أن يكون رمز الملك "بطليموس" علي الحجر ، هو رمز صوتي. الحروف الأبجدية، هي حروف صوتية أيضا.


شامبليون

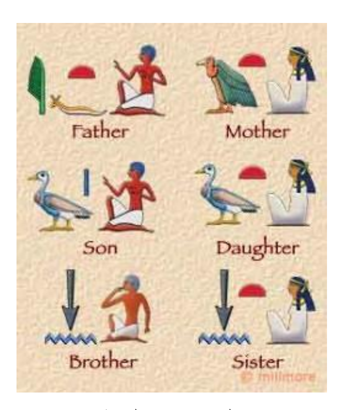
الفرنسي، "جين فرانسوا شامبليون"، الذي كان يجيد اللغة القبطية والكثير من اللغات الشرقية القديمة، نجح بعد 20 سنة، في فك طلاسم اللغة الهيروغليفية عام 1822م. بذلك، أصبحت لغة وتاريخ أجدادنا القدماء معروفة لأحفادهم والعالم أجمع.

اللغة المصرية القديمة، تعمل على عدة مستويات.
لذلك، هناك عدة كتابات هيروغليفية. الكتابة الهيروغليفية، يمكن أن تكون صوتية، مثل الحروف الصوتية التي نستخدمها في اللغة العربية مثلا.

في اللغة المصرية القديمة، هناك شكل يشبه المستطيل يمثل صوت الحرف الإنجليزي (p)، وشكل اليد يمثل الحرف (d). وكما هو الحال بالنسبة لكل اللغات القديمة، لا توجد بها حروف متحركة. اللغة العربية، في بدايتها، لم يكن بها حروف متحركة.



الحروف الهيروغليفية



كلمات هيروغلوفية

معنى الكلمة الهيروغليفية، يتحدد بإضافة شكل في نهايتها. هذه الإضافة، ليست صوتية، وإنما عبارة عن كتابة بالصور والأشكال. هذه النهايات الغير صوتية، عبارة عن اختزال للكتابة الهيروغليفية.

الهيروغليفية، يمكن أن تكتب من اليسار إلى اليمين، أو من اليمين إلى اليسار، أو من أعلى إلى أسفل. لذلك تعتبر لغة مرنة جدا، يمكن أن تكتب بها اسمك بكل سهولة. لكن، ماذا وجدنا، بعد أن فككنا طلاسم اللغة الهيروغليفية؟

مصر كانت في الأصل، دولتين، لا دولة واحدة. مصر العليا (الصعيد)، ومصر السفلى (الدلتا). في عام 3200ق م، كانت مصر تحكم بعدة ملوك في آن واحد.


التاج الملكي في مصر القديمة

التاج، كان رمزا للسلطة الملكية. في الصعيد، كان التاج أبيض اللون في شكل مخروطي. في الدلتا، كان التاج أحمر اللون، مثل الطربوش القصير، لكن له حافة في الخلف، من أسفلها يخرج شبه قوس، ينتهي بشكل حلزوني.

لم يجد الأثريون أيا من هذين التاجين في الحفريات حتى الآن. يبدو أن هذه التيجان، كان يعتقد أن لها مفعول السحر. هي من الأشياء التي لا يستطيع الملك، أن يأخذها معه إلى العالم الآخر.

أصبحت مصر دولة واحدة، منذ عام 3150ق م، عندما قام الملك نعارمر (مينا) الصعيدي، بقهر كل ملوك الدلتا، بعد أن قهر ملوك الصعيد من قبل.

لوح نعارمر، المكتشف عام 1897م في أسوان، والموجود حاليا بالمتحف المصري بميدان التحرير، يرجع تاريخه إلى 3150ق م. يمثل أول وثيقة تاريخية عرفها الإنسان حتى الآن.



لوح نعارمر

النقوش على اللوح، تمثل احتفالية نصر. اللوح نفسه من حجر الشيست الأخضر. ربما كان يستخدم في طحن مستحضرات التجميل، التي تستخدم عند تقديم القرابين إلى الآلهة.

يبين لوح نعارمر، بداية الكتابة الهيروغليفية. يظهر الملك كرمز لمصر العظيمة. حجم صورة الملك، تتناسب مع مركزه الاجتماعي، فهي أكبر بكثير من الرعية والأعداء.

اللوح يحكي لنا قصة كاملة. نعارمر، يلبس التاج الأبيض، ويقبض بيده على صولجان الحكم. على وشك سحق أعدائه، الذين يمسك بشعورهم وهم جاثون على ركبهم. العدو في الصورة، ربما يكون أحد ملوك الدلتا، لأنه يلبس باروكة أهل الدلتا. خلف الملك، حامل صندل الملك، يحمل أيضا وعاء ماء ربما لغسل قدمي الملك.

العدو، توجد في أنفه حلقة مثل الثيران. الحلقة مربوطة بحبل يمسك طرفه الصقر حورس، جسمه يمثل أرض مصر، ينبت منه نبات البردي. الأشكال في اللوحة، تقف على الأرض أو على مستويات، وليست طائرة في الهواء بصورة عشوائية.

في أعلى اللوح، نجد اسم الملك، نعارمر، منقوشا بين رأسي الإلهة هاتور، التي تظهر في شكل بقرة. من المحتمل أيضا، أن يكونا رأسي ثورين يمثلان الملك.

بعد ذلك نجد في أسفل اللوح اثنين من الأعداء، يجريان هربا، بجوار كل منهما اسم مقاطعته (بوتو، سايس)، كل منهما يتلفت وراءه خوفا ورعبا.

على الوجه الآخر، نجد بقية القصة ونهاية الحرب. الملك يمشي في موكب النصر، ويتجه إلى معبد مدينة بوتو. يضع التاج الأحمر على رأسه. خلفه، حامل الصندل، وأمامه كبير وزرائه.

أمام الوزير، حملة الأعلام، التي تدل على أن مصر، قد عرفت أول حكومة مركزية في التاريخ. التاج الأحمر على رأس الملك نعارمر، يعني أنه قد أصبح الآن ملكا للدلتا. الأعداء التي قطعت رؤوسهم، أبيدوا عن آخرهم.

يقع تحت الملك نعارمر، مخلوقان عجيبان، أسدان أو فهدان. يتعانقان، رمزا للسلام والوحدة بين القطرين. في أسفل اللوح، ثور يرمز أيضا للملك نعارمر. يقوم بتدمير قلعة والقبض على ملكها.

ربما يكون اللوح قد نحت بأيدي فنانين مختلفين. فنان لكل وجه. لأن الأشكال على الوجهين تختلف في الأسلوب الفني. ربما تكون قراءتنا لكل وجه، ليست بالترتيب المطلوب.

لكن، لماذا هذا اللوح، له أهمية بالغة؟ بسبب القصة التي يحكيها. مصر الآن، موحدة بعد تفتت، لها ملك واحد، هو نعارمر (مينا).

هناك فوائد جمة لمصر الموحدة، التي بدأت بنعارمر، مؤسس الأسرة الأولى. الملك القوي، الذي اكتشفته مصر القديمة، وتحدث عنه أفلاطون في جمهوريته، و "توماس هوبز" في كتابه "التنين" أو "ليفياثان"، له أيضا فوائد جمة، وليس كله شر. نتنازل بمحض اختيارنا عن حقوقنا، لحكومة مركزية قوية، تكفل لنا الحماية والأمن.

مصر، تحت حكم نعارمر، كان بإمكانها حكم كل الشرق الأوسط. أصبح في الإمكان الآن، تكوين جيش قوي. لأن مركزية الدولة، تمكنها من تجميع مصادر الطاقة، وتوجيهها إلى الوجهة الملائمة.

مشاريع الري العملاقة، أصبح من الممكن تنظيمها وتجنيد الأيدي العاملة اللازمة لها، بما يخدم المصلحة العامة. أصبح الآن من السهل أيضا حفظ الأمن والدفاع عن الوطن من الغزو الخارجي، وجمع الضرائب وحفظ الحقوق والعناية بالتعليم والصحة العامة.

أصبح أيضا، بناء الأهرامات والمعابد الرائعة ممكنا. بعد نعارمر ب 200 سنة، بني الهرم الأكبر، معجزة المعجزات، والذي سنتحدث عنه في الباب القادم.

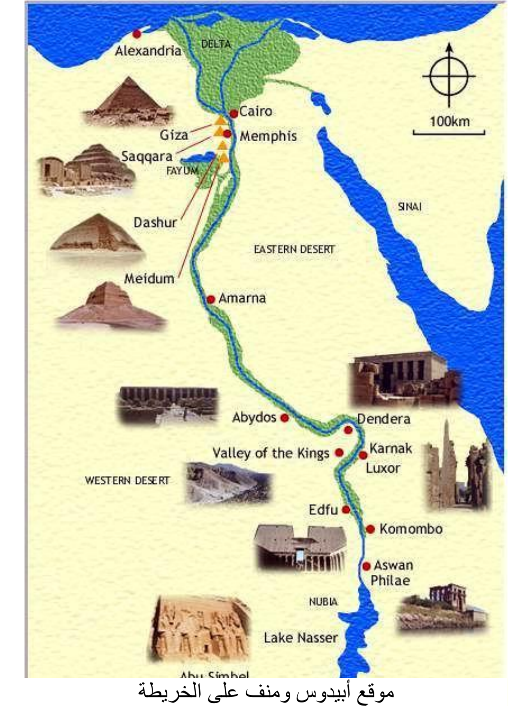
4

المملكة القديمة

أول ملوك الأسرة الأولى (3035-2890ق م)، في مصر الفرعونية، هو الملك نعارمر (مينا). أضحت مدينة "منف" (الجيزة)، عاصمة لمصر الموحدة. أسسها، الملك "حور عحا"، أي حور المحارب، ابن نعارمر.

كشفت الحفريات في مدينة أبيدوس، تنيس عند الإغريق، (العرابة المدفونة بسوهاج)، عن مدافن لملوك مصر القديمة، تدل على أن أبيدوس كانت عاصمة وجه قبلي قبل عصر الأسرة الأولى.

موقع منف في الشمال كعاصمة للبلاد، أهم من أبيدوس، من الناحية الاستراتيجية. الجنوب أكثر أمنا، لأنه محمي بالصحراء الشرقية والصحراء الغربية ضد الغزو الأجنبي. الشمال معرض للغزو من البحر المتوسط أو عن طريق سيناء.



موقع أبيدوس ومنف على الخريطة

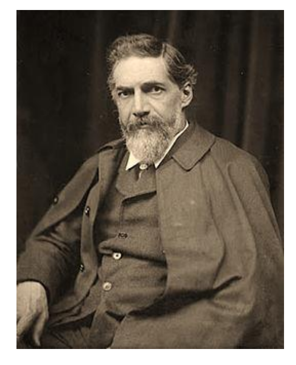
ظلت أبيدوس، المكان المقدس لدفن ملوك الأسرة الأولى. لأن الإله أوزوريس، دفن بها، كما كان الاعتقاد عند المصريين القدماء. هذه القبور، كانت بسيطة مبنية تحت الأرض. أشهرها قبر الملك "دجر"، والملك "دن".

الملك "دن" يعتبر أفضل فراعنة الأسرة الأولى. يدل عهده على ازدهار كبير، والكثير من الابتكارات. أول من ارتدى التاج المزدوج، الأبيض والأحمر، وأول من بنى قبره بالحجر، لا باللبن. لكن للأسف، كل هذه القبور، نهبت باللصوص.



الملك دن يؤدب أسير من البدو

عالم الآثار، "فليندرز بيتري"، قام بالتنقيب في مقابر أبيدوس في القرن التاسع عشر. لكي يحارب سرقة الآثار، كان يدفع للعمال قيمة ما يكتشفونه، ذهبا بأسعار السوق السوداء.



بيتري

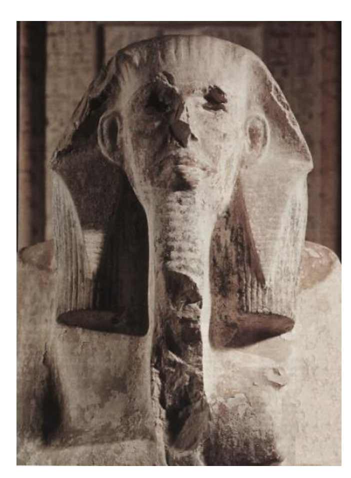
اكتشف العمال، في مقبرة الملك "دجر"، ذراعا لممياء، تلبس الحلي الملكية القديمة. قام بيتري بوزن الحلي الملكية، وعوض مكتشفها بقيمة وزنها ذهبا خالصا. فيما بعد، أحد أمناء الآثار بالقاهرة، احتفظ بالجواهر، وتخلص من ذراع الممياء.

مكان آخر لدفن الملوك في الأسرات الأولى، كان في سقارة. اسمها مشتق من الإله "سوكار"، إله الأموات. لكن، لماذا لدينا الآن مكانين لدفن الملوك، لا مكان واحد؟ بمعني، كل ملك له قبران، واحد في أبيدوس والآخر في سقارة.

ربما يكون ذلك كرمز لسيطرة الملك على الوجه البحري والوجه القبلي. أو لكي يكون أحد القبور فالصو والآخر حقيقي، فلا تعرف لصوص المقابر، أين توجد الكنوز المدفونة مع الملك. أو لسبب آخر لا نعرفه.

الأسرة الثانية (2890-2686ق م)، حكمت أكثر من 200 سنة، وهي فترة طويلة نسبيا تعادل عمر الحكومة الأمريكية، لا نعرف عنها الكثير. لكن بدون شك، كانت فترة إعداد لحضارة خالدة قادمة.

الأسرة الثالثة (2686-2613ق م)، حكمت 73 سنة، كلها عظمة على عظمة. الملك زوسر (2686-2649ق م)، هو أول بناة الأهرامات.



تمثال الملك زوسر

كان الدفن في الرمال، المتبع من قبل، يعرض القبور للكشف بالريح والمطر، أو بالحيوانات المفترسة من ثعالب وذئاب وضباع. بما تقوم به من نبش، يساعدها في ذلك، قدرتها الفائقة على الشم من مسافات بعيدة.

لكي يتغلب المصريون القدماء على هذه المشكلة، بدأوا في نحت القبور في الصخر. وكانوا يبنون فوق القبر، مصطبة في شكل مستطيل لحماية القبر أسفله.

"أمحوتب"، وزير الملك زوسر وكبير مهندسيه، قرر بناء مصطبة فوق المصطبة الأساسية. من ذلك، تطور بناء الأهرامات. الهرم المدرج في سقارة، الضخم الحجم بالنسبة للمصطبات السابقة، ربما يكون حجمه، ثلاث أو أربع أمثال أي بناء معروف في ذلك الوقت. هو أول بناء في التاريخ، بني بالحجر فوق سطح الأرض.


هرم زوسر المدرج بسقارة

بجوار الهرم المدرج، غرفة صغيرة، بها تمثال للملك زوسر. وظيفة التمثال هنا، هي العمل كبوليصة تأمين ضد خطر تلف الجسد المحنط لسبب ما. في هذه الحالة، تعود الروح للتمثال، إن لم تجد الجسد، ويبعث الملك من جديد.

بنى الملك أيضا معبدا بجوار الهرم. الهرم بني من ست مصاطب، كل مصطبة أكبر من التي تليها. في رحاب الهرم، يوجد مجمع مباني، يستخدم في الاحتفال بتتويج الملك، وغيرها من الاحتفالات الدينية.

قبر الوزير أمحوتب، لم يكن قد اكتشف بعد. لقد سمح الملك زوسر، لوزيره أمحوتب كي يدفن بجواره. البروفسير "والتر بي إمري"، كان يبحث عن قبر الوزير، لكنه توفي قبل اكتشافه بفترة قصيرة.

زوسر، له قبر آخر جنوبي، على بعد مئات الياردات من الهرم المدرج. عليه رسوم في الداخل من الخزف، تبين الملك وهو يحتفل بعيد تتويجه.



القبر الجنوبي للملك زوسر

يأتي بعد الملك زوسر، الملك "حورس سخم خت". حاول بناء هرم مدرج، هو الآخر في حجم هرم زوسر المدرج. لكنه بعد البدأ في بنائة مباشرة، وبعد بناء المصطبة الأولى، توفي الملك، ولم يحكم سوى ست سنوات أو سبعة. اكتشف الهرم الغير كامل عام 1951م. غرفة الدفن داخله، كانت لاتزال بحالتها الأولى لم تفتح من قبل.

لذلك، كان الاعتقاد أننا أمام كشف عظيم. لكن للأسف، التابوت الجرانيت داخل المقبرة، وجد فارغا. على أرض المدفن، وجدت بعض المجوهرات متناثرة، لكن لا أثر للممياء الخاصة بالملك.

ربما يكون الملك "سخم خت"، قد دفن في مقبرة ثانية. المقبرة الفارغة، ربما كانت لتضليل لصوص المقابر. لسوء الحظ، لصوص المقابر، في الغالب يكونون عادة من العمال الذين اشتركوا في بناء المقابر. حتى الآن، لم نجد قبر الملك "سخم خت".


الملك سنفرو

الملك سنفرو (2613-2589ق م)، الأسرة الرابعة، قام ببناء العديد من الأهرامات التي تدل على إنجاز معماري عظيم. الملك سنفرو، هو أول ملك، يكتب اسمه داخل خرطوش.

الهرم الموجود في قرية ميدوم بمحافظة بني سويف، هو أول محاولة لبناء هرم حقيقي. يسمى الهرم الكاذب، لأنه لم يكتمل بناءه. يعتقد أنه بني في الأصل للملك "حوني"، آخر ملوك الأسرة الثالثة، قبل أن يحاول سنفرو إكماله. المهندس الذي قام بتصميم هرم ميدوم، قام ببعض التعديلات في زاوية ميل الأضلاع، تسببت في انهياره لاحقا. تمت محاولة إصلاح الخطأ مرتين، مما تسبب في شكله الغير مألوف. لذلك سمي الهرم الكاذب.


هرم سنفرو الأول بميدوم، الهرم الكاذب

البناء أقرب إلى شكل البرج منه إلى شكل الهرم. في البداية، بني كهرم مدرج. في المرة الثانية لإصلاح الخطأ، كسيت الدرجات بالحجر الجيري. لكن لم يثبت الغطاء الجيري. مما جعل الهرم يترك قبل أن يكمل بناءه.

هناك معبد جنائزي بجوار الهرم. غرفة الدفن داخل الهرم، لها سقف على شكل شبه القبو، هي أول المدافن التي بنيت فوق سطح الأرض. بني السقف بهندسة "الطنف" والعوارض.

بمعنى جزء حجري ناتئ من الجدار، يدعم ما فوقه من أحمال. وهذا أسلوب في هندسة العمارة يقوم بتوزيع وزن أحجار الهرم الهائلة على الجوانب، فيمنع تدمير الغرفة تحته.

ابتكار هندسي رائع يشبه المعجزة في ذلك الوقت. على نفس الفكرة، بنيت القباب الضخمة بدون أعمدة في الكنائس والمساجد المشهورة. توجد أيضا مسلتان لم ينقش عليهما أية كتابة.

مما يدل على أن هرم ميدوم لم يستخدم قط. لكن هناك بعض الكتابة على جدران المعبد الجنائزي، هي دليلنا الوحيد على أن هذا الهرم، بني للملك سنفرو.

هرم دهشور، هو الهرم الثاني للملك سنفرو، أو المحاولة الثانية لبناء هرم حقيقي. زاوية ميل أضلاع هرم دهشور، مثل هرم ميدو، 54 درجة. أركان الهرم لم تبن على أرض صلبة. لذلك، كان تعديل التصميم ضروريا.


هرم سنفرو الثاني، الهرم المائل بدهشور

غرفة الدفن، ارتفاعها ليس له مثيل في العالم، 55 قدم. بني سقفها بطريقة الطنف والعوارض مثل الهرم السابق. لكن كان هناك مشكلة أيضا، شروخ في الغرفة بسبب كون أركان الهرم غير مستقرة. فاستخدمت دعامات من خشب الأرز، لكي تمنع انهيار الجدران.

بسبب هذه المشاكل، تم إكمال الهرم على عجالة، عن طريق تغيير ميل زاوية الأضلاع. مما أعطاه هذا الشكل المائل. هرم دهشور يساوي تقريبا الهرم الأكبر في الضخامة. بالرغم من ذلك، تم التخلي عنه مثل هرم ميدوم.

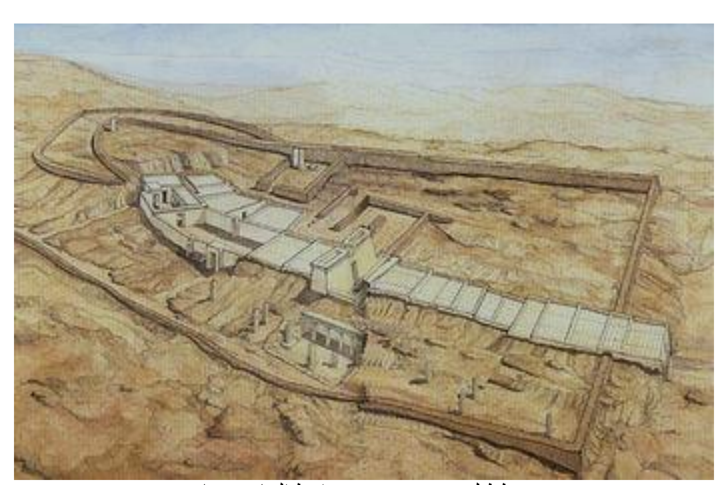
هناك هرم ثالث في دهشور، يسمي الهرم الأحمر، بني أيضا لكي يكون مدفنا للملك سنفرو. نلاحظ هنا أن فن بناء الأهرامات، جاء بطريق التجربة والخطأ. الهرم الأحمر، هو أول هرم كبير كامل وحقيقي. المصريون القدماء، قوم مثابرون، لا ييأسون ولا يكفون عن المحاولة. هذا هو أسلوب العلماء والأمم المتحضرة.


هرم سنفرو الثالث في دهشور، الهرم الأحمر

الملك سنفرو، كانت له تجارة مع الشعوب الأخرى. أحضر من لبنان خشب الأرز، لزوم صناعة السفن وأبواب المعابد. الأخشاب تعتبر سلعة نادرة في مصر. لذلك، كانت الأحجار هي البديل لبناء المعابد.

أرسل سنفرو الحملات إلى أرض سيناء للبحث عن مناجم التركواز لتصنيع الجواهر. الكتابة الهيروغليفية تصف سنفرو بأنه مهشم البرابرة في بلاد الغربة. كان له جيش من العاملين، قام بتوظيفهم في سيناء، وهو عمل مرهق وشاق في الصيف وتحت لفح الحر.

معبد سرابط الخادم، جنوب غرب سيناء، الذي يبعد عن "رأس در" مسافة 80 كيلومتر، هو معبد بناه الملك سنفرو للإلهة حتحور فوق الجبل.


مخطط لمعبد حتحور في سرابيط الخادم بسيناء

الأثري "فلندرز بيتري"، قام بالتنقيب في هذه المنطقة عام 1905م. وجد تماثيل عديدة للملك سنفرو، والملك منتوحتب الثالث ومنتوحتب الرابع من ملوك الأسرة الحادية عشر، ونقوشا وأسماء لملوك من أسر لاحقة، تعرف بالنقوش السيناوية. هي أصل الحروف الأبجدية.

لقد اتضح أن هذه النقوش، كانت محورة عن العلامات المصرية القديمة، ومتأثرة ببعض الكتابات السامية. فقد كانت سيناء نقطة التقاء القادمين من آسيا. لأن بعض العمال الساميين كانوا يفدون إلى هذه المنطقة من فلسطين للعمل فيها أو التجارة. واتضح، بعد الدراسات، أن هذه الكتابة هي أصل الأبجدية الفينيقية، التي هي أصل الأبجدية اليونانية واللاتينية، وهما أصل الأبجديات للغات الأوربية الحديثة.

لذلك يقول بيتري أن المصريين هم مخترعو الكتابة، وأول من استخدم الحروف الأبجدية في العالم. لقد وجد بيتري أيضا، تمثالا صغيرا لأبي الهول. قام بدفنه تحت الأرض، للحماية وخوفا من السرقة، لكن بدون أن يقوم بتسجيل مكان دفنه.

في عهد الملك سنفرو، وضعت أول أصول الفن المصري القديم، التي استخدمت آلاف السنين فيما بعد. زوجته كانت تمتلك مجموعة حلي جميلة من التركواز. في عهده أيضا، صنع له أول تمثال بالحجم الطبيعي. تمثالي "راحوتب"، راهب من منف، و"نوفريت"، من روائع الفن العالمي.



تمثال الراهب راحوتب



تمثال نوفريت

تمثال المهندس "حم أيونو"، حفيد الملك سنفرو ممتلئ الجسم، ومهندس هرم خوفو، الموجود حاليا في متحف برلين ، يدل على عصر ثراء وازدهار.



تمثال حم أيونو مهندس هرم خوفو

بردية "وستكار" بمتحف برلين أيضا، تحكي لنا أول حكاية كتبت على أوراق البردي عن الملوك. البردية، هي إحدى نصوص الأدب المصري القديم. تحتوي على خمس قصص عن الكهنة والسحرة. كل قصة يرويها أحد أبناء الملك خوفو في مجلسه. تعرف ببردية "خوفو والسحرة".

البردية تبين لنا أول استخدام النساء للملابس التي تشبه شبكة الصياد. الصبايا في ملابس شباك الصيد، كن يجدفن قارب الملك سنفرو.

إحدى الصبايا، سقط بروشها التركواز في البحر. على الفور، استدعى سنفرو أحد السحرة. قام الساحر بشق البحر، لكي يجد الملك البروش المفقود لصبية المركب.



نساء في ملابس شباك الصيد، موضة عمرها 4 آلاف سنة

هذا قبل النبي موسى بأكثر من ألف سنة. بالطبع القصة أدبية، لكنها تبين أن الملك في ذلك الوقت، لم يكن فرعونا طاغيا أو بعبعا مخيفا، بل كان رحيما حبّوبا رقيق المشاعر. لم يرد أن تحزن أحد جواريه. فأراد أن يخفف عنها ويعيد إليها ما فقدته، حتى لو أدى ذلك إلى شق البحر.

الهرم المحني لسنفرو، كان أكبر بناء في العالم في زمنه. لكن سنفرو لم يكن يعرف معنى الفشل. حاول ثلاث مرات، إلى أن نجح في بناء الهرم الكامل. نهض بالفن والأدب والتجارة الخارجية. ابنه الملك خوفو، هو باني الهرم الأكبر، أعظم بناء حجري عرفه الإنسان، وأحد عجائب الدنيا السبعة.

5

عصر العظمة والتألق


برستيد

"لقد اكتشفت، وأنا مستشرق مبتدئ، أن المصريين كان لهم مقياس خلقي أسمى بكثير من الوصايا العشر. هذا المقياس، ظهر قبل الوصايا العشر بألف سنة" جيمس برستيد- كتاب فجر الضمير

"العدالة خالدة، في الزمان والمكان. تُخّلد اسمك في الأرض، وتحميك من الغبن في العالم الآخر يوم الحساب" من قصة الفلاح الفصيح

بالقرب من مدينة منف (الجيزة)، على حافة الصحراء، يوجد الهرم الأكبر، هرم الملك خوفو(2589-2566م)، ابن الملك سنفرو. كم من آلاف السنين، المحملة بعبق التاريخ، قد مرت على هذا الصرح؟ وماذا يخبرنا هذا البناء الجبار الرائع؟


الهرم الأكبر

الهرم الأكبر، يخبرنا بطبيعة شعب منظم مرتب دقيق مثابر متفاني في عمله ومخلص في حرفته وفنه. وإلا، كيف نفسر بناء هذا العمل الجبار، وقطع ونقل ورفع هذه الكتل الصخرية، ووضعها في مكانها الصحيح، بهذه الدقة، باستخدام آلات وأساليب بدائية.

الملك خوفو، هو باني الهرم الأكبر، ربما ليكون معبدا دينيا، أو قبرا يدفن فيه الملك، أو الإثنين معا. استخدم في بناء الهرم مئات ألوف العمال، واستغرق بناؤه 22 سنة. في المركز داخل الهرم، يوجد تابوت من الجرانيت وجد فارغا.

الهرم من الخارج كان مغطى بطبقة ملساء من الحجر الجيري، استخدمت بعد نزعها في بناء مباني القاهرة القديمة. لكي تتسلق الهرم اليوم، عليك أن تصعد 200 سلمة. عندما تصل للقمة، سوف ترى نهر النيل والصحراء التي تحيط بالوادي.

بني الهرم الأكبر على أرض مسطحة أفقية ملساء، على شكل مربع متساو الأضلاع، مساحته 13.5 فدان، وارتفاعه عن سطح الأرض 481 قدم. ظل أعلى مبنى عرفه الإنسان، إلى أن تم بناء برج إيفل في فرنسا. أوجه الهرم الأربعة، كل منها على شكل مثلث.

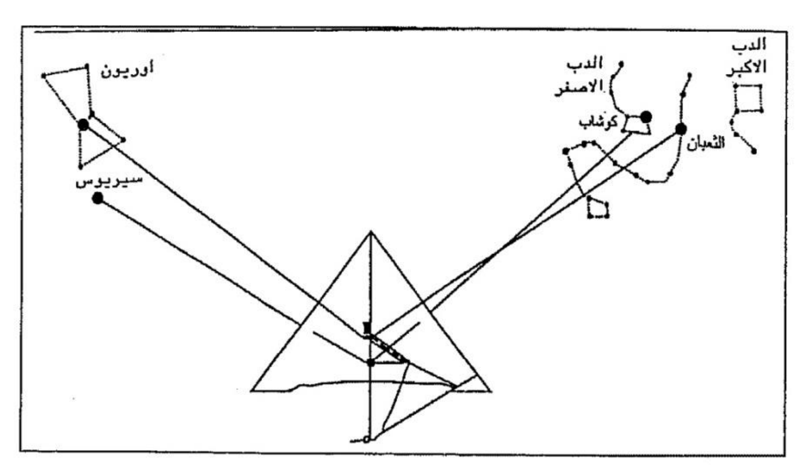
درجة الخطأ في تسطيح القاعدة لا يتعدى أربعة أجزاء من الألف في المائة. أو بالقياس العملي، ليس هناك خطأ على الإطلاق .

كل وجه يقابل إحدى الجهات الأصلية، شرق وغرب وشمال وجنوب. الخطأ في اتجاه

ضلعي القاعدة، الشمال والجنوب، يبلغ ثلاثة أجزاء من مائة جزء في المائة. الخطأ في اتجاه ضلعي الشرق والغرب لا يتعدى تسعة أجزاء من مائة جزء في المائة .

هل هناك دقة في المقاييس والصناعة أشد من هذه؟ أحجار الهرم يبلغ وزنها ستة مليون وربع طن. عدد أحجاره 2.5 مليون حجر. متوسط وزن الحجر 2.5 طن. هي كافية لعمل سور يحيط بفرنسا كلها. هذه الأحجار وضعت مع بعضها بدقة، بحيث لا يزيد سمك الفراغ الموجود بين حجرين عن خمس البوصة.

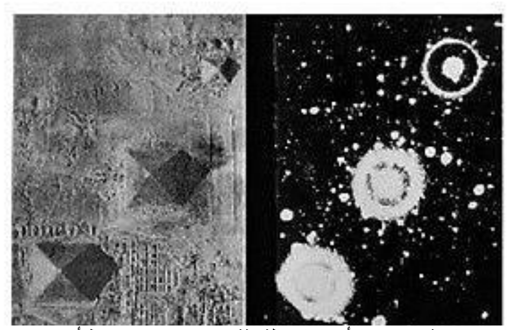
داخل الهرم توجد غرفة الملك. تحتها غرفة الملكة. غرفة الملك بها نافذتان أو ممران هوائيان. الأول يسمح بمرور الضوء الساقط من النجم القطبي مباشرة، حتى يضئ جثمان الملك، في رقاده الطويل على الدوام. لأن النجم القطبي ثابت في مكانه في السماء دون باقي النجوم التي تدور حوله.



اتجاه الكوى الأربع في الهرم الكبير والمجموعات النجمية التي كانت تشير اليها عند بناء الهرم.

من ثم، يظل جثمان الملك مضاء في الليل أو النهار بصفة دائمة. أما النافذة الأخرى، فتقع جهة الجنوب. تسمح بمرور الضوء الساقط من نجم الشعرى اليماني، "سيرس"، الذي كان يمثل عند قدماء المصرين الإلهة إيزيس. لكي يضئ تابوت الملك مرة واحدة فقط كل عام. بذلك تستطيع روح الملك في رقادها الأبدي، معرفة عدد السنين التي تمر.

كذلك وضعت الأهرامات الثلاثة في أماكنها، ليست على خط مستقيم، كما هو المتوقع، إنما في شبه خط مستقيم. لماذا؟ لكي تمثل وضع النجوم الثلاثة التي تتوسط برج الجبار "أوريون" والذي يمثل الإله أوزوريس .


مقارنة موضع الأهرامات الثلاثة بموضع نجوم وسط أوريون

لماذا يهتم المصري القديم بالدقة المتناهية في الصنع. ألا يكفي وضع الأحجار مع بعضها، على شكل كومة ضخمة، ترتفع قمتها نحو السماء؟ لماذا يهتم المصري القديم بالشكل الهرمي الذي تطابق أضلاعه الجهات الأصلية بدون خطأ يذكر، وأي سر في ذلك؟

لماذا يهتم بأن تكون نسبة نصف محيط قاعدة الهرم إلى ارتفاعه قريبة من نسبة طول محيط الدائرة إلى قطرها والمعروفة لدينا بالقيمة "ط". ربما لأن هذه النسبة هي التي يكون فيها البناء مستقرا.

هل صحيح، أنه تم اختيار موقع الهرم لكي يكون مركز الكرة الأرضية؟ بمعنى أن خط الطول الذي يمر بالهرم، يمر في نفس الوقت بأكبر مساحة أرضية، يمكن أن يمر بها خط طول آخر، وكذلك خط العرض الذي يمر بالهرم، هو الآخر يمر بأكبر مساحة أرضية.

هل كان المصري القديم يعلم، أن الأحجار الجيرية المستخدمة في بناء الهرم، هي تراكمات بيولوجية من الأحياء الدقيقة، التي كانت تعيش في الماء منذ ملايين السنيين؟

أي أن كل ذرة في جسم الهرم، كانت تنبض بالحياة في يوم من الأيام، مثل رفاة الملك والملكة اللذان يرقدان داخله. أم كل هذا من قبيل المصادفة؟

ما هي علاقة الهرم بالشمس؟ عندما تشرق الشمس في الأفق، تبدأ أشعتها الذهبية في تسلق وجه الهرم الشرقي، كأنها تصعد الدرج إلى السماء. عندما تبدأ في الغروب، ترى شعاعها القرمزي، يهبط الوجه الغربي للهرم، إلى أن يختفي رع في الأفق البعيد.

كيف وضعت هذه الأحجار مع بعضها، بحيث لا يضغط ثقلها الرهيب على الغرف

والنوافذ والممرات الموجودة داخل الهرم؟ كيف تتخيل ستة وربع مليون طن من الحجارة صنعت بمهارة الجواهرجي؟

إذا كانت دقة بناء الهرم تعتبر معجزة، فما بالك بعظمة الإدارة التي استخدمت لتشغيل هذا الجيش الغفير من العاملين في مشروع واحد، والتي توفر لهم المأكل والمسكن، وتجعلهم يعملون في توافق وتجانس تامين، دون تخبط أو تعارض في القرارات والأوامر.

التاريخ يخبرنا أنه لا يوجد ملك أو شعب آخر، أخذ على عاتقه هذا العناء، وبذل هذا الجهد، في بناء صرح واحد، أشبه بالمشروع القومي، بهذه الدقه والصبر، لذلك جاء بمثل هذه العظمة.

قصة بناء الهرم الأكبر، شابها العديد من الخرافات، وأثقلتها الكثير من الأساطير. يتحدث كثيرون من الناس عن القوة السحرية التي تقبع في الشكل الهرمي.

لكن الشكل الهرمي في مصر القديمة، قد أتى نتيجة تراكم خبرات وتطور أحداث، وعن طريق تفكير واكتشافات. الهرم بني لكي يكون قبرا للملك، لا بناء سحريا له قوى خارقة.

دخل نابليون وحده الهرم الأكبر، وذهب بمفرده إلى غرفة دفن الملك. خرج يرتجف شاحب الوجه، في حالة يرثى لها. لكنه رفض الإفصاح عما حدث له داخل الهرم.

هل رأي نابليون مستقبله، أو مر بتجربة روحية فريدة داخل الهرم؟ أم أنه يحاول خلق قصة، يتناقلها الركبان وتروى عنه فيما بعد؟ لا أحد غيره يعرف بالتأكيد.


نابليون

يقول هيرودوت، المؤرخ اليوناني، أن 90 ألف عامل، كانوا يقومون بالبناء ثلاثة شهور كل عام. ربما أثناء الفيضان، عندما كانت المياه تغمر أراضيهم. كانوا يستخدمون الآلات في رفع الأحجار (ربما يقصد الروافع).

على غير الاعتقاد السائد في الماضي، لم يقم العبيد ببناء الهرم الأكبر. خروج الإسرائيليين من مصر، حدث في زمن لاحق لزمن خوفو بأكثر من ألف عام. قد تبين أنه لم يكن هناك أعداد كبيرة من العبيد، تستخدم في أعمال البناء والري في مصر.

لا توجد أوراق بردي تبين هندسة بناء الأهرامات بالتفصيل. ربما كانت من أسرار الحرفة التي تورث. مهندس بناء الهرم، هو العبقري حم-أيونو، حفيد الملك سنفرو وابن أخو الملك خوفو.



حم أيونو مهندس بناء الهرم الأكبر



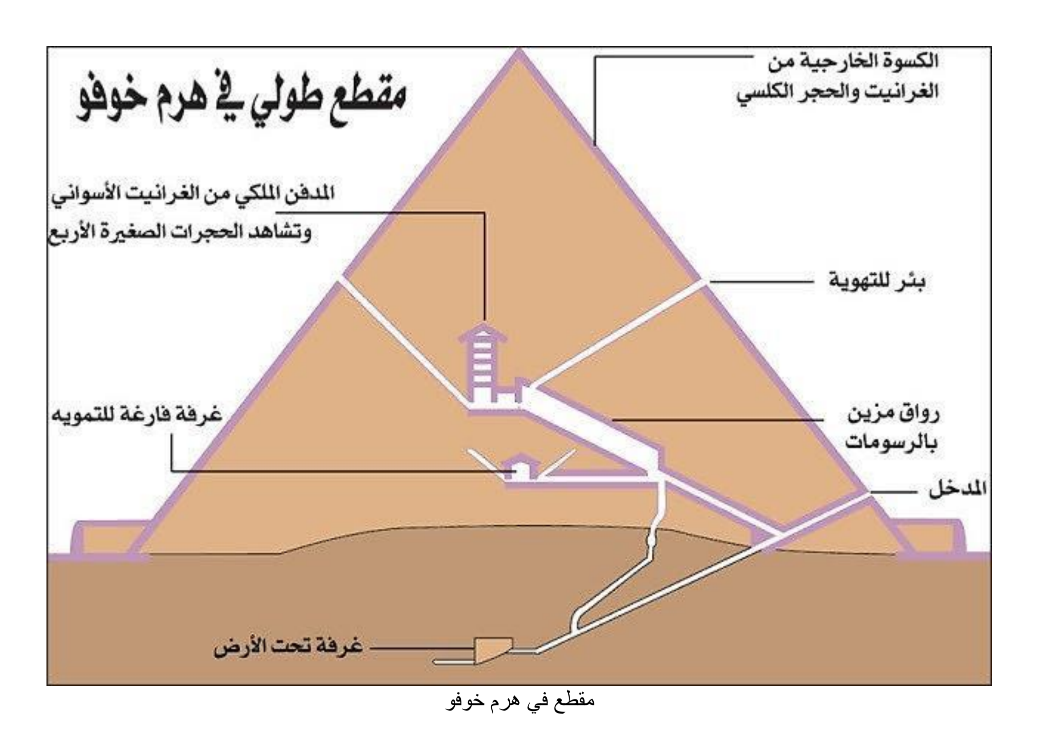
الشبه المذهل بين حم أيونو ورئيس الجمهورية السابق عدلي منصور

السؤال هنا، كيف بني الهرم الأكبر؟ لا يسعنا سوي الحدس والتخمين. يقوم العمال بإزاحة الرمال عن القاعدة الحجرية التي سوف يبنى الهرم فوقها. ثم يقومون بعمل قنوات في القاعدة، وملئها بالماء، حتى تكون مثل ميزان المياه الذي يستخدمه النجارون، لتحديد المستوى الأفقي بدقة بالغة.

المحاجر كانت قريبة من الهرم، فلا حاجة لنقل الأحجار مسافات طويلة. خطة بناء غرفة الدفن، تغيرت. فبدلا من أن تكون تحت الأرض، انتقلت إلى غرفة علوية.

البهو العظيم، عبارة عن ممر ضخم يوصل إلى غرفة الدفن. هو في حد ذاته، معجزة معمارية. ارتفاعه 28 قدما. سقفه مبني بطريقة الطنف والعوارض، إلى أعلى، على

مدى الارتفاع كله، حتى لا تدمر ملايين الأحجار، سقف البهو أسفلها. مهارة في فن المعمار ليس لها مثيل.



مقطع في هرم خوفو

تابوت دفن الملك خوفو، هو الشئ الوحيد الموجود حاليا بغرفة الدفن. عرض التابوت أزيد ب 2 بوصة من عرض فتحة الباب. لابد أن التابوت وضع أثناء بناء الهرم. ثم بنيت الغرفة حوله.

غرف تحميل أخرى، استخدمت بدلا من نظام الطنف والعوارض، لتخفيف الأحمال عن سقف غرفة الدفن. إعجاز هندسي آخر بكل المقاييس.

كيف رفعت الأحجار أعلى الهرم؟ بالسحب على طرق منحدرة، أم على طرق ملتوية، أم بأسلوب الردم حول الهرم ؟ لا نعرف بالتأكيد.

يقول المقريزي، المؤرخ المصري في القرن الرابع عشر الميلادي، أن الخليفة المأمون بن هارون الرشيد، في القرن التاسع الميلادي، حاول دخول الهرم. لم يستطع جنوده العثور على المدخل الأصلي الشمالي للهرم. فحفروا مدخلا جديدا، أسفل المدخل الأصلي، الذي تم اكتشافه فيما بعد.



المأمون بن هارون الرشيد

بعد جهد وعمل شاق استمر عدة شهور، استطاع جنود المأمون دخول الهرم. عثروا على مومياوات ملقاة داخل سراديب الهرم. لا يزال مدخل المأمون هذا هو المستخدم. لكن، ماذا وجد المأمون داخل الهرم بجانب المومياوات، لا نعرف بالتأكيد؟

في حفرة مسقوفة بجوار الهرم الأكبر، اكتشف الأثري كمال الملاخ، عام 1954م، مركبا مصنوعة من خشب الأرز المستورد من لبنان. المركب كانت مفككة ومربوطة بالحبال. تم تجميعها فيما بعد، فوجد أن طولها 150 قدم. لكن بدون سارية أو شراع.



مركب الشمس، تم اكتشافها بجوار الهرم الأكبر

لذلك كان الاعتقاد أنها مركب صنعت بغرض آخر غير الإبحار في اليم. المجاديف ثبت أنها لا تصلح للإبحار ولم تستخدم. ربما تكون مركبا صنعت لأسباب دينية.

وربما تكون لأخذ روح الملك خوفو، والعبور بها، مع إله الشمس رع، إلى العالم الآخر. أو تكون قد أستخدمت مرة واحدة لنقل جثمان خوفو من الضفة الشرقية إلى الغربية لنهر النيل. لذلك سميت مثل هذه المراكب، "مراكب الشمس"، أو سفينة خوفو.

تمثال أبو الهول، جسم أسد برأس إنسان. منحوت من حجر ضخم واحد. طوله 241 قدم و عرضه 63 قدم. يقال أنه يخص الملك خفرع (2558-2532ق م)، باني الهرم الثاني. يمثل قوة الأسد الجسدية وذكاء الإنسان العقلي.



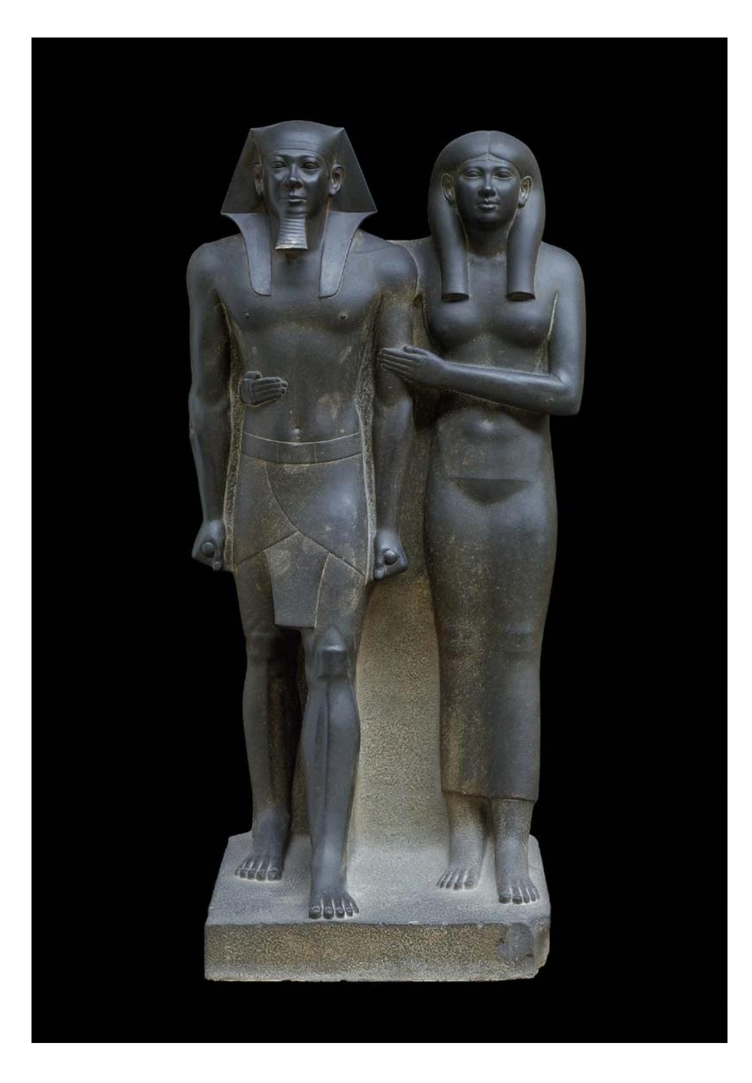
تمثال أبي الهول

نحت أبو الهول منذ 4,500 عام، وليس منذ 12,000 عام، كما يعتقد بعض الجيولوجيين. جنود نابليون لم يقوموا بكسر أنفه كما تقول الشائعات. هناك رسومات لأبي الهول قبل الحملة الفرنسية على مصر، تبين أن أنف أبي الهول كانت مجذوعة في ذلك الوقت.

ذقن أبي الهول مفقودة. جزء منها موجود في المتحف البريطاني، والجزء الآخر في المتحف المصري. المتحف البريطاني يخشى عرضها، حتى لا تطالب بها مصر، وتكون سابقة للمطالبة بكنز الكنوز، حجر رشيد، وعودته لوطنه الأصلي مصر. معبد خفرع بالمنطقة، هو المعبد الوحيد الكبير بين معابد الدولة القديمة. أرضه مبلطة بالمرمر.

الملك منقرع، هو باني الهرم الثالث. فن صناعة التماثيل، وصل في عهده إلى الذروة. تمثال الملك خفرع وزوجته، الموجود حاليا بمتحف بوسطن بالولايات المتحدة، ليس له مثيل في الإبداع والإتقان، في أي عصر من العصور.

يجب أن لا ننسى أنه منحوت من قطعة واحدة من حجر البازلت، فكيف تم نحته بهذه الدقة، دون خطأ أو خدش واحد؟



تمثال الملك منقرع وزوجته بمتحف مدينة بوسطن

تماثيل قدماء المصريين الخاصة بالمملكة القديمة والأسرة الرابعة بالأخص، تعتبر من أجمل وأروع التماثيل بين كل الأعمال الفرعونية القديمة. تتسم بالروعة والبساطة والجمال والجلال. تعلق بالذاكرة، من الصعب نسيانها.



الجزء العلوي من تمثال الملك خفرع بالمتحف المصري

صانع التمثال في مصر القديمة، غير مهتم بتعبير معين للوجه، سواء كان يحمل تكشيرة أو ابتسامة. لا يحاول ابهار المشاهد بفنه. لكنه يركز على الضروري والأساسي، ويحذف الباقي. تركيزه على الضروري فقط والأساسي، هو الذي يجعل تماثيل المملكة القديمة فريدة ورائعة.

بالرغم من بساطة التماثيل والرسوم، وكونها مثل الرسوم الهندسية، إلا أنها ليست ساذجة وبدائية. إنها تشعرك بالتوازن الكامل بين الحقيقة والخيال، بين ما نراه وما نحلم به. توازن ومزج بين الجسد الفاني والجسد الخالد.

المزج بين الأشكال الهندسية، وما نلاحظه في الطبيعة، هو شيمة كل الأعمال الفنية المصرية القديمة. الرسوم التي تزين جدران المعابد والمقابر توضح ذلك.

هذه الرسوم لم توضع لكي نشاهدها نحن كما نشاهد الأعمال الفنية في المتاحف. لكنها رسمت لكي لا يراها أحد سوى ال"كا" أو روح الميت.

ليس الهدف هو التمتع بهذه الرسوم، بقدر ما هي تعليمات وإرشادات لروح الميت، حتى تأنس وتجد المجتمع والوسط الذي تركته في الحياة الدنيا. ممثلا في الرسوم والتماثيل، فتتعرف على المتوفي وتعود إلى جثمانه من جديد. لذلك، الفن المصري القديم، فن فريد، ليس له مثيل على الإطلاق، في عصرنا، أو في أي عصر من العصور.


الملك شب سس كاف

آخر ملوك الأسرة الرابعة، كان الملك "شب سس كاف" (2643-2678ق م)، الذي ترك هضبة الجيزة، وذهب إلى سقارة لكي يبني هناك مصطبة (مصطبة فرعون). يوجد له تمثالان بمتحف اللوفر. بموته، ينزل الستار على بناة الأهرامات العظام، ملوك الأسرة الرابعة.

الأسرة الخامسة (2498-2345ق م)، هي أسرة ملوك الشمس.
تمردوا على التقاليد،
وبنوا معابد لإله الشمس، وأهرامات صغيرة في منطقة أبو غراب، جنوب سقارة وشمال أبوصير.


الملك أوسركاف مؤسس الأسرة الخامسة

هناك، بنى الملك "أوسر كاف"، مؤسس الأسرة الخامسة معبد الشمس الخاص به ، ثم شيد الملك "نى أوسر رع"، سادس ملوك هذة الأسرة، معبد الشمس الخاص به أيضا، على بعد 500 متر شمال غرب معبد أوسر كاف .

الكتابة الهيروغليفية على الجدران الداخلية للأهرامات، بدأت بالملك "يوناس" (2375-2345ق م)، آخر ملوك الأسرة الخامسة. عاد يوناس إلى سقارة، وهناك بنى لنفسه هرما صغيرا، نقشقه من الداخل بالتعاويز والتراتيل. هدفها، هو ضمان بعث الملك في الحياة الأخرى.

التعاويز، تنقسم إلى ثلاثة أجزاء. الأول، لكي تضمن أن جثمان الملك لا يمسه شر قبل رحلته الأخيرة إلى الغرب. الجزء الثاني، لكي يضمن أن رحلة الملك إلى الغرب تتم في سلام ووئام، مع غروب الشمس. الغرب، هو رمز الموت عند المصريين القدماء. الجزء الثالث من التعويزة، هو ابتهال، لكي يُقبل الملك في العالم الآخر وينول رضا الآلهة.

الأسرة السادسة (2345-2181ق م)، هي آخر أسرات المملكة القديمة. أثناء هذه الفترة، استمر ملوكها في بناء الأهرامات الصغيرة التي تشبه التلال، بداخلها كتابات هيروغليفية على الجدران.



أهرامات أبي صير (البدرشين):
من اليسار إلى اليمين:هرم ساحورع،هرم ني أوسر رع،هرم نفر ايركارع.

النبلاء كانوا يبنون مصاطب تنافس الأهرامات الصغيرة التي يبنيها الملوك. مما يثبت ازدياد نفوذ النبلاء على حساب سلطات الفرعون. في النهاية، تم سقوط المملكة القديمة برمتها.

أعقب سقوط المملكة القديمة، قيام المملكة الوسطى، ثم سقوطها هي الأخري، قبل قيام المملكة الحديثة. حضارة مصر، هي الحضارة الوحيدة في العالم، التي مرت بنكستين كبيرتين، دون أن تنكسر وتختفي من الوجود.

الملك "بيبي الثاني أو نفر كارع" (2278-2184ق م)، هو آخر فراعنة المملكة القديمة. حكم مدة 94 سنة. تولى الحكم وعمره 6 سنوات. هي مدة، لا ينافسه في طولها أي حاكم آخر، في أي مكان أو أي زمان.



بيبي الثاني يجلس في حجر والدته

ربما بسبب طول مدة الحكم هذه، ضعفت الدولة. هذه إحدى عيوب الدولة المركزية. استمرار ضعف الدولة، أدى في النهاية إلى انهيار الحضارة المصرية وذبول وهجها المتألق.



ثورة الجياع في مصر القديمة

حصلت في عهده سنة 2282 ق م، ثورة سماها الفراعنة ثورة الرعاع أو ثورة الجياع. وصفها الحكيم ايبور في بردية وصفا دقيقا.

وصفها مانيتون المؤرخ المصري المشهور، بأنها فترة، حكم مصر فيها سبعين حاكم في سبعين يوم، سماها الاسرة السابعة. لكن مصادر أخرى تقول بأن الثوار أقاموا مجلس قيادة ثورة مكون من سبعين عضو، واتفقوا على ان يحكم كل يوم واحد منهم.

هذه هي أول ثورة في التاريخ قام بها المصريين. ثورتهم ضد الملك بيبي الثاني، بعد أن طالت فترة حكمه وشاخت. لم يكن بيبي بالحاكم القوي. لذلك لم يستطع كبح جماح حكام الأقاليم، فزاد فسادهم وضعف ولاءهم للحكومة المركزية. من ثم، عمت الفوضى أرجاء البلاد، وكان الضحية بالطبع، هم العمال والفلاحين الفقراء الذين لاقوا الأمرين.

انتهز زعماء الثورة انشغال الجيش في الدفاع عن حدود البلاد ونظموا صفوفهم. نادوا فيها بالمساواة والحرية، وطالبوا بإلغاء أي تشريع إلهي يقيد الناس، بحجة أنه لا يوجد إله يقبل الظلم.

استولى الفلاحين على محاصيل الاراضي وزاد قطاع الطرق في القرى والمدن. هدم الثوار السجون وأخرجوا اللصوص والمجرمين، وطردوا القضاة وقفلوا المحاكم، وقفلوا المعابد، وطردوا الكهنة، واعتقلوا العلماء والمثقفين. فانهارت الدولة ودخل البدو والليبيون الدلتا، ونشروا الخوف والزعر بين الاهالي.

انقسمت أيضا مناطق الصعيد إلى ولايات مستقلة عن بعضها واتحولت إلى إقطاعيات متنافرة ومتحاربة. وزادت الفوضى وانفلتت الامور من قادة الثورة نفسها، ومرت بمصر أيام حالكة السواد.

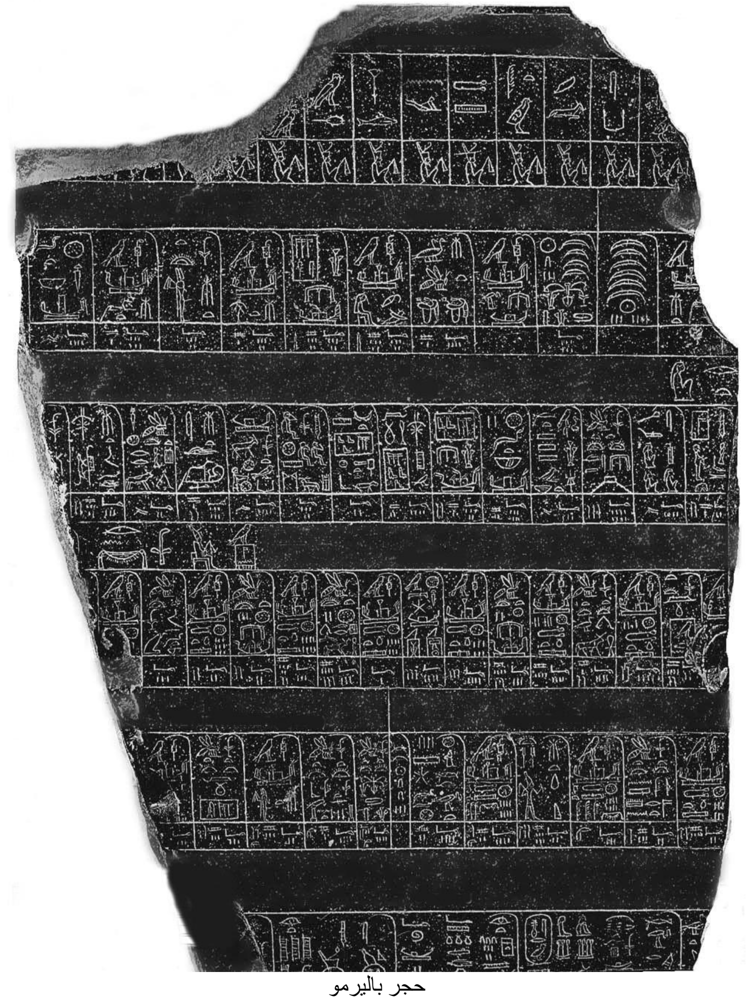
يقول "كورت مندلسون"، أن سبب انهيار الحضارة المصرية، بعد الدولة القديمة، يرجع إلى البطالة، وإلى ثورة العمال وعصيانهم لأوامر الفرعون. ربما يكون مندلسون مخطئا في نظريته.

احتمال آخر لسبب الانهيار، هو وجود ملك في الصعيد، وآخر في وجه بحري. لأن العاصمة انتقلت في هذه الفترة من منف إلى "هيراكليوبوليس"، إهناسيا، في محافة بني سويف.

أحد مصادر التاريخ المصري القديم، هو كتاب الكاهن المصري مانيتون، من سمنود، الذي عاش في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد إلى منتصف القرن الثالث.

الكتاب عن تاريخ مصر حتى عصر البطالمة باللغة اليونانية، كتبه مانيتون بناء على طلب بطليموس الثاني حاكم مصر في ذلك الوقت. للأسف، النسخة الأصلية للكتاب فقدت أثاء حريق مكتبة الإسكندرية.

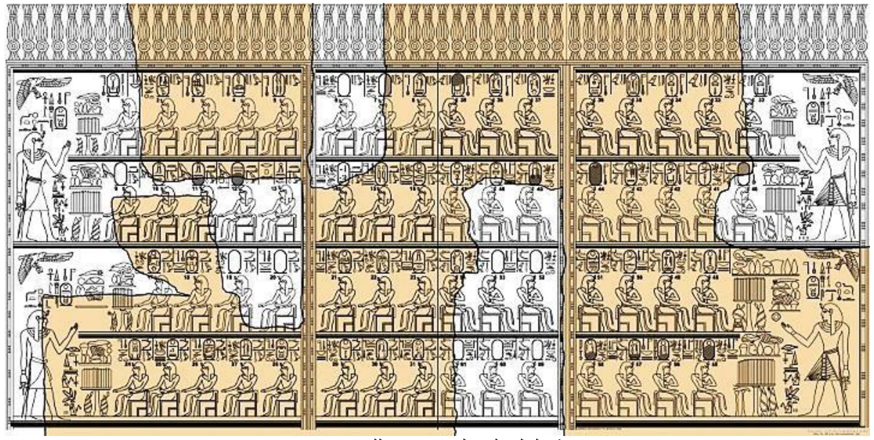
أسماء الملوك على جدران المعابد والمسلات وعلى صفحات البرديات، هي أيضا من مصادر التاريخ القديم الهامة. حجر "باليرمو" هو الجزء الأكبر من لوحة كبيرة تعرف باسم "الحوليات الملكية للدولة القديمة". تحتوي على سجلات ملوك مصر من عصر الأسرة الأولى إلى عصر الأسرة الخامسة.



حجر باليرمو

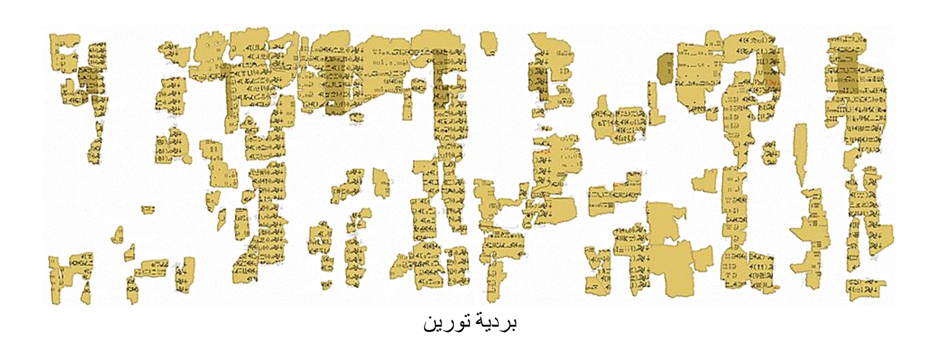
الحجر محفوظ في متحف "باليرمو" بإيطاليا. بقية اللوحة موجودة في متاحف القاهرة ولندن . الحجر من البازلت الأسود، نقش في نهاية عصر الأسرة الخامسة، يدون أسماء ملوك مصر القديمة، بداية من الملك نعارمر.

قائمة ملوك الكرنك، الموجودة في متحف "اللوفر" بباريس، بها أسماء 61 ملكا، إلى أن نصل إلى تحتمس الثالث. قائمة أبيدوس، بها أسماء 76 ملكا إلى الملك ستي الأول.


قائمة ملوك الكرنك بمتحف اللوفر بباريس

هذه الأسماء، كانت تستخدم في سنوية ذكراهم. ففي كل عام، يقوم الفرعون الحالي، بقراءة أسماء الملوك السابقين وطلب الرحمة والغفران لهم، وتوزيع الصدقات على أرواحهم.

قائمة بردية تورين، تحتوي على أسماء 300 ملك إلى رمسيس الثاني. مع بعض التفاصيل عن عهودهم، لكن البردية بالية في حالة سيئة. آداب المملكة الوسطى، تعطينا أيضا بعض المعلومات التاريخية.


بردية تورين

من الوثائق الهامة الأخرى، أدب المرثيات. أحدها تخص رجل على وشك الانتحار. شخصيته، التي يسميها المصريون القدماء "با"، هددته بأنها سوف تتركه إذا حاول الانتحار.

هذا يعني أن الرجل لن يستطيع أن يبعث حيا في الحياة الأخرى. المرثيات، تبين أيضا، أن مصر كانت محتلة بالأجانب. جانب كبير من المرثيات، يبين أن الآلهة كانت غاضبة. رضاء الآلهة كان من أول واجبات الفرعون.

معات تمثل الحق والعدل أو الصدق أو الأخلاق أو ما يجب أن يكون وفقا لمشيئة الآلهة. المرثيات تتوق وتحن شوقا إلى الأيام الخوالي، أيام العظمة والرقي والرفعة. أيام حكم الملك سنفرو والمملكة القديمة.

الحالة الاجتماعية تمر الآن بفوضى عارمة. هذه الفترة، التي نهبت فيها الأهرامات والمعابد والمدافن. المرثيات تبين خوف المصريين وكرههم للأجانب الملتحين، من البدو وسكان الصحراء.

المرثيات تبين أيضا غضب المصريين من زيادة الضرائب في وقت المحن. الفترة من الأسرة السابعة إلى نهاية الأسرة الثامنة (2181-2160ق م)، هي فترة غامضة من الصعب التنقيب عن آثارها. لكن مصر، كما سنري في الأبواب القادمة، سوف تقوم من كبوتها وتنهض وتسود العالم من جديد.

6

الدولة الوسطى والهكسوس

ملوك الأسرة التاسعة (2134-1991ق م)، كلهم صعايدة. يبدأ اسم كل منهم ب"إنتف". لذلك نجد صعوبة في ترتيبهم الترتيب الصحيح. "إنتف سيحير-توي" (2134-2117ق م)، هو أول ملوك هذه الأسرة.

الترجمة الحرفية لاسمه: "اصنع السلام في بلدينا". كان يكتب اسمه في خرتوش ملكي. له تطلعات عظيمة، لكن نفوذه، لم يكن يشمل كلا من الدلتا والصعيد.

"إنتف واحانخ" (2117-2069ق م)، "الراسخ في الحياة"، كان الأول في التاريخ المحب للكلاب. كان يصف نفسه بأنه ملك القطرين، الدلتا والصعيد.

"إنتف ناختنيب-تيب-نيفير" (2069-2060ق م)، "البطل الجميل القوي"، قام بمحاربة ملوك الدلتا لتوحيد مصر من جديد.



مونتوحتب الأول

يأتي بعد الملوك ال"إنتف"، الملوك ال"مونتوحتب"، أي ملوك "رضاء رب الحرب". "مونتوحتب الأول"، نب حبت رع، (2060-2010ق م)، هو الأمل السياسي الجديد.

أضاف إلى اسمه فيما بعد، "موحد القطرين"، دليلا على إنجازاته في هذا الشأن. هو ملك محارب، عمل على توحيد القطرين بالقوة. ترك لنا آثارا تدل على معاركه في الصعيد والدلتا. بنى معبدا جنائزيا رائعا في طيبة.

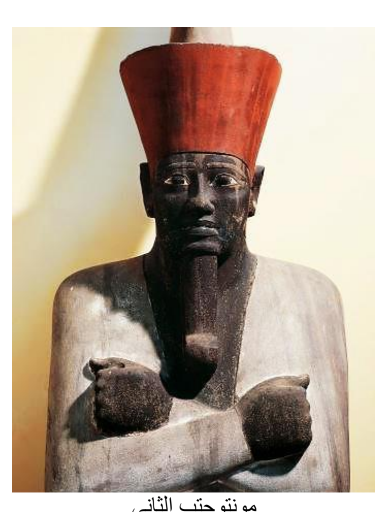
في القرن التاسع عشر، وجدت الحفريات هناك، ثلاث مومياوات لثلاثة أمراء. في عام 1920م، وجدت مومياوتان أخريان لأميرين.

في مدافن الدولة الوسطى، يدفن الميت على جانبه، حتي يمكنه النظر إلى ما هو خارج التابوت، من خلال عينين مرسومتين على التابوت من الخارج. الكفن من الداخل، منقوش عادة بالتعاويذ التي تساعد المتوفي في رحلته إلى العالم الآخر .

في عام 1920م، وجد "وينلوك"، مقبرة جماعية في طيبة، الدير البحري، بها 60 مومياء. كلها لعساكر شبان ماتوا في الحرب. وجد "وينلوك" من قبل، أن قبر "ميكيت رع"، مستشار منتوحوتب الأول، يحتوي على نماذج خشبية رائعة، لخبازين وصانعي الجعة، يتوقع وجودهم في العالم الآخر.

في قبر آخر، وجد "وينلوك" جعران من الفضة. يلبسه "واح"، أحد رجال "ميكيت رع". عيني الجعران منزوعتان، حتى تحمي الميت من لدغه. وجد "وينلوك" أيضا، الرسائل العائلية للكاهن، خادم ال"كا"، "هيكا نخت"، يوصي بالعناية بأرضه وممتلكاته أثناء غيابه.

"مونتوحتب الثاني"، سع نخ كا رع، (2010-1998ق م)، "محيي روح رع"، خلف والده في الحكم. أرسل القوافل، ثلاثة آلاف رجل، عن طريق وادي الحمامات خلال 8 سنوات. قام بحفر 12 بئر في طريق القوافل. وادى الحمامات، هو طريق قديم بين قفط و القصير، على البحر الاحمر.


مونتوحتب الثاني

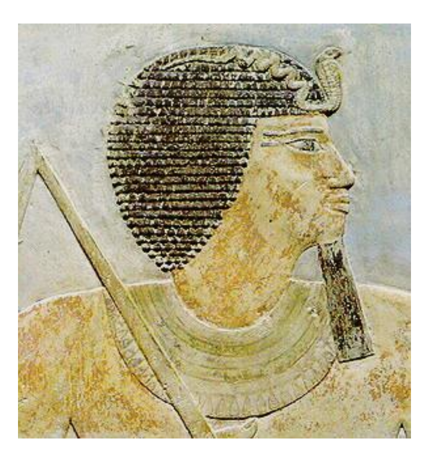
ثم أرسل عشرة آلاف عامل إلى وادي الحمامات تحت إمرة الوزير "أمينمحعت"، للبحث عن المناجم والمحاجر. أحجار الجرانيت والشست والإردواز. غزالة حامل، قادتهم إلى مكان المناجم، ثم ولدت هناك. هذه هي الأسرة التي تستطيع القيام بالمشاريع الكبيرة، وتجنيد الإرساليات كثيرة العدد. هذه هي بداية مولد مصر الجديدة، وإعادة البعث.

تاريخ الفنون يخبرنا شيئا عن الفرق بين الأسرة الحادية عشر والأسرة الثانية عشر. تماثيل الملك "مونتوحتب"، تبدي قوة طاغية. لقد قام بتوحيد مصر بالقوة.

بالرغم من أنه لا تنقصه المادة ، إلا أن تماثيله من الناحية الفنية، لا تقارن في الجودة، بتماثيل الأسرة الرابعة على سبيل المثال. التفاني والمهارة الفنية، قد فقدها الصانع القديم، أثناء فترة الاضمحلال الأولى.

تماثيل الأسرة الثانية عشر، على النقيض، تتميز بالمستوى الفني العالي والجودة. هي حقا، أعمال ملوكية بامتياز.

"أمنمحات الأول" (1991-1962ق م)، من عامة الشعب، كان أحد وزراء آخر ملوك الأسرة الحادية عشر، قام بأعمال كثيرة. بردية لنينجراد، تقول أن أحد سحرة الملك سنفرو، كان قد تنبأ لمصر بأيام صعبة.



أمنمحات الأول

لقد تنبأ أيضا، بأن أحد ملوك مصر، سوف يأتي من عامة
الشعب، يلبس التاجين الأحمر والأبيض، ليقوم بإنقاذ مصر من كبوتها. اسمه "أميني"، وهو اختصار لاسم "أمينمحعت".

اسم الملك "أمنمحات"، يبين أن عبادة الإله "آمون" في الصاعد، اسمه الآخر "ويهام-مسوي"، يعني البعث من جديد.

انتقلت العاصمة الجديدة إلى الفيوم، 30 ميل جنوب غرب القاهرة. أهمية مدينة الفيوم، هو أنها مناسبة لحكم كل مصر. أطلق عليها اسم "إتج-توي"، وتعني رباط القطرين.

قبور الصفوة في منطقة بني حسن، في الدولة الوسطى، تدل على ثراء رائع. على جدران المعابد، نجد تسجيلات للأحداث. النقوش زاهية تبين الحياة اليومية للمصريين. مقبرة "خنومحتب"، تخبرنا بإجراءات جديدة لتوزيع الأراضي. دليلا على أمن البلاد واستقرارها.

هرم "أمينمحات الأول"، بقرية اللشت بالعياط محافظة الجيزة، مبني بالطوب المصنوع من الطمي. ارتفاعه 180 قدم. استخدم في بنائه، أحجارا من أهرامات الأسرة القديمة. المدخل جهة الشمال في مواجهة النجم القطبي.

أطلال هرم أمينمحات الأول بقرية اللشت

تقول قصة سنوحي، أن الملك أمينمحات الأول، قد قتل بينما كان ولده خارج الوطن. فقام "سنوحي" بالفرار من مصر خوفا من الفوضى. لكن القصة تنتهي نهاية سعيدة. تعليمات أمينمحات إلى ولده، تؤكد حدوث الاغتيال.

الوثيقة، ربما يكون قد كتبها الملك "سيزوستريس" ابن "أمينمحات الأول". تتحدث عن انقلاب على الملك أمينمحات وقتله، لكنها لم تصف هذا كجريمة قتل.

الملك سيزوستريس (1971-1926ق م)، هو أيضا ملك عظيم، من ملوك مصر القديمة. قام ببناء القلاع في بلاد النوبة، لكي يؤمن التجارة والطريق إلى مناجم الذهب. هذه القلاع، المبنية من الطمي، مثيرة للإعجاب. هناك قلعة على كل ضفة من ضفتي النيل، لحماية التجارة.

الملك "سيزوستريس الأول"، التسمية الإغريقية "لسنوسرت الأول"، كان يسيطر على كل بلاد مصر.


سيزوستريس أو سنوسرت الأول

له هرم في قرية اللشت مثل والده، لكنه هرم فريد في تصميمه. الحوائط مبنية من المركز إلى الأركان وإلى منتصف الجوانب. ثم تملأ الفرغات بينها بالرمل والحصى. له مسلتان ارتفاع كل منها 66 قدم، في هيليوبوليس. أحدهما لايزال هناك. وله معبد في الكرنك.

"أمينمحات الثاني" (1929-1895ق م)، حكم مدة طويلة بنجاح. أرسل البعثات إلى "بونت"، حالينا أريتريا أو الصومال. يتميز حكمه بالتوسع في الاستكشافات والتجارة الخارجية. هداياه الملكية، وجدت في بيبلوس في لبنان.



أمينمحات الثاني

كنز معبد الطود، جنوب الأقصر، يحتوي على أكواب شرقية فضية، أختام بابلية، لازورد من بلاد الرافدين. هرمه بدهشور، تهدم معظمه بسبب مياة الفيضان.

"سيزوستريس الثاني" (1897-1878ق م)، توسع في زراعة منطقة الفيوم. هرمه في قرية اللاهون بالفيوم، له مدخل تحت رصيف الحجارة. حوله مقابر للنساء.



هرم سيزوستريس الثاني باللاهون

الحفريات في القرن العشرين، وجدت في المنطقة، داخل محراب، جواهر الأميرة "ست-حاتور-يونت"، ابنة الملك. خمس قطع من الدولة الوسطى. ووجدت كذلك، جرة مائية تخص الأميرة.

عقد من مجوهرات الأميرة "ست-حاتور-يونت".



من مجوهرات ست حاتور يونت ابنة سيزوستريس الثاني

"سيزوستريس الثالث" (1878-1841ق م)، خرجت تماثيله عن التقاليد ولم تعد تشبه تماثيل الآلهة. بل أصبحت تصوره وهو متعب ومكتئب.

سيزوستريس الثالث، قائد عسكري طوله 6 قدم. قام بسحق النوبيين، وتقوية الحصون للدفاع عن الوطن. له هرم بمنطقة دهشور.



سيزوستريس الثالث

حفر أول قناة مائية تربط البحر الأحمر والبحر المتوسط عن طريق النيل. وأنشأ امتدادها وأسماها قناة كبريت. مما أدى إلى ازدياد حركة التجارة مع مصر وبلاد بونت وجزر المتوسط، قبرص وكريت. القناة لم تعد موجودة الآن.



"أمينمحعت الثالث" (1842-1797ق م)، يشبه في الشكل والده، حكم فترة طويلة. هو آخر ملوك الدولة الوسطى العظام. أرسل العديد من الإرساليات إلى مناجم الفيروز في سيناء.

له هرمان، مثل أهرامات الدولة القديمة، واحد في دهشور، والآخر في هوارة، يبينان ثراء الدولة في ذلك الوقت. هرم هوارة، له مدخل خادع من الجنوب، لتضليل اللصوص. غرفة الدفن، منحوتة من حجر واحد من الكوارتز. وجد له تابوت، ولابنته، نيفرو-بتاح، تابوت آخر.

"أمينمحات الرابع" (1798-1786ق م)، لا يعرف له هرم، ولا يعرف عنه الكثير. له أثر وحيد، معبد في الفيوم.

الملكة "سوبيكنفرو" (1785-1782ق م)، حكمت مدة قصيرة قبل نهاية الأسرة مباشرة. لكن لا نعرف الكثير عنها أيضا. وليس لها هرم معروف.

الأسرة الثالثة عشر (1782-1650ق م)، هي أسرة مفقودة. لا نعرف عنها سوى أسماء 10 من ملوكها، وبعض الأهرامات الصغيرة بدهشور.

الملك "حور" (1760 ق م)، حكم مدة قصيرة جدا. قبره في دهشور، وجد به تمثال بالحجم الطبيعي يمثل روح الميت، ال "كا". التماثيل الخشب تدل على الثراء، لأن الخشب سلعة نادرة في مصر. هناك أربع أهرامات صغيرة تخص هذه الأسرة في سقارة، تدل على عصر اضمحلال.

في السنوات ال 57 الأخيرة للأسرة الثالثة عشر، كانت هناك مجموعة ملوك كونت الأسرة الرابعة عشر، التي حكمت من شرق الدلتا. آثار هذه الأسرة قليلة بسبب الرطوبة وغمر الأرض بالمياه.

من هم الهكسوس؟ ليسوا "الملوك الرعاة"، كما كانت الترجمة سابقا. ولكن هم "الملوك الأجانب". مشكلة تتبع تاريخ الهكسوس في مصر، هو أن المصريين كانوا يدونون انتصاراتهم فقط.

الهكسوس كانوا ساميين، يسمون عند العرب "العماليق". أسماء حكامهم, مثل "خيان"، "صكير"، "حار"، تعتبر أسماء سامية. غزوا مصر، أو ربما احتلوها من الداخل، بعد أن كانوا يعيشون فيها مدة من الزمن. قبور بني حسن، تبين أن الساميين كانوا في مصر. حكموا من شمال الدلتا، أفاريس (تل الضبعة حاليا بالقرب من صان الحجر).

الهكسوس (1648-1540ق م)، كانوا يعبدون إله الشر عند المصريين، "ست". "ست" هو الذي قتل أخاه، "أوزوريس" وأرسله إلى العالم الآخر. كانوا يعبدون أيضا الإله "ريشيف" ، إله الحرب عند الكنعانيين. لكن لم نجد لهم معابد خاصة بهم.



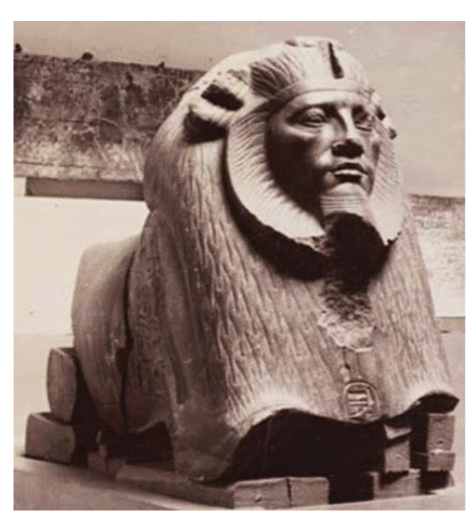
الإله ست إله الشر

ست إله الشر والعواصف والصحراء والفوضى والحرب عند المصريين. ربطت صورته بصورة الحيوانات البغيضة، مثل الخنازير والحمير والعقارب. لديه بشرة بيضاء وشعر أحمر مثل شعر الحمار. كل من كان له شعر أحمر كان يعتقد أنه من أتباعه.

لم يكن الهكسوس متعلمين، يعرفون القراءة والكتابة مثل المصريين. ولم يقدر المصريون على مقاومتهم بادئ الأمر، بسبب أسلحتهم المتطورة وخيولهم وعرباتهم الحربية. بالإضافة إلى كثرتهم، وكثرة النزاعات والعداوات التي كانت بين المصريين. ملوك الهكسوس، يشكلون الأسرتين، الخامسة عشر والسادسة عشر.

عاثوا في الأرض فسادا. فقد قاموا بحرق المدن وتدمير المعابد وسبي النساء والأطفال. بعد حرب شرسة مع المصريين، تمركزوا في الدلتا وحكموها. كانت عاصمتهم أواريس (تل بسطة في مدينة الزقازيق). مصر العليا وبلاد النوبة، كانتا تخضعان للحكم المصري. أمراء طيبة المصريون، كانوا يدفنون في طيبة بالقرب من الدير البحري، منطقة ذراع أبو النجا.

أشهر ملوك الهكسوس، "أبوفيس"، أرسل رسالة استهجان واحتقار ، إلى الملك المصري "سقنن رع الثاني" (1580ق م)، والد أحمس، يطلب منه إسكات أفراس النهر في طيبة، لأنها تقلق منامه في أفاريس عاصمة الهكسوس، والتي تبعد 600 كيلومتر عن طيبة. ربما كانت عملية جر شكل وإعلان حرب، نظرا لتزايد قوة الأمراء المصريين في الجنوب.



أبوفيس ملك الهكسوس

الكلمات المستفزة، جاءت في جزء من رسالة كاملة. لذلك، لانعرف ماذا حدث بعد أن حشد "سقنن" جيشه، وتوجه شمالا لملاقاة الملك المغرور. لكن، هل يمكن معرفة ما قد جرى بعد ذلك؟

ذهب "سقنن" إلى الحرب (1575ق م). مومياء جثمانه بالمتحف المصري، تبين نتيجة المعركة. يبدو أنه قد قتل أثناء المعركة مما تسبب في جروح خطيرة بالرأس. لقد نقل جثمانه إلى طيبة للدفن هناك. لكنه لم يتم تحنيطه بالكامل.

ابنه، "كامس" (1570-1560ق م)، آخر ملوك الأسرة السابعة عشر، الذي يعني اسمه "عودة الروح". واصل الحرب ضد الهكسوس. شن هجوما مباغتا على معاقلهم، بقوات من الجيش وأسطول نيلي كبير. تقدم شمالا حتى وصل إلى عاصمتهم.



كاموس أخو أحمس

أسر 300 مركب من خشب الأرز، مشحونة بالأسلحة والذهب والفضة والمؤن. وكان يبطش بالخونة الذين يتعاونون مع العدو. لوح "كامس" ولوح "كارنارفون"، يخبرانا عن مدينة الأسوار، ورسول الكهسوس إلى النوبيين الذي انكشف ولم تتحقق مهمته.

فقد كان النوبيون في صف الهكسوس. مما جعل مصر محاصرة بالهكسوس من الشمال، والنوبة من الجنوب. في هذه الأثناء، قتل الملك "كامس"، وهو لم يبق في الحكم سوى 5 سنوات.

أحمس، أخو كامس، أكمل بنجاح مهمة طرد الهكسوس من مصر، التي بدأها أبوه وأخوه. وقام بمطاردتهم حتى فلسطين. أحمس الأول، هو أول ملوك الأسرة الثامنة عشر.



رأس تمثال الملك أحمس بمتحف بروكلين بنيويورك

بعد قتل الملك كامس، انتقل الحكم إلى أحمس الأول الذي لم يكن يبلغ من العمر سوى 10 أعوام. قامت والدته بحثه على التدرب على القتال مع المحاربيين القدامى. هذه هي الروح الحقيقية للمرأة الصعيدية التي تطلب الثأر لوطنها ولنفسها. فقد قتل زوجها وابنها في الدفاع عن الوطن.

عندما بلغ أحمس سن ال 19، قام بعض من رجاله بالتقاط رسالة مبعوثة من ملك الهكسوس إلى ملك النوبة يحثه بالزحف على طيبة. مما جعل أحمس يسرع بالهجوم على الهكسوس، فهزمهم في عدة معارك. ثم قام بشن عدة هجمات خارجية عليهم في أراضيهم الأصلية.



أحمس الأول طارد الهكسوس

لم تقتصر جهود أحمس الحربية على مقاتلة الهكسوس, فقد تحول بعدها إلى جنوب مصر. قاد ثلاث حملات كبيرة متوالية، استهدفت بلاد النوبة ،لتأديب ملوكها الذين تعاونوا مع الهكسوس ضد مصر. بذلك، تعود مصر لكي تحكم بأبنائها، ملوك طيبة العظام.

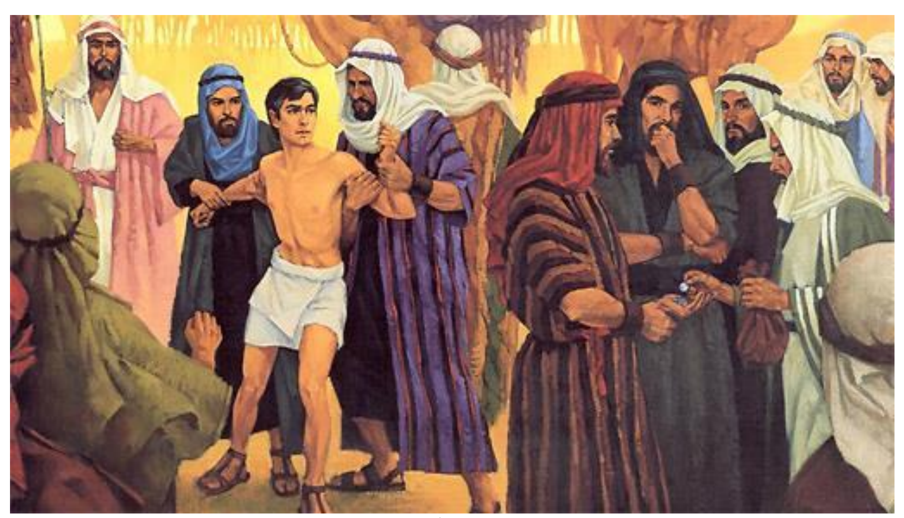
تجربة الهكسوس، بينت للمصريين خطر الغزو الأجنبي. مما جعل الدولة الحديثة، تؤسس جيشا نظاميا محترفا ومدربا لأول مرة في تاريخ مصر. قاموا بتحديث أسلحتهم، ولم يعودوا يعتمدون على المشاة فقط. أصبح لمصر أسطول بحري قوي، وانضم سلاح الفرسان والعربات الحربية إلى الجيش.

بعد نهاية حكم الهكسوس، بدأ عصر النهضة الثاني في مصر، وكان بداية الشروق للإمبراطورية المصرية، التي عرفت أقصى امتداد لها في عصر الملك العظيم تحتمس الثالث، حيث تحولت الاسترتيجية المصرية، من الدفاع داخل الأرضي المصرية، إلى الدفاع خارجها.

فامتدت الدولة المصرية، من العراق إلى ليبيا، ومن تركيا إلى الشلال الرابع في السودان حالياً، وإلى القرن الإفريقي حتى إثيوبيا وبلاد بونت (إريتريا والصومال).

هل كان النبي يوسف في مصر أيام الهكسوس؟ البعض يعتقد أن يوسف وإخوته هم أصل الهكسوس. جاء في سفر التكوين، أن النبي يوسف كان مفسرا للأحلام.

حلم وهو صبي، بأن الشمس والقمر و 11 كوكبا، خروا له ساجدين. بسبب الغيرة، قام اخوته بإلقائه في الجب، لكي يلتقطه السيارة أثناء مرورهم، وهم في طريقهم إلى مصر.



يوسف وإخوته

أصبح يوسف عبدا، بيع إلى أحد موظفي فرعون مصر. أثبت إخلاصا في عمله، بالرغم من كونه لا يزال عبدا. قامت إمرأة سيده، بوتيفار، باتهامه ظلما بمغازلتها ومحاولة الاعتداء عليها. تهمة ثبت براءته منها فيما بعد.



امرأة بوتيفار تراود فتاها

ألقي يوسف في السجن. كان معه في السجن ساقي الملك، وخباز. ساقي الملك، حلم بثلاثة قطوف عنب(سوف يطلق سراحه بعد ثلاثة أيام). الخباز، حلم أن الطيور كانت تأكل من ثلاث فطائر كان يحملها في طبق فوق رأسه (سوف يعدم بعد ثلاثة أيام).

فرعون مصر، حلم هو الآخر بسبع بقرات عجاف يأكلن سبع بقرات سمان، وسبع سنابل قمح ضامرات، تأكلن سبع سنابل ممتلئة. ساقي الملك، تذكر يوسف زميله في الحبس، وتذكر قدرتة على تفسير الأحلام بصدق.

قام يوسف بتفسير حلم الملك، وبناء عليه، قامت مصر بتخزين الغلال لما يكفي سبع سنوات رخاء، يعقبها سبع سنوات عجاف. أصبح يوسف أمينا على هذه الخزائن، وأصبح الكل يهتف باسم البطل الذي أنقذ اقتصاد مصر، البطل "عبريك".

يعقوب، اسمه الآن إسرائيل، أرسل إخوة يوسف ال 11، فيما عدا بنيامين ابن راشيل، أثناء المجاعة، إلى مصر لكي يأخذ كل منهم حصته من القمح.

عرف يوسف إخوته، لم يجد بينهم بنيامين، فسأل عنه. عندما رأى يوسف بنيامين أمامه، قام بوضع كأس فضي في كيسه. بناء عليه، تم التحفظ على بنيامين. ثم جرت الأحداث سريعة، وكشف يوسف عن شخصيته لإخوته. لقد أرسل الرب يوسف لكي يضمن بقاء بني إسرائيل.

يعقوب، جاء إلى مصر لكي يعيش في "جوشن" شرق الدلتا، ما بين الإسماعيلية والزقازيق. ثم يأتيه هاتف من الرب، يخبره أنه سوف يخرجه من مصر. عندما مات يعقوب، أمر يوسف بتحنيط يعقوب.

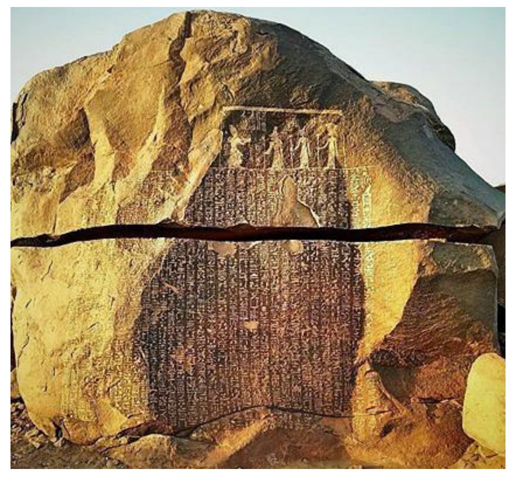
عملية التحنيط، أخذت من الوقت 40 يوما، والحداد 70 يوما. حسب ما جاء في الإنجيل، يعقوب ويوسف، هما الوحيدان اللذان تم تحنيطهما، في الإنجيل.

قال يعقوب لأولاده: "تأكدوا من أخذ عظامي من هنا". قاموا بتحنيطه ووضعه في تابوت في مصر.

قصة يوسف و"بوتيفار" في الإنجيل، وإمرأة العزيز في القرآن، تشبه قصة الأخوين في الأدب المصري القديم. "بوتيفار" اسم مصري قديم. مشتق من "بادي رع"، ويعني هبة رع.

كتاب تفسير الأحلام المصري، يطابق تفسير يوسف للأحلام في السجن. لكن حلم الفرعون، غير موجود بالكتاب. مما جعل الاستعانة بيوسف أمرا منطقيا.

هنا ستيلا (كتابة على حجر)، في جزيرة الساحل، تخبرنا بسبع سنوات مجاعة، بسبب إنخفاض فيضان النيل.



سبع سنوات عجاف في عهد الملك زوسر

ختم السلطة الخاص بيوسف، هو أسلوب مصري. كلمة "عبريك"، أو عبري، التي كانت تطلق على يوسف، هي كلمة مصرية تعني "قلبي معاك". الإنجيل يذكر أن التحنيط يستغرق 40 يوما، والحداد 70 يوما، وهذا يطابق تماما العادات المصرية في ذلك الوقت. ونحن إلى اليوم، لازلنا نحتفل بأربعين المتوفي. لكن، ماذا يعني كل هذا؟

يعني أنه بالرغم من عدم وجود آثار كفاية، تؤكد قصة يوسف في مصر، إلا أنه قد يكون هناك شئ من الحقيقة في القصة. وقد يكون نسل العبرانيين في مصر هم الهكسوس.

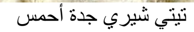
7

العصر الذهبي


أحمس الأول

الملك الصعيدي "أحمس" (1570-1546ق م)، طارد الهكسوس، قام بتأمين حدود مصر الشمالية والجنوبية. كرّم جدته "تيتي شيري"، أم أبيه "سقنن". وكرّم كذلك، والدته الملكة "أحوتب"، بإقامة صرحين يخلد ذكريهما. سقنن، هو أول من بدأ في حرب الهكسوس.

"تيتي شيري"، جدة أحمس، ملامحها الدقيقة الرقيقة، سوف نجدها في تماثيل الملكة "حتشبسوت".


تيتي شيري جدة أحمس

الملكة "أحوتب"، ربما ظلت تحكم نيابة عن طفلها "أحمس" لمدة 9 سنوات. عندما مات "سقنن"، والد أحمس، وهو يحارب الهكسوس كان عمر أحمس 5 سنوات.


الملكة أحتب أم أحمس

عندما مات أخو أحمس، "كامس"، وهو يحارب الهكسوس أيضا، كان عمر أحمس 10 سنوات. المرأة لها دور هام جدا في الحضارة المصرية، كما سنرى في هذا الباب، أكثر من دورها في أي حضارة أخرى.

هذا ما كتبه المصريون القدماء عن الملكة العظيمة "أحوتب":

"ابنة الملوك وأم الملوك النبلاء، التي وسع علمها كل شئ، والتي رعت أرض الكنانة. وضعت الخطط وأدارت المعارك. قربت إليها الهاربين، وشملت بعطفها الفارين. رعت جيشها، وصدت أعداءها، وأعادت الهدوء إلى الصعيد. الملكة أحوتب، رعاها الله".

أول امرأة في التاريخ، تقود الجيوش، وتحصل على قلادة الذبابة الذهبية، التي كانت تمنح لأبطال الحروب، دليلا على أنها كانت تقود بنفسها المعارك ضد الهكسوس. فبينما كان ابنها أحمس مشغولا بقمع النوبيين، جاءت مجموعة من الهكسوس، حاولت استعادة العرش.

تصدت لهم الملكة العظيمة أحوتب بكل بسالة، وأعادت النظام إلى البلاد. فيا لها من امرأة، عبقرية فذة بدون شك، ندر وجودها في التاريخ. هذه هي المرأة المصرية الصعيدية، منذ 3500 سنة. ولنا أن نتعجب ونحن نقارن حال المرأة أيام زمان، وحالها وما وصلت إليه الآن.



الملكة أحوتب وجواهرها وقلادتها الذهبية رمز الشجاعة

الملكة "نفرتاري"، زوجة أحمس، هي أول من دعيت زوجة الإله. جاء من ذريتها، سلسلة ملوك محاربين عظام.



الملكة نفرتاري زوجة أحمس


تمثال أمنحتب الأول باللوفر

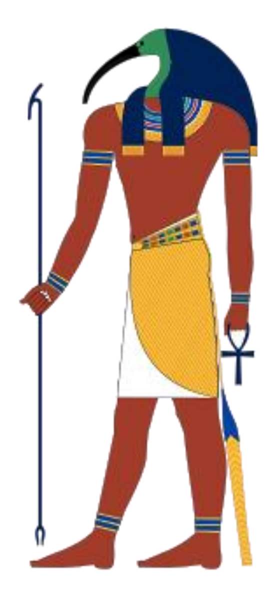
أمنحتب الأول (1551-1524ق م)، ابن الملك أحمس، واصل النشاط العسكري لعائلته. اسمه يعني "رضاء الرب آمون". أرسل حملة عظيمة إلى بلاد النوبة، وصلت حتى الشلال الثالث.

أمنحتب الأول، له معبد جنائزي وقبر مستقل. هو الأول بين الملوك الذي فعل ذلك. المعبد، هو المكان الذي يقدم فيه الكاهن، خادم ال"كا"، القرابين، ويقيم به الصلاوات على روح الفرعون. لم يكن له وريثا رسميا للحكم. الوريث الرسمي، هو الذي يكون أبوه ملك، وأمه ملكة.


رأس تمثال تحتمس الأول بالمتحف البريطاني

خليفته، هو تحتمس الأول (1524-1518ق م)، ربما يكون ابن أمنحتب الأول، من زوجة خارج العائلة المالكة. هو أيضا قائد عسكري قوي. اسمه يعني "ميلاد توت".

"توت"، أو "تحوت"، هو إله المعرفة والكتابة، رأسه على شكل طائر أبو منجل. تزوج تحتمس الأول من ابنة الملك أحمس والملكة نفرتاري. قاد أكبر الحملات إلى بلاد النوبة، إلى ما بعد الشلال الرابع.



الإله توت إله المعرفة والكتابة

أقام تحتمس الأول ستيلا (كتابة على حجر أملس)، تبين حدود مصر الجنوبية الجديدة. وقاد أيضا حملة إلى بلاد ما بين النهرين، حتى نهر الفرات. هناك، أقام ستيلا أخرى، تبين حدود مصر الشمالية الجديدة.

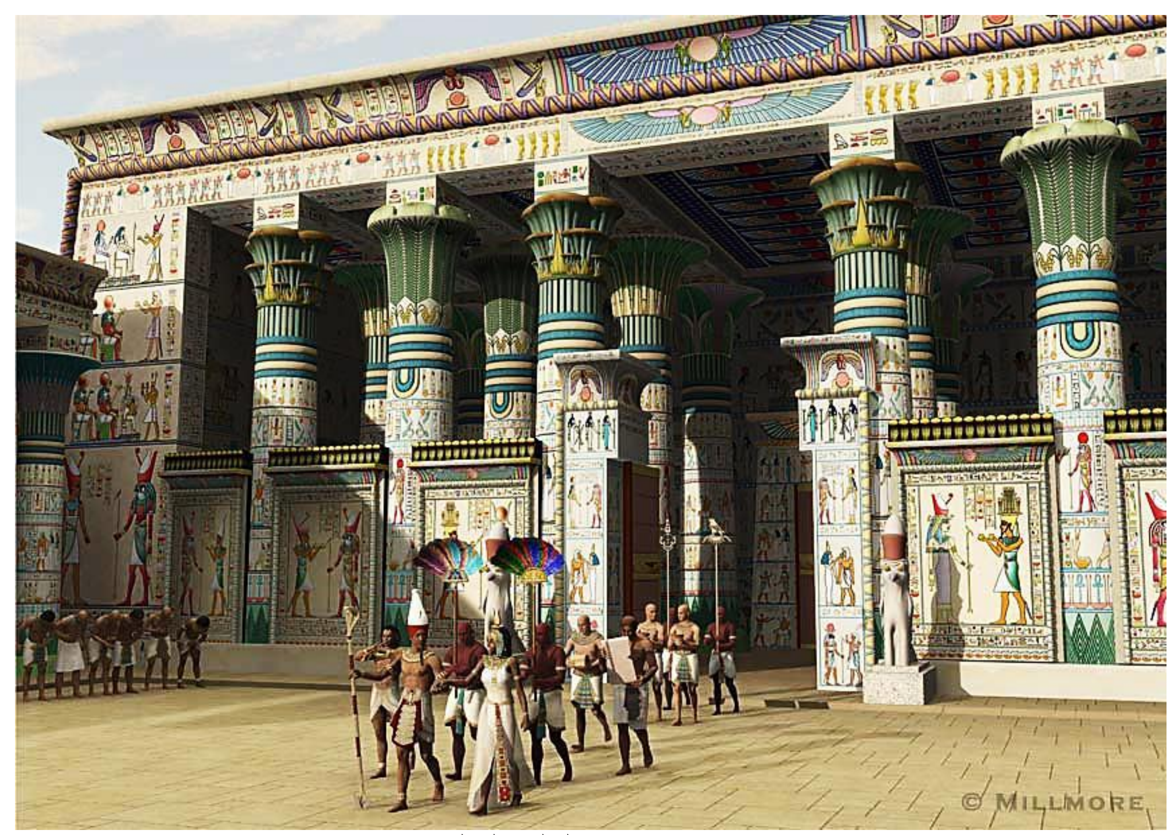
أقام تحتمس الأول أيضا، أول قبر في وادي الملوك. لكن لماذا؟ لأن الأهرامات كانت عرضة للسرقة، كما حدث في الماضي. إذن، الحل هو إخفاء القبر حتى لا تعثر عليه اللصوص.

منطقة وادي الملوك، منطقة قاحلة جافة، لاتشجع على السكنى. لها مدخل واحد. الربوة المرتفعة، تشبه الهرم الطبيعي. كل القبور حفرت في الصخور الجيرية. هنا، يتوقف استخدام الأهرامات كقبور، وآخر عهدنا ببنائها.


وادي الملوك غرب نهر النيل في مواجهة طيبة، الأقصر حاليا

أقام تحتمس الأول أيضا، مسلتين كبيرتين بمعبد الكرنك، تمجيدا للإله آمون. من هنا تبدأ أهمية مدينة طيبة كمدينة دينية. تحتمس الأول وزوجته "أحموس"، أنجبا ثلاثة أطفال، لم يعش منهم سوي ابنتهما "حتشبسوت".

معبد الكرنك، بني خصيصا للإله آمون. تعني كلمة كرنك الحصن أو المكان الحصين. معبد الكرنك يقع على بعد 2 ميل من مدينة طيبة، الأقصر حاليا.



نموذج تقليد لمعبد الكرنك

يعتبر من الروائع بين معابد الأقدمين. بهو الأعمدة هو أكبر الصالات في العالم. يبلغ المعبد من الكبر ما يجعله يتسع لبناء عدة كنائس في فنائه الرحيب.


منظر ليلي لطريق الكباش بمعبد الكرنك

عند بنائه، كانت به غابة من الأعمدة الضخمة عددها 122. الباقي منها الآن مئة عمود. مرتبة في تسع صفوف. أعمدة الوسط الإثنى عشر يبلغ ارتفاعها 60 قدم و30 قدم محيط مقطعها. الأعمدة الباقية لها نفس الحجم تقريبا.


غابة أعمدة الكرنك

تيجان الأعمدة على شكل زهرة اللوتس. زهرة اللوتس مقدسة لأنها تنمو على ضفاف نهر النيل المقدس. لهذا تستخدم أشكالها في تزيين الأعمدة والمعابد. أسطح الأعمدة وجدار المعبد مغطاه بالرسوم والحروف الهيروغلوفية.

المعابد المصرية القديمة، بنيت بطريقة تربط العابد برب المعبد وآلهته. المعبد يعتبر صورة مصغرة من الكون، بأرضه وسمائه. الأعمدة ما هي إلا نباتات وأشجار تمثل الأرض. في معابد الدولة الحديثة بالأقصر بالقرب من الكرنك، سقف المعبد مطلي باللون الأزرق ومرصع بالنجوم المضيئة ومزين بالطيور، هذا يمثل السماء.

العمود له قاعدة مستديرة وساق طويلة ورأس على شكل زهرة أو نبات. رأس العمود قد تكون على شكل زهرة اللوتس المقدسة، أو زهرة نبات البردي أو شكل جريدة النخل.

أبواب كل المعابد تواجه شروق الشمس، وشروق النجم الشعرى اليمانية، سيرس، الذي يمثل الإلهة إيزيس. حتى تدخل أشعته من باب المعبد وهو يشرق مع بزوغ الفجر وقبل شروق الشمس مباشرة، إيذانا ببدء فيضان النيل والعام الجديد.



زهرة اللوتس

الحجم الضخم للمعابد وأعمدتها الكثيرة العدد، ذلك حتى تظهر ضآلة الإنسان بجانب عظمة وقدرة الخالق. كما أن تكرار التماثيل والأعمدة المتشابهة، يرمز إلى الخصوبة والوفرة وتكرار فيضان نهر النيل.

كما قال المؤرخ اليوناني هيرودوت، مصر هبة النيل. أيضا نجد نوافذ علوية تسمح للضوء بالدخول لكي تلقي ظلال الأعمدة بالمئات على الأرض والجدران.

وصفه شامبليون بأنه "رحيب كل الرحابة، عظيم كل العظمة"، كأن المصريين أعدوه لـ"عمالقة طولهم 100 قدم". هو نتيجة نشاط بنائي دائب منذ ما يزيد على 4700 سنة ويستمر إلى اليوم.

معبد آمون-رع، وهو صرح الكرنك الرئيسي، هو أكبر الصروح الدينية التي بنيت على الإطلاق. الملوك الذين توالوا على العرش جددوا ورمموا ووسعوا وأضافوا وطرحوا وعدلوا وغيروا في بناء الكرنك.

أول الصروح التي عثر عليها بالكرنك تعود إلى الدولة الوسطى. كل ملك بدوره كان يتنافس مع أجداده لكي يبني أثراً أكبر هناك، فقام الملوك بهدم الصروح السابقة واستخدموا الأحجار لبناء صروح جديدة.

أنجب تحتمس الأول، من زوجة أخرى غير ملكية "موتنيفريت"، طفلا عليلا، هو "تحتمس الثاني". فترة حكمه (1518-1504ق م). حسب التقاليد، ولكي يصبح ملكا، تزوج تحتمس الثاني من حتشبسوت، التي كانت دماؤها ملكية، من ناحية الأب والأم، عمرها في ذلك الوقت كان 12 سنة، استمر الزواج 20 سنة.

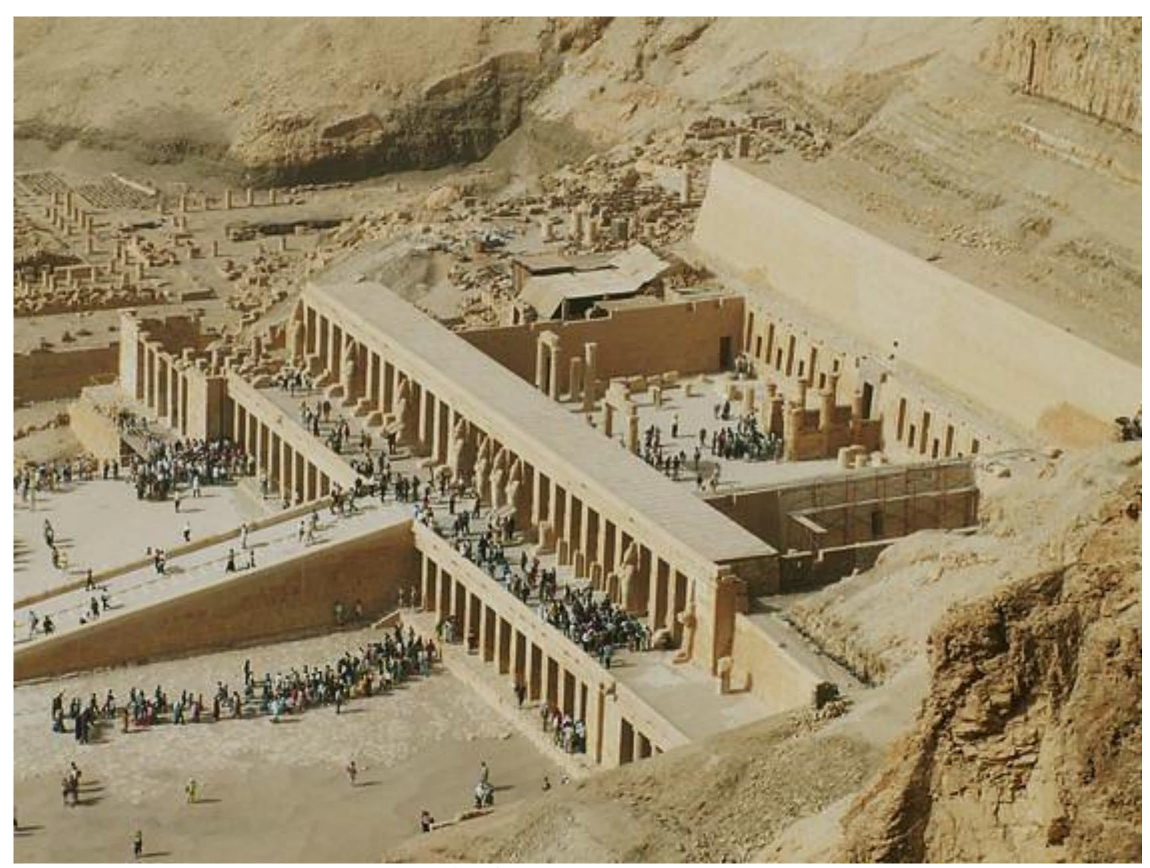
تحتمس الثاني، أنجب من زوجة ثانية أو محظية اسمها "إيزيت"، الطفل "تحتمس الثالث". عندما توفى تحتمس الثاني، أصبح ابنه الطفل تحتمس الثالث ملكا للبلاد. فمن يدير شئون الدولة في ذلك الوقت، وقد توسعت وأصبحت إمبراطورية كبيرة؟

حتشبسوت (1498-1483ق م)، التي ورثت قوة الشخصية والذكاء والشجاعة عن جدتها "أحوتب"، أصبحت الوصي الشرعي على الطفل الملك تحتمس الثالث. أمرت بحلق شعر رأسه، ألبسته الجلباب الأبيض، وأرسلته إلى كهنة آمون لكي يعلموه الدين والحكمة وأسرار العلوم، وتفرغت هي للحكم.

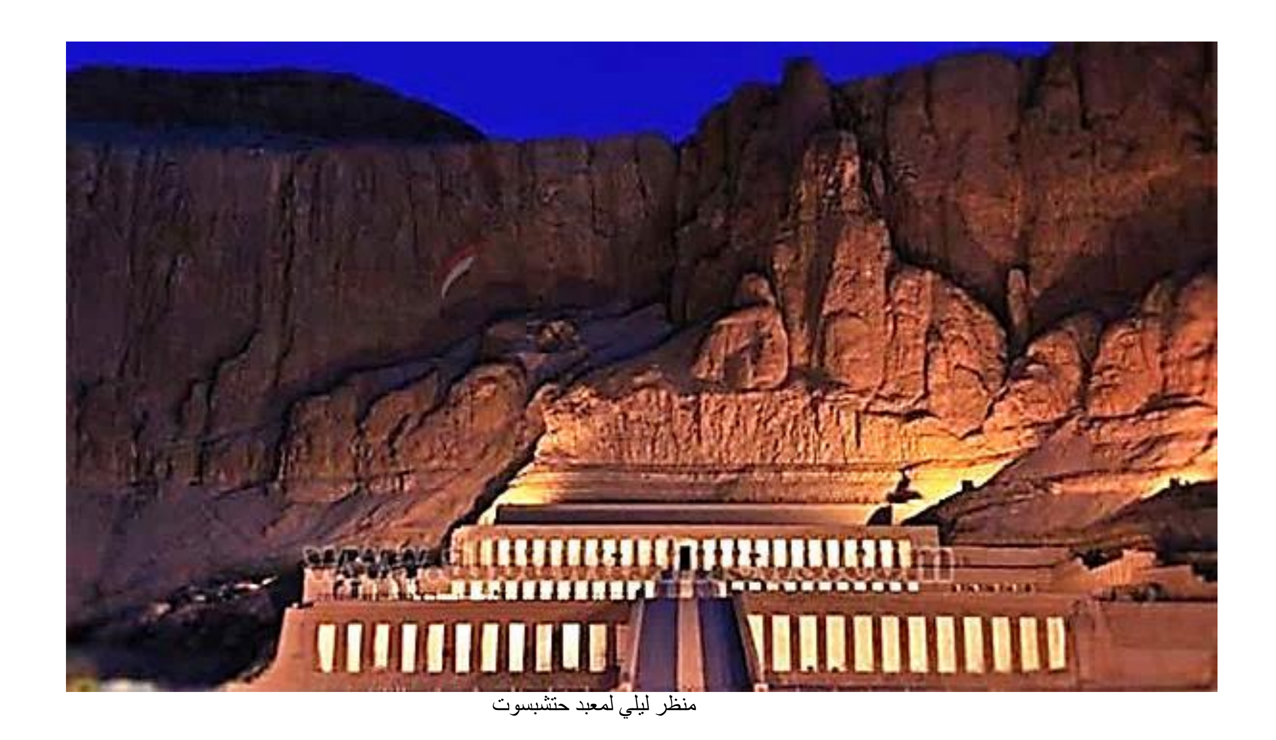

حتشبسوت

حكمت البلاد باسم تحتمس الثالث 7 سنوات، وباسمها كملكة متوجة 15 سنة. فهي الأحق، لأن أبوها ملك وأمها ملكة، وأرملة ملك. لذلك، من ناحية الدماء الملكية، تحتمس الثالث، لا يستطيع أن ينافسها في النقاء والقداسة.

في مدينة الأقصر، بجوار معبد مونتحتب الثاني، شيدت حتشبسوت رائعة الروائع، قدس الأقداس، معبد الأقصر الذي ليس له نظير ولا شبيه في العالم. المعبد استخدم كدير مسيحي فيما بعد، لذلك يعرف الآن ب "الدير البحري".



معبد حتشبسوت الدير البحري


منظر ليلي لمعبد حتشبسوت

يصف المؤرخون حتشبسوت بأنها، في العالم القديم، تشبه الملكة فيكتوريا في إنجلترا، في قوة شخصيتها وإنجازاتها. مهما قيل عن حتشبسوت، من أنها عمة وحماة قاسية متعطشة للحكم، عزلت ابن أخيها وزوج ابنتها تحتمس الثالث، وسرقت منه الحكم.

إلا أن الثابت، هو أنها شخصية فريدة في التاريخ. بلغ بها الجرأة أنها نصبت نفسها ملكة مصرية على البلاد. في وقت فارق في تاريخ مصر. فالامبراطورية المصرية وليدة لها أعداء كثيرون.

الوريث لا يزال صبيا، أو شابا يافعا بدون خبرة في الحكم. ليس هذا فقط، ولكن مدة حكمها الطويلة، 22 سنة، تميزت بالسلام والازدهار الاقتصادي. معبدها الرائع، يحكي قصتها بالتفصيل.

في عام 1829م، قام "شامبليون"، الذي فك رموز الكتابة الهيروغليفية، بزيارة معبد حتشبسوت. وجد هناك شيئا محيرا. وجد رسمين لحتشبسوت، أحدهما في وضع أقل من الرسم الآخر.

عالم المصريات الألماني "ريتشارد ليبسيوس"، حل هذا اللغز عام 1850م. حتشبسوت، انتقلت من مجرد الزوجة الأولى للملك، وأصبحت هي نفسها ملكة حاكمة. جدران المعبد تخبرنا أنه كلما وجد اسمها محفورا داخل خرتوش، استبدل باسم أبيها أو زوجها أو زوج ابنتها. محاولة لطمس اسمها من الوجود.

تخبرنا جدران المعبد أيضا، أنها أرسلت البعثات التجارية إلى بلاد بونت (إريتريا والصومال)، أرض الله، وأرض العطر والبخور. البعثة بدأت بالمراكب من "قفط" إلى "القصير"، ثم البحر الأحمر. أبحرت في حراسة الجيش المصري، بسرعة 40 ميل في اليوم، لمدة 15 يوما (600 ميل).

ملكة بونت، نجدها مترهلة الجسم زايدة في الوزن، لا تقارن برشاقة المرأة المصرية في ذلك الوقت. معها حمارها وابنتها. بيوت أهل بونت مصنوعة من القش، مرفوعة على ركائز من فروع الأشجار. البضاعة المعروضة، عبارة عن بخور وشجيرات زينة، في سلال مملوءة بالطين، وزراف وجلود النمر وعاج، إلخ.

على الجدران أيضا، مشهد يبين الميلاد المقدس للملكة حتشبسوت. فهي ليس إنسية مثل البشر، لكن أبوها الحقيقي هو الإله آمون. لقد تخفى الإله آمون في صورة الملك تحتمس الأول، ثم زار الملكة "أحموس" في مخدعها، لكي ينجب ابنته حتشبسوت.

لأن أبيها هو الإله أمون، هي نصف إله مثل فرعون مصر، من حقها أن تحكم فتطاع. مشهد آخر يبينها وهي تخلق من صلصال على عجلة الفواخرجي. الخلق من الصلصال، كان معروفا في العالم القديم.

عند السومريين، خلق الإله" أنكى " والإلهة "نمو" الإنسان من طين. عند البابليين، خلق الإله "مردوك" الإنسان من طين. عند المصريين، خلق الإله خنوم الإنسان من صلصال. عند الإغريق، خلق الإله بروميثيوس الإنسان من صلصال. عند اليهود والمسيحيين، خلق الإله يهوا أو ألوهيم الإنسان من طين. عند المسلمين، خلق الله الإنسان من صلصال.

المعبد يبين أيضا، كيف قطعت مسلاتها الأربعة، عظيمة الحجم، من جبل الجرانيت. لقد استغرق قطعها ونقشها سبعة شهور، ثم نقلت في صندل سحب ب 27 سفينة. هي الأطول بين كل المسلات الموجودة بمصر.

أول قبر لحتشبسوت كملكة، موجود في أعلى التل، غرب وادي الملوك، به تابوت مهجور. أعمال التنقيب في المدفن الثاني لحتشبسوت بوادي الملوك، استغرقت كثيرا من الوقت والجهد، بواسطة الأثري "هاوارد كارتر"، مكتشف قبر توت عنخ آمون.

وجد بالقبر تابوتان، واحد للملكة حتشبسوت، والآخر، أعيد نقشه لكي يكون لأبيها "تحتمس الأول". لقد دفنت مع والدها، وليس مع زوجها، تحتمس الثاني، كما هي العادة. لأنها كانت ملكة البلاد، ولم تكن مجرد زوجة. بمعنى أنها أكثر من زوجة لتحتمس الثاني.

المصلى الأحمر بمعبد الكرنك، يؤكد كونها ملكة. أحد التماثيل يتنبأ بأنها سوف تصبح ملكة البلاد. بعد وفاتها ب 20 سنة، دمرت نقوش المصلى الأحمر. فلماذا انتظر تحتمس الثالث هذه المدة الطويلة، لكي ينتقم لنفسه، ويحاول محو اسمها من الوجود؟

هل الأمر انتقام شخصي، أم مجرد هاجس، أم رغبة في عدم تسجيل اسم إمرأة، كفرعون حاكم بجوار باقي الفراعنة العظام. عندما ننظر إلى قوائم ملوك مصر الفراعنة السابقين، لا نجد أبدا اسم حتشبسوت بينهم.

"سينينموت"، مهندس وسيم أعزب من عامة الشعب، صاحب الألقاب الإثنى عشر. البعض يعتقد أنه كان عاشقا لحتشبسوت. هو باني معبدها، وكان المشرف على قصرها، ومعلم ابنتها الأميرة "نفرو رع"، وأمين خزائن الإله آمون. واضح أنه كان موضع ثقة الملكة حتشبسوت.

المسلة المصرية، هي الوحيدة بين الأمم والحضارات. لها معنى ديني مثل الهرم. هي في الواقع هرم، قاعدته صغيرة، وارتفاعه كبير جدا. اسمها باللغة الإنجليزية (Obelisk)، وهي كلمة مشتقة من اليونانية، تعني "سيخ شوي اللحمة".


مسلة تحتمس الأول بالكرنك

في قصة الخلق المصرية، في الأصل كانت المياه، التي سمحت بظهور التل "بن بن". كما سمحت مياه الفيضان وما بها من غرين بظهور أرض الدلتا. على التل، ظهر الإله الخالق آتوم. (وكان عرشه على الماء)

كان الحجر الذي يمثل التل "بن بن"، يعبد في معابد المصريين. الحجر الأسود، ليس أول الأحجار التي قدست في العبادات. معابد الشمس، كانت تستخدم المسلات.

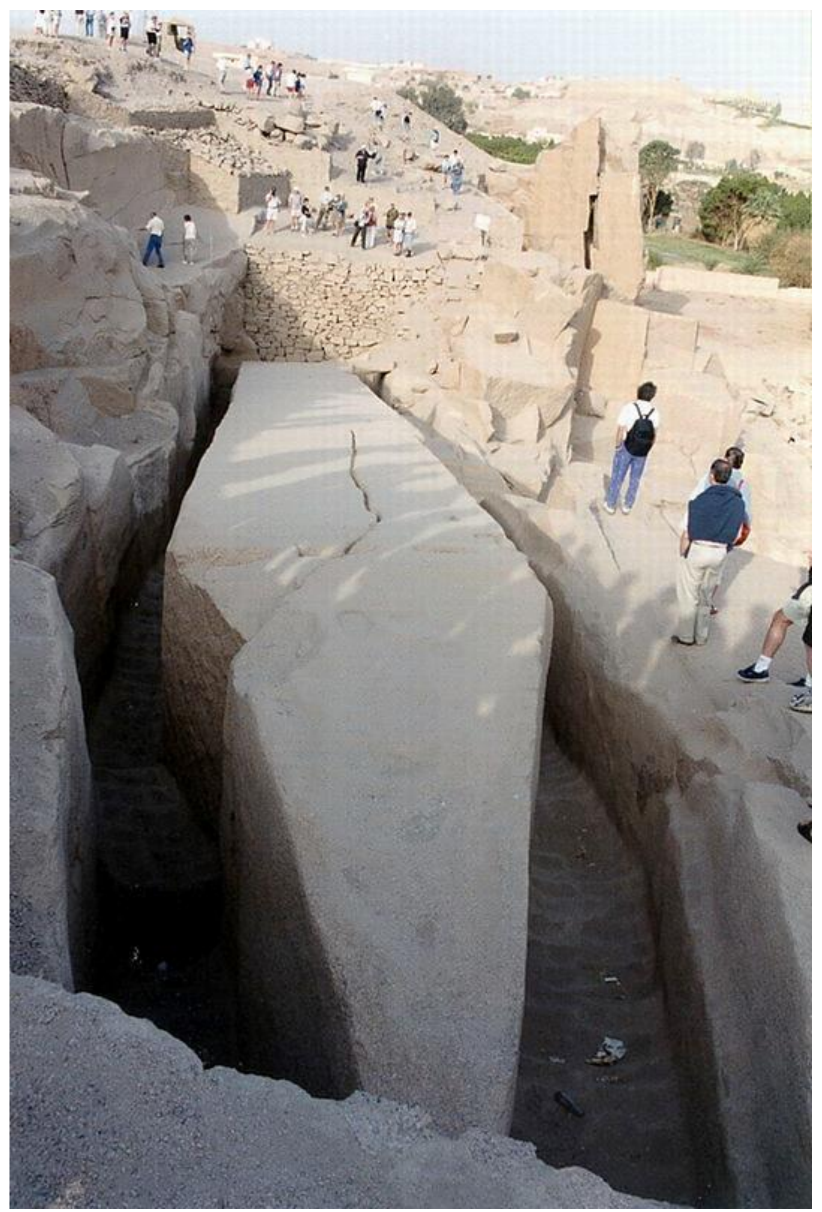
المسلة ترتفع إلى السماء لتمثل شعاع الشمس. مكتوب على جدران المسلة كتابات باللغة الهيروغلوفية، أدعية وتسابيح الملك باني المعبد، موجهة إلى الإله الذي بني المعبد من أجله.

على القمة، يوضع رمزا لتل ال"بن بن"، ربما لكي يرسو عليه إله الشمس، كما رسى آتوم على تل ال"بن بن" في ملحمة الخلق الأولى. أو للتواصل مع إله الشمس. أو لإلتقاط تعليمات الإله كما يلتقط الإيريال الهوائي موجات الراديو والتلفزيون.

مدينة "هليوبولس"، التي كانت أكثر البلاد مسلات، لايوجد بها الآن سوى مسلة واحدة. معبد الكرنك، به 12 مسلة. اثنان لتحتمس الأول، والد حتشبسوت. أربع مسلات لحتشبسوت. 6 مسلات لتحتمس الثالث. اثنتان فقط هما اللتان بقيا منتصبتين.

كانت حتشبسوت فخورة جدا بمسلاتها. رمسيس الثاني، له عشرات المسلات القصيرة بالدلتا، واثنتان في مدينة الأقصر. كل المسلات، قطعت من صخور الجرانيت الأحمر.

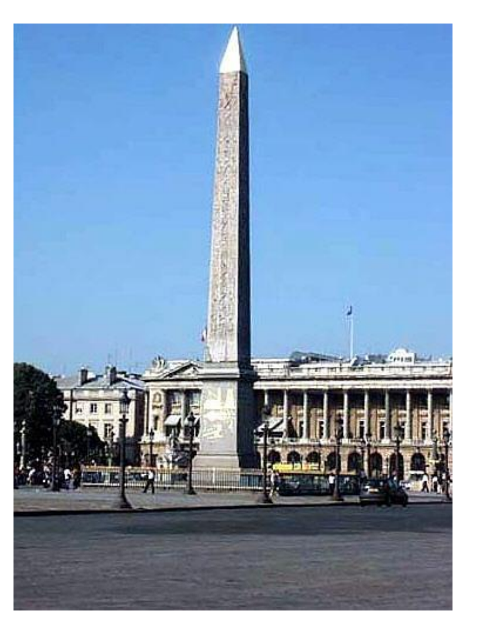
المسلة الغير كاملة، هي الأكبر بين كل المسلات التي قطعها المصريون. وزنها 1000 طن. بالرغم من الشرخ الذي بها، إلا أن قطعها لم يستخدم فيه الأزميل، فلا يوجد علامة واحدة تدل على ذلك. فبأي تقنية قطعت المسلة من الصخر؟



المسلة الناقصة، يرجع تاريخ قطعها إلى عهد الملكة حتشبسوت

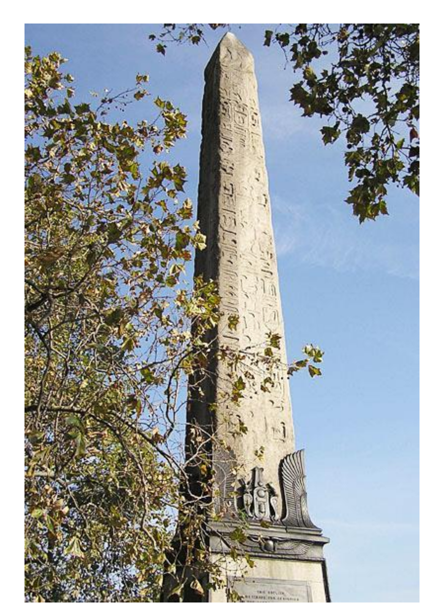
يحفر تحت المسلة، كهف، ثم تجر على بكر إلى نهر النيل. تحفر تحت المسلة قناة، ويوضع تحتها صندل بحري. عندما تكون المسلة في مكانها المضبوط، تتمركز بالطول على الصندل. ثم يسحب الصندل إلى الموقع المطلوب.

كيف تنصب المسلة واقفة؟ هناك عدة نظريات. ربما عن طريق السلالم والحبال. عالم المصريات، "مارك ليهنر"، حاول ذلك بمسلة وزنها 37 طن. لكن، هل هذه التقنية، تصلح لمسلة وزنها 1000 طن؟



غرام الرومان بالمسلات المصرية، جعل الكثير منها ينتقل إلى إيطاليا. اثنتان نقلا عام 10ق م، من هليوبليس إلى الإسكندرية. 13 مسلة نقلت إلى روما. أعيد نقشها في القرن السادس عشر. لا يعرف كيف قاموا بنصبها. مسلة واحدة نقلت إلى باريس عام 1832م.

مسلة حتشبسوت في باريس ميدان الكونكورد

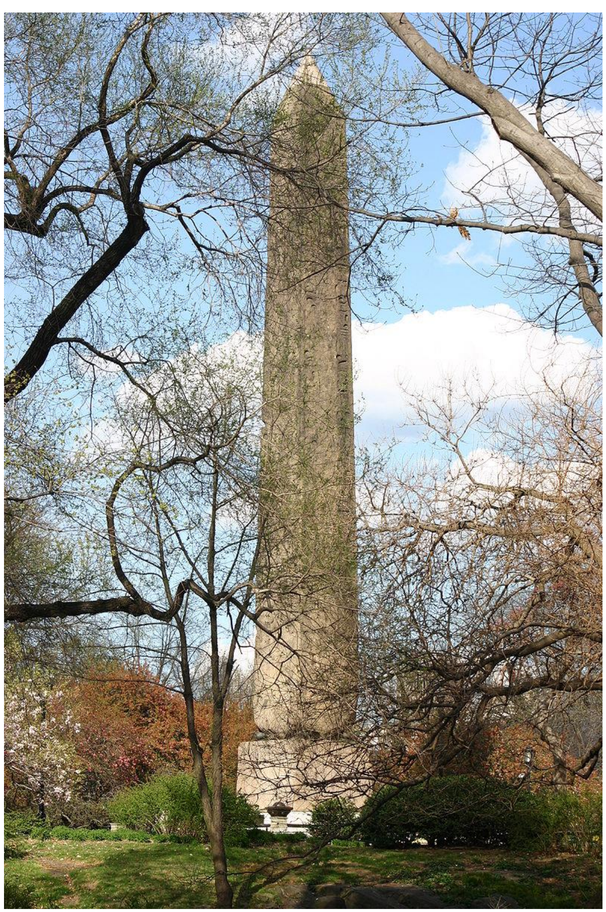


مسلتي الإسكندرية، أهداهما محمد على باشا إلى فرنسا، لكن شامبليون اختار بدلا منهما مسلة الأقصر. المسلة التي وقعت في الإسكندرية أثناء زلزال 1301م، تم نقلها إلى إنجلترا عام 1877م، كهدية من خديو مصر.

بنيت عوامة خصيصا لها، ثم سحبت في الماء إلى هناك. أثناء النقل، هبت عاصفة، قتلت 6 بحارة. لكن المسلة تم انقاذها، وهي الآن منتصبة في ميدان التايمز.

مسلة كليوباترا بلندن

مسلة نيويورك، هي الأخرى هدية من خديو مصر إلى الولايات المتحدة. ارتفاعها 71 قدم، ووزنها 200 طن. يطلق عليها اسم "ابرة كليوباترا"، هي آخر المسلات التي تركت مصر. في الأصل، كانت مسلة تحتمس الثالث، أقامها عام 1450ق م.



مسلة إبرة كليوباترا بنيويورك

نقلت من الإسكندرية عام 1880م. الأرض التي بها المسلة، كان يملكها إيطالي، طلب تعويضا. الشارع الذي به المسلة، كان مملوكا للأجانب. عارضوا نقل المسلة، بحجة أن ذلك سوف يدمر شبكة الصرف الصحي بالمنطقة. لكن تم التغلب على هذه المشاكل.

أبحرت سفينة غير مسجلة بالمسلة، يقودها بحارة يوغسلاف مخمورون. وصلت إلى جزيرة ستاتن أيلاند أولا، ثم نصبت في شارع 96 بجزيرة منهاتن بمدينة نيويورك.

بنيت للمسلة سكة حديد مخصوصة. لمدة 112 يوم، كانت المسلة تتحرك بسرعة عدة أمتار في اليوم الواحد. القاعدة التي تزن 50 طن، كانت أثقل شئ أمكن نقله بالسكة

الحديد حتى ذلك الوقت. أخيرا، نصبت المسلة يوم 22 يناير عام 1881م، في منطقة سنترال بارك، مع حضور 9000 عضو في الجمعية الماسونية.

رئيس الجمعية، ألقى خطبة عصماء، ثم وضع في الأساس 1880 قطعة نقود معدنية، تمثل السنة التي نقلت فيها، ووضع معها صندوقا صغيرا مغلقا، لا نعرف ما بداخله. المسلة، يحج إليها كل عام، ملايين الزوار، لكي يشاهدون عجيبة أخرى من عجائب التاريخ المصري القديم.

8

تحتمس الثالث

جاء في الباب السابق أن حتشبسوت (1498-1483ق م)، التي ورثت قوة الشخصية والذكاء والشجاعة عن جدتها "أحوتب"، أصبحت الوصي الشرعي على الطفل الملك تحتمس الثالث. أمرت بحلق شعر رأسه، ألبسته الجلباب الأبيض، وأرسلته إلى كهنة آمون، لكي يتعلم أصول الدين والحكمة وأسرار العلوم، وتفرغت هي للحكم.



تحتمس الثالث

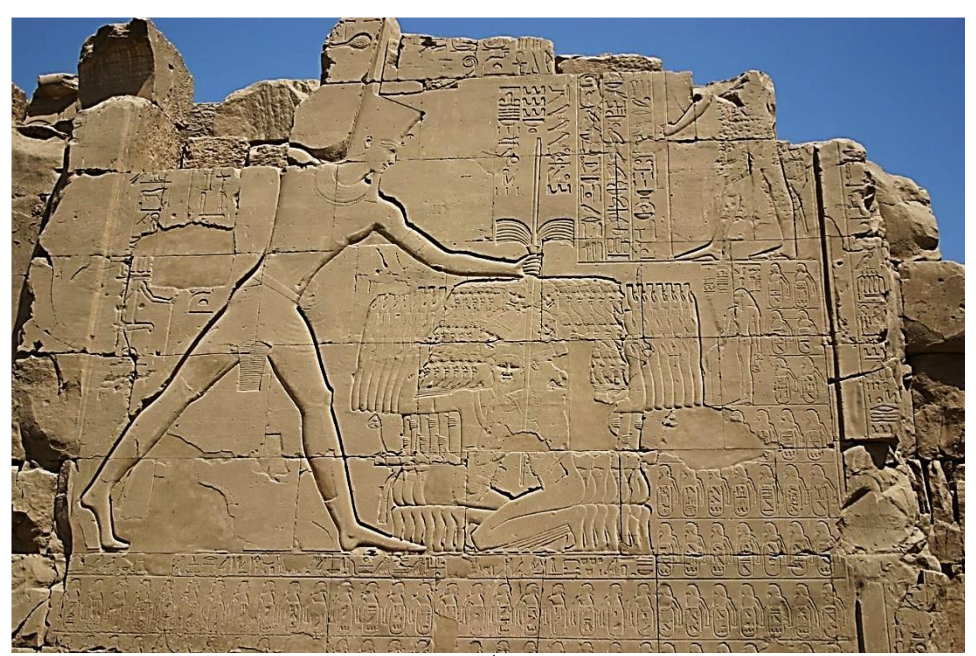
بينما كان تحتمس الثالث، يتعبد مع الكهنة في الكرنك،
مر الموكب الرهيب للإله آمون ، من فناء المعبد، احتفالا بأحد الأعياد. الكهنة يحملون الأعلام والمباخر، يسيرون أمام التمثال الذهبي للإله، المحمول على الأعناق. عامة الشعب تقف على الجانبين يشاهدون الموكب بانبهار .

كان تحتمس الثالث، يقف وهو صبي، وسط الجماهير الغفيرة يشاهد هو أيضا الموكب في خشوع. فجأة، توقف الموكب عن السير، ووقف أمام تحتمس الثالث، لا يستطيع الحركة .

حينئذ، خر الكهنة كلهم ساجدين أمام الصبي تحتمس الثالث. هذا الحادث، يبين لنا، أن كهنة آمون، كانوا يعدون تحتمس الثالث كملك وفرعون مصر القادم .

ربما لم يكونوا سعداء بحتشبسوت كملكة أنثى للبلاد .فالكهنة ورجال الدين في كل العصور، لا يحبون التجديد، ويميلون إلى الحفاظ على التقاليد الراسخة.

أثناء موقعة "ماجدو"، بعد تولي تحتمس الثالث بعامين، أثبت الملك شجاعة فائقة.
بعد تجربة الهكسوس وحروب التحرير، أصبح الجهاد والشجاعة والتضحية بالنفس في الحرب من أجل الوطن، من البطولات التي يطلبها الشباب، ويفخر بها الأهل، ويتحدث بها الركبان.


تحتمس الثالث يضرب أعداءه على جدار الكرنك

لم يعد السلام والسكينة، عشق المصريين في الماضي، من الفضائل التي يربى عليها النشء. وكما يقول زهير بن أبي سلمى:

"مَنْ لَـمْ يَـذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلاحِهِ --- يُـهَدَّمْ وَمَنْ لا يَظْلِمِ النَّـاسَ يُظْلَمِ"


العربة الحربية المصرية سريعة الحركة سهلة المناورة

فرسان الجيش، باتت لهم منزلة خاصة في المجتمع المصري. العربة الحربية، السلاح الجديد في الجيش المصري، خفيفة الوزن، سريعة الحركة، سهلة المناورة، يجرها اثنان من الخيول. صنعت هكذا، لكي تتغلب على عربات الأعداء الثقيلة البطيئة والتي تجرها عدة أحصنة.

تصنع من ثلاثة أنواع من الأخشاب. يركبها رامي النبال مع السائق. هي السلاح الرئيسي في المعركة. لكن للأسف، كانت تتحطم بكثرة أثناء المعارك.

المشاة، هم الجزء الأكبر من الجيش. يتحركون بسرعة 15 ميل في اليوم الواحد. كل منهم، يحمل درعا مستديرا من الخشب أو البرنز، وسيفا أو رمحا. هم من عامة الشعب غالبا. الرماة، يكونون الجزء الثالث من الجيش. الملك، يقود في المقدمة في عربته الحربية.

أثناء حكم حتشبسوت، انفصلت فلسطين وسوريا عن الامبراطورية المصرية. لذلك، قرر تحتمس الثالث، بعد أن صار ملكا، أن يفعل شيئا لاسترجاعهما. كان أمامه أن يختار طريقا من بين ثلاث طرق للهجوم. اختار تحتمس طريق الوادي الضيق المحفوف بالمخاطر. على عكس نصيحة قواده.

لكي يعبر الوادي الضيق، كان يسير الرجل خلف الرجل، والحصان خلف الحصان. لقد فعل ذلك نابليون بونابرت تماما، عام 1800م، عندما غزا إيطاليا عن طريق مضيق "سانت برنارد" في جبال الألب، لكي يفاجئ الجيش النمساوي الأكثر عددا، ويستعيد منه السيطرة على إيطاليا.



عبور نابليون مضيق سانت برنارد بجبال الألب

فاجأ تحتمس الأعداء، الذين لم يتوقعوا قدومه من هذا الطريق، ففروا هاربين. انشغال الجنود المصريين بجني الغنائم والأسلاب، جعل الفارين يتحصنون داخل أسوار مدينة "ماجدو"، 30 ميل جنوب شرق حيفا. الحصار استمر 7 شهور. أثناء الحصار، اخترع المصريون ما يشبه الدبابة. هدموا بها الأسوار وسقطت ماجدو في أيديهم.

لم يتوقف تحتمس الثالث عند ماجدو. واصل حملاته في سوريا والمنطقة لمدة 20 سنة. فتح 350 مدينة، في فترة حكمه، وقهر الشرق الأدنى، من الفرات حتى بلاد النوبة، خلال 17 حملة عسكرية.

قاد مستعمراته من مصر، و أعطى لكل منها حكما ذاتيا. الإدارة في عهده كانت قوية. كان معاونيه وكبار الموظفين ذو كفاءة عالية. قام بأربعة حملات في آسيا، ليدحر تحالف ملك سوريا مع ملك قادش (مدينة سورية). وأربعة حملات أخرى ليهيمن على الموانى الفينيقية.

هزم تحتمس الثالث الميتانيين و طردهم بعد نهر الفرات، ليعيد رسم حدود مملكة تحتمس الاول بعد أول حملتين. دولة ميتاني كانت تقع شمال الهلال الخصيب في سوريا والعراق حاليا. للسيطر على آسيا، سيطر على قادش. هو الأول بعد تحتمس الأول، الذي يعبر نهر الفرات، أثناء حربه مع الميتانيين.

المصريون يؤمنون بالبعث والحياة الأخرى. الموت خارج الأراضي المصرية، قد يعوق طلب الخلود. فضلا عن كون الديانة المصرية في عمقها، لا تشجع على الاحتلال وإقامة مستعمرات استيطانية خارج مصر.

لذلك، كانوا يكتفون بولاء هذه البلاد لهم، أو إخضاعها لحكمهم، تحت إمرة حاكم مصري، أو حاكم موال من هذه البلاد. لهذا، كان الجيش المصري، خارج الأراضي المصرية، دائم الحركة، في شبه حرب مستمرة.

كان المصريون يأخذون أبناء أمراء بلاد الفتوحات، يرسلونهم إلى مصر، ويقومون بتدريبهم وتعليمهم وتثقيفهم. وكانوا يختارون من بينهم، الولاة على مواطنيهم. لذلك كان الأمراء عادة راضين عن الحكم المصري لهم.

هذه سياسة حكيمة، قلت بسببها الحروب التي كانت تنشأ أحيانا بين الطوائف و المقاطعات المختلفة في بلاد الشام وفلسطين. فازدهرت التجارة والصناعة وتبادل المنتجات والمواد الأولية فيما بينهم ومع مصر.

انشأ تحتمس الثالث أسطولا بحريا قويا، سيطر به على الكثير من جزر البحر المتوسط مثل قبرص. وبسط نفوذه على الساحل الشرقي للمتوسط. كان يحمل المراكب على الحمير والبغال لكي يحاصر بها جيش الأعداء من الخلف.



نموذج لسفينة حربية من أسطول رمسيس الثالث

فهو أول من أقام امبراطورية كبيرة، امتدت
من شمال الفرات، حتى الشلال الرابع جنوبا. كتب عنه مؤرخ قديم بأنه، لا توجد قوة في الأرض تستطيع أن تواجه الجيش المصري، بقيادة تحتمس الثالث. فهو أبو الامبراطوريات، ونابليون الشرق. يعد من العبقريات العسكرية.

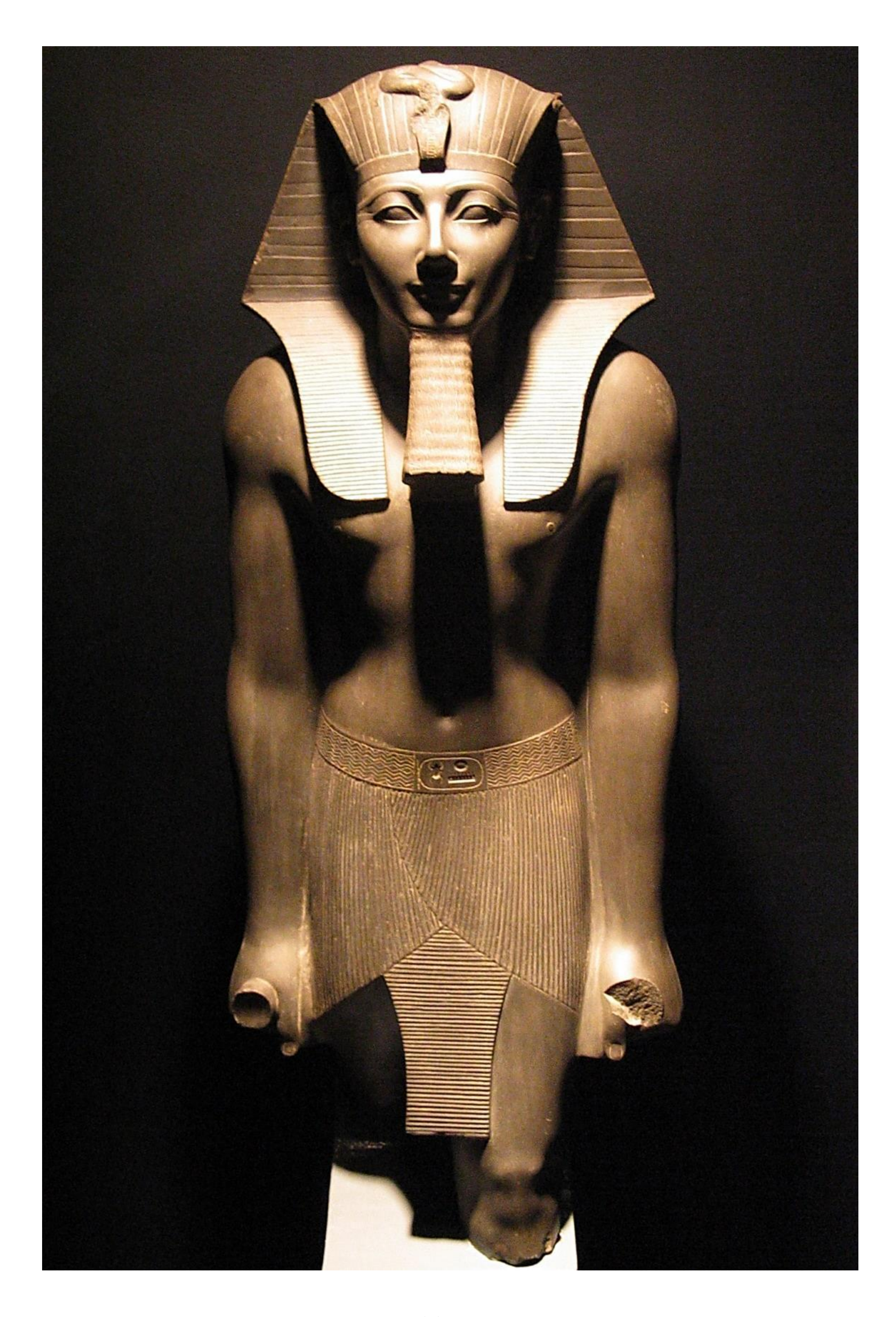
تُدرّس خططه، في العديد من الكليات والمعاهد العسكرية. اهتم بالجيش وجعله نظاميا. أتقن المصريون في عهده، صناعة النبال والأسهم، التي أصبحت ذات نفاذية خارقة، يعترف بها مؤرخو أيامنا هذه.

هو أول من قسّم الجيش إلى قلب وجناحين. استعانت الامبراطورية البريطانية، بالعديد من خططه في معاركها. خاصة ما قام به اللورد اللنبي في معاركه مع الدولة العثمانية، في الحرب العالمية الأولى.



اللورد اللنبي

تمثال تحتمس الثالث، به ملامح من عمته حتشبسوت، وخصوصا الأنف.



تحتمس الثالث

حجرة الآخ-منو المعروفة بحديقة النباتات بمعبد الكرنك، منحوتة بالنقش البارز. تبين رسومات رائعة لنباتات وحيوانات جمعها تحتمس الثالث في حملاته الحربية. ما الذي يجعل تحتمس الثالث يهتم بشئ مثل هذا؟ الحكاية عاوزة تفكير.

تمثل هذه الرسومات طيورا وحيوانات وأزهارا وثمارا وأشجارا وبذورا نادرة من آسيا وأفريقيا الغربية، التي لم تُرَ أبدا في مصر من قبل. هناك أيضا رسوم للأعضاء الداخلية للحيوانات وأجزاء صغيرة من نباتات غريبة ومخلوقات عجيبة مدهشة بها أخطاء جينية. وبكلمات أحد العلماء، حديقة النباتات هذه بمثابة "خزانة تحف".

هذا ما فعله الاسكندر الأكبر فيما بعد، فقد كان يجمع عينات من النباتات من البلاد التي يغزوها، ويرسلها إلى أستاذه "أرسطو".



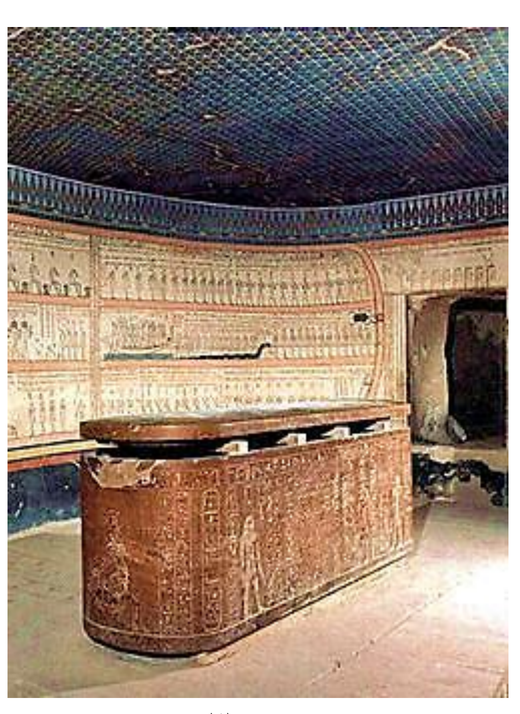
حجرة الآخ-منو بالكرنك

وكان نابليون ومن معه من العلماء، يجمعون عينات من النباتات والحيوانات التي يجدونها في مصر. قاموا بتسجيلها في كتابهم الهام "وصف مصر". على الجدران أيضا، كان تحتمس الثالث يسجل انتصاراته الحربية.

بعد فترة من حكمة، بدأ تحتمس الثالث في طمس اسم حتشبسوت من كل السجلات. يبدو أن الأمر لم يكن مجرد انتقام، بقدر ما هو رجوع للتقاليد التي تطلب من الفرعون أن يكون رجلا.

في بداية القرن العشرين، وجد اللصوص قبر ثلاث أميرات سوريات من حريم تحتمس الثالث. حلي الرأس الذهبية الخاصة بهم، موجودة حاليا في متحف المتروبوليتان بمدينة نيويورك. بينما كان تحتمس يحارب في سوريا، كان يقوم في نفس الوقت بالزواج الدبلوماسي.

قبر تحتمس الثالث، في الخلف من وادي الملوك، فريد في نوعه. القبر في مكان بعيد مرتفع، ربما لإخفائه عن أعين اللصوص. العمال اكتشفوا ممرا ينخفض إلى عمق 100 قدم في الجبل. غرفة الدفن محفورة على شكل الخرتوش الملكي الذي تكتب فيه أسماء الملوك. ربما لحماية القبر بالقوة السحرية.



قبر تحتمس الثالث

التابوت أيضا في شكل الخرتوش. الرسوم على الجدران عبارة عن تعاويز دينية، مرسومة كأنها ملصقة على أوراق البردي. تحتمس الثالث، هو الأول الذي كتب "كتاب الموتى" الخاص به على جدران القبر، لا على أوراق البردي. الدرجات الموصله للقبر، ألغيت بعد ذلك، لتضليل اللصوص.

مات تحتمس وعمره 82 سنة، حكم 54 سنة. لم يعرف تاريخ مصر ملكا بكى المصريون وحزنوا عليه، حزنهم على تحتمس الثالث. قامت له أضخم جنازة في التاريخ القديم.

لم يكن تحتمس الثالث عظيما بسبب فتوحاته وأمجاده الحربية فقط، ولكنه كان ملكا عادلا كريما رؤوفا بشعبه. من أشهر تعليماته لوزيره رخمي رع:

"لا يرضى الرب بالظلم، فكن يقظا. منصب الوزير هو أساس الملك وعماد الأرض. لا تستعبد الناس. استمع للشاكى وامسح دموع الباكي، من الجنوب أو من الدلتا، أو من أى مكان. احكم بالقسطاس ولا تنحاز، حتى لا يمقتك الرب. كن عادلا مع من تعرفه ومن لا تعرفه".

"أمنحتب الثاني" (1453-1419ق م)، ابن وخليفة تحتمس الثالث، حكم 30 سنة. رجل عسكري مثل والده. بعد حملته على بلاد النوبة، نجد 7 أمراء نوبيين معلقين من أرجلهم قتلى على صواري سفينته. 6 منهم، تم تعليقهم على جدران الكرنك. قبره في وادي الملوك، دفن فيه أيضا الملوك، أمنحتب الثالث وتحتمس الرابع، وآخرين.


أمنحتب الثاني

تحتمس الرابع (1419-1386ق م)، حكم 30 سنة. ستيلا الأحلام الموجوده بين مخالب أبي الهول، تخبرنا عن ضعف الحكم. الستيلا (اللوح)، تقول أن أبا الهول، جاء لتحتمس الرابع في الحلم ليخبره، أنه إذا أمكنه إزاحة الأتربه حول أبي الهول، فسوف يصبح فرعونا لمصر. ربما يعني هذا أن تحتمس الرابع، لم يكن الوريث الشرعي.


تحتمس الرابع

هناك مسلة، في الأصل تخص والده تحتمس الثالث، نصبت وهي لم تكتمل في معبد الكرنك لمدة 35 سنة. مسلة وحيدة، مع أن المسلات تقطع أزواجا، كي توضع في مداخل المعابد. هي الآن في روما، ارتفاعها 105 قدم، أعلى مسلة في العالم.



أطول مسلة مصرية في العالم بروما

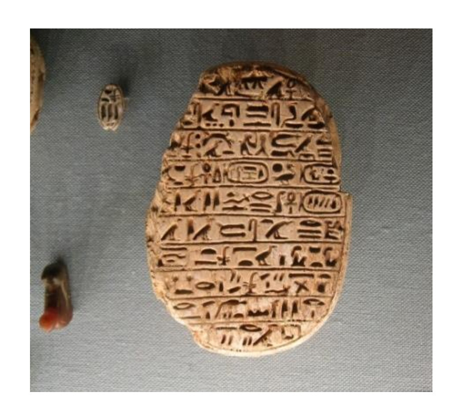
"أمنحتب الثالث" (1386-1349ق م)، الذي يعني اسمه "رضاء آمون"، حكم 36 سنة. مما يدل على استقرار الحكم. في ذلك الوقت، كانت توجد عاصمتان لمصر. طيبة

(الأقصر حاليا)، العاصمة الدينية في الجنوب. منف(البدرشين بالجيزة حاليا)، العاصمة السياسية، في الشمال.

الملك كان يقضي وقته بين العاصمتين. أمنحتب الثالث كان يستخدم الجعارين كرسائل تلغراف. على قاعدة الجعران، كان يكتب الرسالة بالهيروغليفية. هي أول رسائل تلغراف في التاريخ. تنبئ عن أحداث هامة في مصر، مثل زواج الملك بعد سنتين من حكمه، أو حضور الملكة "تي" من السفر، إلخ.



جعران الزواج



الكتابة على قاعدة جعران الزواج


الملكة تي

الملكة "تي"، زوجة أمنحتب الثالث، من عامة الشعب. لكنها من عائلة مرموقة. والدها كان ضابطا بالجيش المصري، أخوها كان وزير شئون الدلتا، في عهد زوجها.

الجعران الخاص بصيد الثيران البرية، يقول أن
أمنحتب الثالث، قام باصطياد 56 ثورا في يوم واحد. الجعران الخاص بصيد الأسود، يزعم أن الملك قد اصطاد 102 أسدا في 10 سنوات. النوبة كانت تحت الحكم المصري، وربما كان الملك يقود جماعة للصيد، وليس بمفرده.

في مدينة طيبة، حفر أمنحتب الثالث بحيرة صناعية، بطول ميل، لزوجته الملكة "تي". تطفو على سطحها بقاربها، "أتن اللامع"، في ضوء البدر، مع ضيوفها وخدمها. قمة الرومانسية وحب الحياة.

كان أمنحتب الثالث دبلوماسيا، أكثر منه غازيا. له زيجات كثيرة. معظمها، نتيجة تحالفات دبلوماسية. لقد تزوج أمنحتب أميرة "ميتانية"، منطقة شمال العراق وسوريا وجنوب تركيا حاليا. لكن الملكة "تي"، لازالت في الصورة.

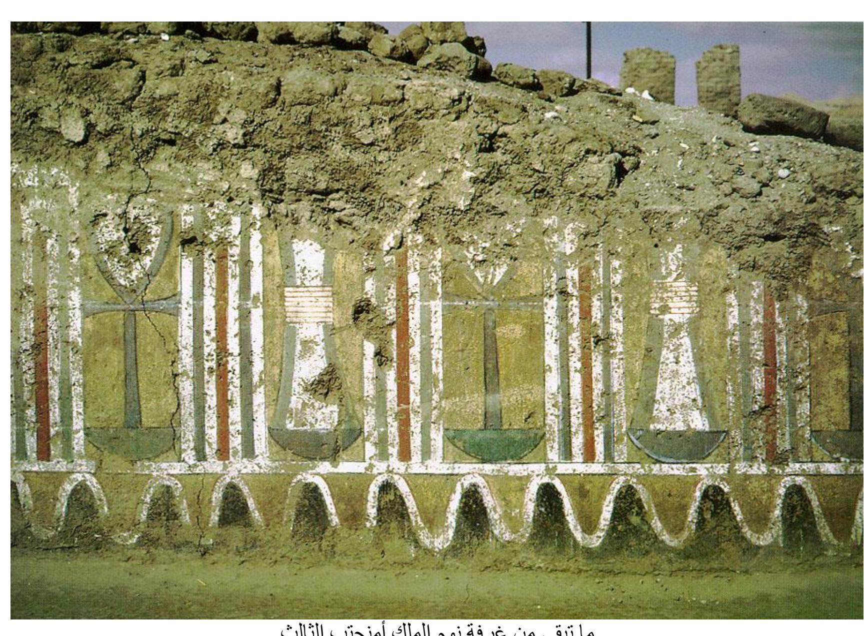
ثروة مصر كانت هائلة في ذلك الوقت. أتت من مصادر أخرى بجانب الحملات العسكرية. الذهب كان يأتي من وادي الحمامات، بين قفط والقصير، وبلاد النوبة.

التجارة الدولية، ساهمت كثيرا في ثراء مصر. العمارة في مدينة طيبة، جاءت نتيجة مشاريع البناء التي قام بها أمنحتب الثالث. هو الذي خصص معبد الأقصر للإله آمون. المهندس الذي بناه هو "أمنحتب-بن-حابو". تم تأليهه فيما بعد.



معبد الأقصر في طيبة

قصر "مالكاتا" على الضفة الغربية للنيل، بناه الملك من الطمي، ونقش حيطانه بالرسوم. المصريون كانوا يبنون بيوت السكن في الدنيا الفانية من الطمي، وقبورهم ومعابدهم من الحجر. القصر به العديد من الغرف. تسع الأولاد والزوجات. تهدم معظمه، ولم يتبق منه إلا القليل.



ما تبقى من غرفة نوم الملك أمنحتب الثالث



نقوش سقف غرفة نوم الملك أمنحتب الثالث بعد إعادة رسمها

القصر له اسم آخر، هو "قرص الشمس المبهر لكل البلاد". هذا يبين لنا أهمية قرص الشمس في هذا الوقت، الذي سوف تزداد أهميته في المستقبل القريب.

في أيامه الأخيرة، انتقل أمنحتب الثالث إلى طيبة، لكي يعيش في قصره. عادة، يعيش الفرعون في مدينة منف. ثم أصبحت طيبة مدينة هامة، العاصمة الدينية ومسكن الملك. من هنا يتبين لنا أهمية الدين في حياة المصريين.

المعبد الجنائزي، يختلف عن مكان الدفن، لا وجود له الآن، كان يوجد في مدخله، تمثالان عملاقان. هما تمثالي ممنون. ارتفاع كل منهما 60 قدما. (ممنون اسم يوناني). أحد التمثالين كان مشروخا، تصفر فيه الرياح عندما يتمدد الشرخ مع شمس الصباح. عندما عولج الشرخ، لم يعد التمثال يتكلم كما كان في الماضي.



تمثالي ممنون

قبر أمنحتب الثالث، هو الأول في وادي الملوك. المومياء الخاصة به، تبين مشاكل في الأسنان واللثة في سنواته الأخيرة.

9

إخناتون إمام الموحدين

"أعرفك كما لم يعرفك أحد من قبل
عدت إلى بيتي أخيرا
لقد فنيت في بحر ضيائك
لكي أبعث، لا لأموت
لهذا الموت، الذي هو حياة، أحمدك، يا أبتي
أنت أبدي، يا ضياء الكون الذي لا يموت
آتون، الواحد الأحد"
من ترانيم إخناتون للإله آتون.

إخناتون، هو نفسه "أمنحتب الرابع"، ابن "أمنحتب الثالث" الذي حكم 36 سنة، وتميز عصره بالرخاء والنهضة الفنية والعمارة. تحدى إخناتون السلطات الرئيسية الثلاث، التي يقام عليها المجتمع المصري القديم: سلطة الفرعون، سلطة الجيش، سلطة كهنة آمون. وقام بقلبها كلها رأسا على عقب.


إخناتون

لكن كيف نقيم إخناتون؟ ما نعرفه أنه ترك لنا إرثا رهيبا من الفكر. هو أول الموحدين وإمامهم. له رؤية دينية غير مسبوقة. الأدب والفكر والفنون التي أنتجت في عهده، ليس لها مثيل، ولا يعلى عليها في الجودة والرقي. توت عنخ آمون، ربما يكون ابنه، ووريثه.

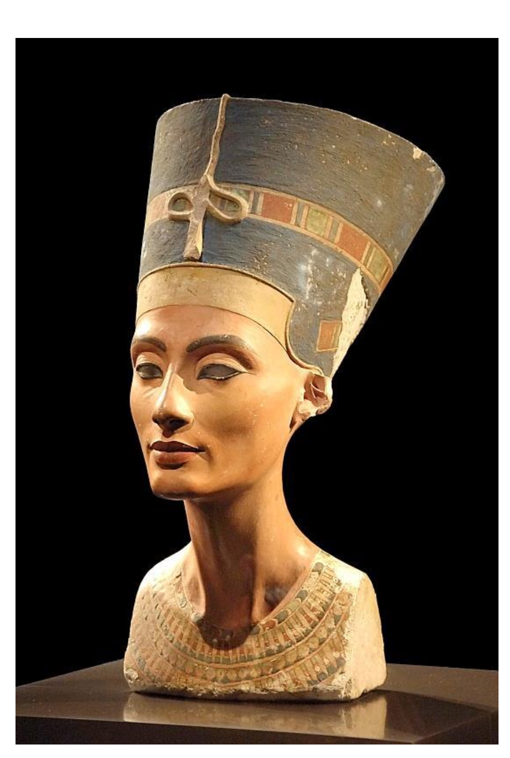
لقد حاول إخناتون فجأة، تغيير كل شئ في حياة مجتمع، هو من أشد المجتمعات التي عرفها التاريخ، تمسكا بالعادات ومحافظة على التقاليد. أدرك مساوئ الانغماس في حياة الترف، وخطورة شرذمة الوطن وتعدد الآلهة، وانتشار الأساطير والسحر.

وهب الله مصر السماء الصافية، والمناخ المعتدل، والفيضان الذي يوفي في ميعاده كل عام. أي تغيير، يعني كارثة. فلماذا لا يكون المصريون شعبا محافظا، يكره التغيير؟

الفنان المصري القديم، لا يريد أن يكون فريد عصره وأوانه، مميزا عن الآخرين. يكفيه فخرا، أن يكون عمله في مستوى من سبقوه من الفنانين العظام. لذلك ظل الفن المصري القديم قرابة 3000 سنة بدون تطور أو تغيير يذكر.

الفرعون، هو رمز لمصر لآلاف السنين. المصريون يعبدون نفس الآلهة ما يزيد على 2000 سنة. "معات" رمز الحق والعدل، هي نفسها في الدنيا والآخرة وفي كل البلاد والعصور.

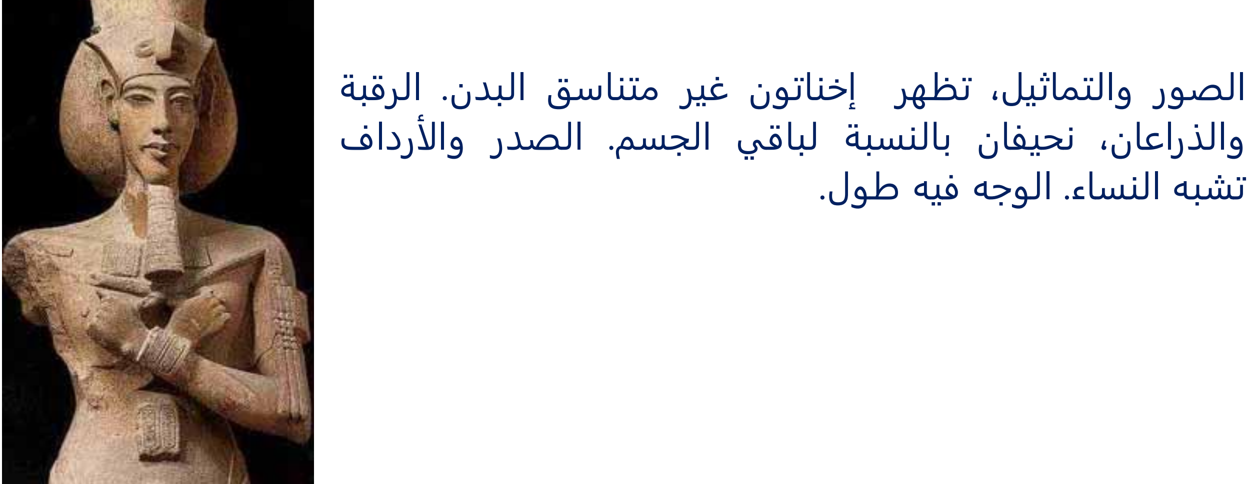
بدأ أمنحتب الرابع، كما يبدا كل الملوك الفراعنة. كان يشارك الحكم مع والده مدة الأربع أو الخمس سنوات الأخيرة. ربما بسبب مشاكل أسنان الوالد الصحية. أكمل تماثيل والده وفقا للتقاليد المرعية. تزوج أمنحتب الرابع من الجميلة "نفرتيتي".



نفرتيتي

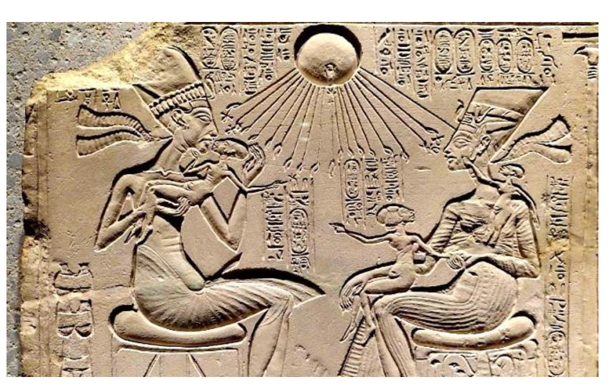
اختلف المؤرخون في أصلها. هل هي أميرة من إخميم، أم أميرة ميتانية، أم أخت إخناتون، أم من عامة الشعب؟ ثم بدأ التغيير الكبير في الأصول والدعامات الكبيرة التي يقف عليها المجتمع المصري.

قام أمنحتب الرابع بتغيير اسمه إلى إخناتون، في السنة الخامسة من حكمه، الذي استمر 21 عاما (1367-1337ق م). الإسم له معنى كبير في مصر القديمة.



الصور والتماثيل، تظهر إخناتون غير متناسق البدن. الرقبة والذراعان، نحيفان بالنسبة لباقي الجسم. الصدر والأرداف تشبه النساء. الوجه فيه طول.

إخناتون غير متناسق البدن



كان يأمر الفنانين والرسامين أن يصوروه في مختلف أحواله وأثناء ممارسته لأمور حياته اليومية. مع أسرته، أثناء فرحهم وحزنهم وجدهم وعبثهم. كل هذا حتى لا يؤلهه الرعية. ولكي يصدقوا نبوته ويؤمنوا بدعوته. فضلا عن أن هذا هو الصدق الذي يلتزم به.

إخناتون في جلسة عائلية يداعب أطفاله

هذا لم يحدث بالنسبة لأي من الملوك الفراعنة قبله. فالفرعون، كان يظهر في التماثيل والصور، في أحسن صورة، مليء بالشباب والقوة.

عبادة إله الشمس كانت هي الديانة السائدة في مصر القديمة منذ عصور سحيقة. كل شعوب العالم القديم تقريبا، عبدت الشمس فى يوم من الأيام. هم فى ذلك، لم يكونوا أغبياء أو سذج. فقد وجدوا أنهم لا يستطيعون أن يعيشوا بدون الشمس، ولا حياة بدونها.

هى التى تمدهم بالدفئ والضياء. النباتات تحتاج إلى ضوئها لكى تعطي الأكسوجين والغذاء. إننا نستطيع أن نعيش بدون القمر وباقي الكواكب والنجوم. لكن لا نستطيع أن نعيش بدون الشمس.

من روائع ألحان سيد درويش، تغني الفلاحات ببراءة وعفوية، احتفالا باستقبال الفجر الجديد:

طلعت يا محلا نورها – شمس الشموسة
ياله بنا نملا ونحلب – لبن الجاموسة



طلعت يا محلا نورها


أبوللو إله الشمس

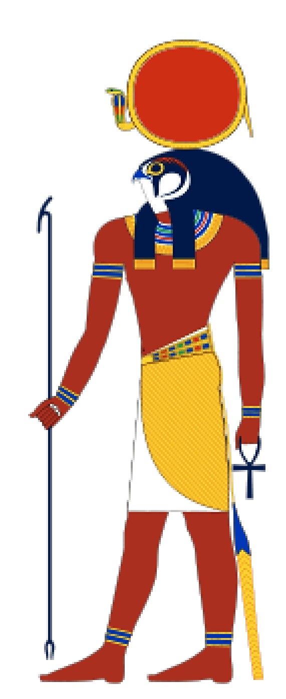
بعض الشعوب تخيلت أن الشمس، إله يعبر السماء فى مركب، أو فى مركبة تجرها الخيول، أو داخل كوب كبير. أبوللو إله الشمس عند الإغريق والرومان، كان يعبر السماء فى عربة حربية تجرها أربع خيول هى: "بيريوس"، و"أيوس"، و"أثون"، و"فليجون".

إله الشمس عند اليابانيين أماتيراسو، وعند الإغريق هيليوس أو أبوللو، وعند الرومان أبوللو أو سول، وعند الهنود جارودا أو سوريا، وفى مصر القديمة خبرى ورع وآتوم وآتون، وعند البابليين شماس.

إله الشمس والفرعون، هما جوهر الديانة المصرية القديمة عبر القرون. دور إله الشمس اليومي، هو ضمان بقاء مخلوقاته. رحلة إله الشمس اليومية عبر السماء، كما تظهرها رسوم المعابد، تدل على أن هذا العالم يدار بانتظام وتدبير. الملك له دور في هذا النظام اليومي، على الأقل خلال كهنة الإله.

يقوم رع، برحلته اليومية من موت وإعادة حياة، ثم موت في نهاية كل نهار، وبعث مع بزوغ الفجر. مع هذه الدورة، تسافر أرواح الأموات مع إله الشمس، لكي تبعث من جديد.

يطلق المصريون عدة أسماء على إله الشمس: هى "خبرى" عند الشروق، و"آتوم" عند الغروب، و"رع" عندما تتوسط الشمس كبد السماء. آلهة مختلفة أو صور مختلفة لنفس الإله.


رع إله الشمس

"رع" في مدينة هيليوبوليس، أصبح إله الشمس المفضل، فاقت أهميته الإله الخالق "آتوم". ثم دمج الإثنان في تصور واحد هو "رع-آتوم". وظهر أيضا مصاحبا لإله الأفق لكي يصبح "رع-حور-اختي".

كإله عظيم، دُمج "رع" أيضا مع آلهة كثيرين. "آمون-رع"، "آمون-رع-حور-اختي"، "سوبك-رع"، "خنوم-رع"، إلخ. أوزوريس، إله الأموات والعالم السلفي، والذي تعرف عن طريقه الأموات، بدأ يظهر مصاحبا ل"رع". باقي الآلهة، بدأت تظهر هي الأخرى مصاحبة له.



الكاهن يقدم العطور للإله رع-حور-اختي

قد يتبادر للذهن، أن هذا الإدماج، يسهل في النهاية دمج كل الآلهة وصفاتها في إله واحد عظيم له كل الصفات. لكن هذا لم يحدث في مصر من قبل إخناتون.

لأن المصريين قوم محافظون بطبيعتهم. فرغم الدمج الجزئي بين الآلهة، ظل كل منهم يحتفظ بخواصه، وله معبده وكهنته الخاصة. وظل إله الشمس "رع" في هوليوبوليس، ينافس "آمون-رع"، ملك الآلهة في الكرنك.

هذا ما يحدث حاليا في بلادنا، فلازالت زيارة أضرحة أولياء الله الصالحين، لطلب البركة والاحتفال بذكراهم بإقامة الموالد، عادات قائمة، إلى جانب ديانة التوحيد.

مع قرب نهاية أمنحتب الثالث، بدأ انتشار ارتباط الآلهة الكثيرة بإله الشمس رع. لذلك، حاول الملك فعل شئ يوقف به هذا التزايد والانتشار.

قام بعمل العديد من التماثيل التي تمثل الآلهة المتعددة، وقام بتكوين دين أرضي يمثلهم، وأنشأ معبدا بجوار الكرنك لهذا الغرض. وكتبت الترانيم التي تمجد إله الشمس، وهي ترانيم تتميز عن ترانيم باقي الآلهة. لكن خليفته، إخناتون، قام بثورة حقيقية بالنسبة لعبادة إله الشمس آتون.

حورس، إله السماء، تجسد في شخص الملك. وحمل الإله رع، عبر السماء على جناحي الصقر الضخمة. بعد ذلك، تحول الصقر، "رع-حور-اختي"، من مجرد حامل لقرص الشمس، إلى القرص نفسه في كبد السماء. لكن طبيعة قرص الشمس قد تغيرت في عهد إخناتون. وأصبح مجرد وعاء، لا الإله نفسه.

قبل منتصف الأسرة الثامنة عشر، لم نجد ذكرى للإله "آتون". كلمة آتون كانت معروفة، وتعني قرص الشمس. مكان يجلس فيه الإله وليس الإله نفسه. لقد كان الملك "أمنحتب الثالث" والملكة "تي"، يطفوان بقاربهما المسمى "آتون اللامع" على سطح بحيرتهما الصناعية.

بالطبع، جزء من رفض الديانة الجديدة، يرجع إلى تراجع وإهمال وضع كهنة آمون، والآلهة الأخرى، ونفوذهم القوي. يقول "إيرك هورنونج"، أن إخناتون كان فيلسوفا أكثر منه نبيا.

لقد كان إخناتون فيلسوفا، اعتلى عرش أعظم إمبراطورية على ظهر الأرض في ذلك الوقت، ثم قام بالإصلاح الديني، شيئا فشيئا، كلما حان الوقت المناسب. لقد عالج موضوع الكهنة بعبقرية فذة وذكاء نادر.

على سبيل المثال، في عام حكمه الرابع، أثناء بداية ثورته الدينية، أرسل رئيس كهنة آمون على رأس بعثة استكشافية للمحاجر. هو بذلك، يكون قد أبعد هذه السلطة الدينية الكبيرة عن الأحداث في طيبة، حيث كان الإله آمون، يستبدل بالإله آتون. في نفس الوقت، خصص الكثير من معابد الكرنك لعبادة الإله الجديد.

يقول إخناتون في إحدى لوحاته: "أقسم بأبي آتون أن الكهنة كانوا أشد إثما من كل الآثام التي سمعتها، وأكثر ضراوة من الموبقات التي وقعت."

مدينة إخناتون الجديدة، "أخيتاتون"، وتعني "أفق آتون"، كانت المدينة الفاضلة. رأس الدولة، هو الملك الفيلسوف، الذي تحدث عنه أفلاطون في جمهوريته بعد ذلك بأكثر من ألف سنة.

كان إخناتون ملكا عادلا، يحكم بالحجة والمنطق، لا بالقوة والطغيان. ظل علي هذا الحال بين رعاياه ومحبيه داخل مدينته طوال ثلاثة عشر عاما كاملة ، وظل يحكم بالعدل ، ولا يقول الا الصدق ولا يدعو الا الي السلام.

قام إخناتون أيضا، بثورة في اللغة والأدب والفن. وظهر للناس بخلاف التقاليد الراسخة. جلس هو وعائلته أمام الفنانين لرسمه وعمل تماثيل له ولعائلته. وكان لا يبغي سوى الصدق والواقعية، سواء كانت في الحياة أو في الفن.

كان إخناتون شديد التواضع. حرص على إظهار ذلك، لكي ينفي عن نفسه أي شبهة تقديس أو تعظيم. وليؤكد بشريته كملك، يجري عليه كل أحوال البشر، من حزن وقلق وفرح، إلخ.

هو أول الموحدين في التاريخ. لا إله إلا "آتون". نزلت أفكاره هذه كالصاعقة، على شعب يؤمن بالتعددية الدينية، ويتعايش معها منذ آلاف السنين.

معابد إخناتون، تغير أسلوب بنائها. فلم تعد المعابد الضخمة المسقوفة، إنما هي بدون سقف لكي تصبح أكثر انفتاحا لأشعة الشمس. أحد المعابد بالكرنك، هو "جم-با-آتون"، وتعني "آتون موجود".

معبد جم-با-آتون بالكرنك

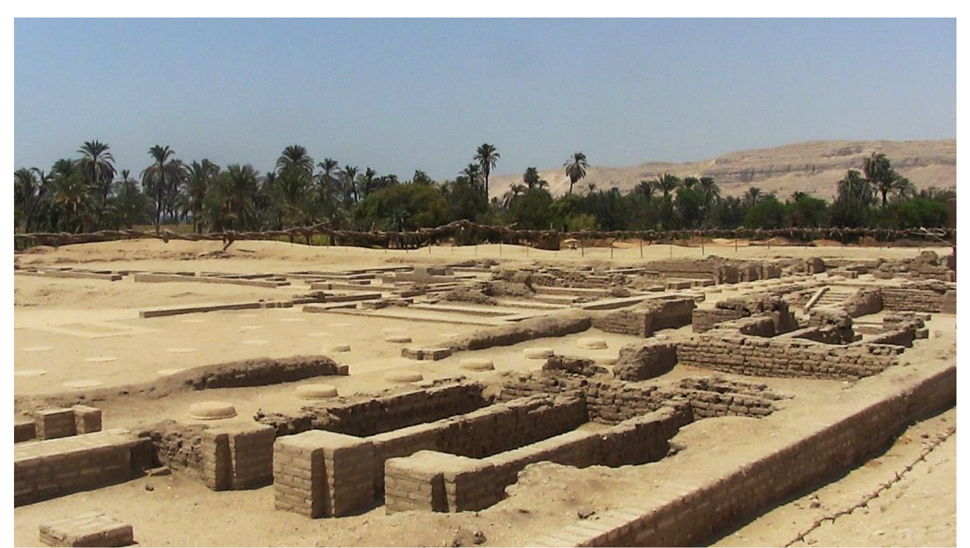
الاحتفال بعيد تتويج إخناتون، لم يظهر فيه إلا ما يمثل إله واحد، آتون. مثل هذه المعابد، تم تدميرها بالكامل، واستخدمت أحجارها في بنايات أخرى.

في هذا القرن، تمت محاولات لوضع رسوم هندسية على الورق لعدة معابد، من هذه الأحجار التي بلغ عددها 45 ألف حجر. من هذه الرسوم، تبين أن الملكة نفرتيتي كان لها معبد خاص بها، مخصص للنساء فقط. في الدولة القديمة، لم يكن للمرأة هذه السلطة الموجودة في الدولة الحديثة.

ربما يكون إخناتون قد أجبر على الانتقال من طيبة إلى تل العمارنة. مدينته المقدسة في الصحراء. في مكان منعزل، 200 ميل شمال طيبة. لم يكن بها معابد أو آلهة من قبل.

أتباع ديانته، كونوا طائفة، "كلت". بنوا مدينتهم في الصحراء من الصفر. أخبر إخناتون أتباعه، أن الإله آتون ألهمه بهذا الموقع. آتون ليس له صورة أو شبيه. إخناتون وحده هو الذي يعرف آتون، ولم يغادر المدينة منذ بنائها.

قصر الملك مكان جميل في المدينة الجديدة. بيوت النبلاء في الشمال وفي الجنوب. قبور النبلاء تعطينا فكرة عن الحياة في المدينة. بنيت على الضفة الشرقية للنيل. لكن لم يكتمل بناء أيا منها. هل أتباع إخناتون يؤمنون بالحياة بعد الموت؟ القبر الملكي في مكان معزول، مثل وادي الملوك.



أطلال قصر الملك إخناتون بتل العمارنة

اهتم إخناتون بالإنسان والإصلاح الديني. كان له موقف حاسم من الكهان ورجال الدين، الذين تزايد نفوذهم وثروتهم، وأصبحوا يشكلون خطرا على الدولة بتدخلهم وفرض سيطرتهم.

إخناتون الملك، كان أيضا زعيم ديني ومتصوف. كتب "ترنيمة إلى آتون". جاء بأول إله نظري، غير مجسد. كان يدعو إلى دين الحب والسلام. كان يريد أن يسعد كل الناس، ويجعل كل واحد يحب الآخر. قرص الشمس ليس هو الإله، إنما مجرد وعاء، رمز للوحدانية.

له إصلاحات في مجال الأخلاق والاجتماع ومحاربة الخرافات. اهتم بقيم العدل والخير والحب والصبر والإلتزام. تميزت فلسفته، بالبحث عن الحقيقة، التي اكتشفها في وحدانية الخالق الذي لا شريك ولا شبيه له. المنزه عن الصورة المادية والبشرية.

أتون الواحد، لا محل لتعدد الأرباب إلى جانبه. قرص الشمس يرمز إلى وحدانيته، الذي يغمر بفيضه كل الأحياء بدون تمييز. هو الخالق للجميع، على أختلاف ألسنتهم وألوانهم ومواطنهم.

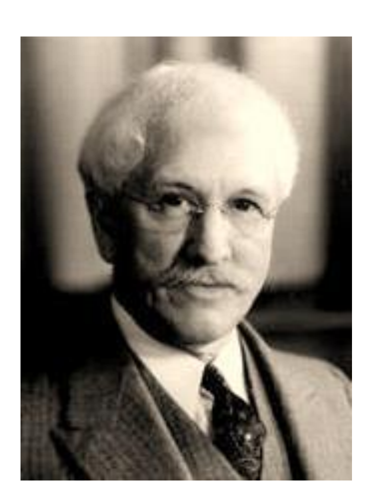
تكفل بأرزاقهم وحمايتهم. وما دام الخالق الرازق واحدا رحيما في كل مكان، لا تفرق أشعته بين فرد وآخر، فلم لا يجتمع الناس على عبادته، كما اجتمعوا على النفع من خيراته؟

التعدد يسبب الفرقة والانقسام وتوزيع الولاء والتعصب للآلهة المحلية. التدين الآن أصبح أمرا عقلانيا، وليس مجرد إرث لتقاليد قديمة. هذا هو الفرق بين عبادة آتون وعبادة "آمون-رع" على سبيل المثال.

الإله آتون، لا يمكن تصوره على هيئة محسوسة، سواء بشرية أو حيوانية. لأن الإله دائم لا يغيب، وخالد لا يفنى. لا شريك له، هو المتحكم في الكون وراعي المخلوقات. هو وحده الذي يحاسب على الأعمال.

لقد أمر إخناتون بطمس اسم آمون وأسماء الآلهة الأخرى. وأمر بالتوقف عن صناعة الدمى والتماثيل الصغيرة التي كان يتاجر بها الكهنة، كصكوك الغفران، لاعتقادهم أنها تنفع الميت بدلا من أعماله.

يقول برستيد، إن "إخناتون"، هو أول صاحب نظرية في التوحيد الخالص. كان يحاول إزاحة كمية كبيرة من الخرافات. نجح عمليا في إصلاح مجتمعه، والقضاء على العديد من الأساطير المتوارثة، مثل القول بأن النيل هو "أوزيريس"، وأن الفيضان، يرجع إلى غضب الآلهة.



برستيد

لم يكن إخناتون يتعبد قرص الشمس نفسه، وإنما القدرة التي وراء هذا القرص. من ثم، كانت دعوته، تمثل قمة في تطور الفكر الديني، جاءت قبل أنبياء اليهود.

يقول برستيد أيضا، إن ديانة إخناتون، كان لها أثرها الكبير فيمن جاء بعده من الأنبياء الموحدين. دليل ذلك، التشابه الكبير بين ترانيم إخناتون، وما كتب في التوراة، وخاصة المزمور (104).

كما أشار برستيد إلى منطقية الأدلة التي ساقها إخناتون على وحدة الخالق، وأن التوحيد الخالص القائم على تنزيه الإله، حقيقة عالمية عرفتها االبشرية فيما بعد. يؤيده في هذا الرأي "سارتون" و "والس بيدج". الوحدانية التي سبقت إخناتون، كانت وحدانية تغليب وإرث، لا وحدانية تفكير.

في مجال الإنسانيات، كان إخناتون يشجع مبادئ التعاون والعدل والمساواة، والحق والصدق والأمانة. فالأصل هو التساوي بين الناس. أما الخلاف، فمن الضروريات، التي خلقها الله لاستمرار الحياة.

الله عند إخناتون، رحمن، رحيم، عادل، محب لخلقه. فإذا كانت هذه خصال الخالق، فقد وجب على الخلق أن يكونوا كذلك. العدالة هي أبرز صفات الخالق. لأنه ينتفع بفضلها القريب والبعيد. الحاكم، يجب أن يتحلى بالعدالة، لأنه خليفة الله في الأرض. هو أيضا خليفة آتون ونبيه في الأرض.

أنشأ إخناتون المحاكم الدنيوية لحساب المخطئ ومن يتجاوز حدود العرف ويخرج عن العدل. وأنشأ مجالس من الكتاب والحكماء لمناقشة المشاكل وإيجاد حلول عملية لها، بعيدا عن الخرافة والسحر.

جعل الناس يعتمدون على العمل والعقل، ويتعبدون للإله الواحد. وحثهم على فعل الخير في الدنيا، لأن آتون وحده، هو القادر على تحقيق السعادة والخلود، كما أنه وحده القادر على توفير أسباب الرزق للجميع.

هذه بعض ترانيم إخناتون للإله آتون:

"اللهم أنك أنت الإله الواحد الأحد، لا شريك لك. خلقت الدنيا وخلقت الأنعام والبشر، وكل ما يسعى على الأرض، ويحلق في الفضاء. أنت الرب العظيم. الواحد المحبوب. أنت الرحيم."

"أنت أب وأم كل مخلوق. لك يسبح الطير والحيوان والإنسان والنبات، كل بطريقته. فالزهر ونبت الأرض يتفتح لرؤياك، وينتشي لمحياك، والأنعام تتراقص على أقدامها."

"الطيور في أوكارها. تطوي أجنحتها وتنشرها تسبيحا لآتون خالقها. الأرض عامرة بحبك، والعشب والشجر يتمايل لمطلع وجهك، والأسماك في الماء، تتراقص لرؤيتك."

انتشرت ترانيم إخناتون داخل مصر وخارجها. بلاد كثيرة في آسيا وإفريقيا، عرفت توحيد إخناتون وآمنت به. العبرانيون كانوا أكثر وأقرب الشعوب تأثرا بدعوته. وهذا ما ظهر بوضوح في التوراة.

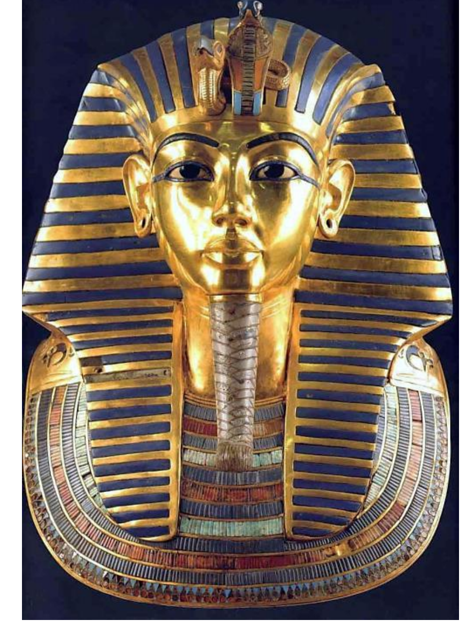
اعتمد إخناتون على الدليل العقلي لإثبات دعوته. فعمد على الوصف الدقيق لحقائق الخلق البشري ومراحل تكوين الجنين وإثبات وحدة الكون، تمهيدا لإثبات قدرة الخالق ووحدانيته.

لكن شيئا مريعا حدث أثناء حكمه. لقد أهمل الجيش، فضعف وأصبحت مصر معزولة عن مستعمراتها. توفي إخناتون بعد 17 سنة من حكمه.

ترك أتباعه في حيرة، ماذا يفعلون بعده. خلفه ابنه، توت عنخ آمون، الصبي. فأعاد كل شئ إلى ما كان عليه. ودمرت مدينة إخناتون بالكامل، وهجرها سكانها.

10

توت عنخ آمون


توت عنخ آمون

يتفق معظم علماء المصريات على أن الملك "توت عنخ آمون"، هو ابن إخناتون. أكد اختبار الحامض النووي ذلك الرأي، وبين أن الملكة الجميلة نفرتيتي، هي ليست أمه.

يعتبر "توت عنخ آمون"، أشهر الملوك في التاريخ القديم والحديث. بالرغم من ذلك، لا نعرف عنه إلا القليل.

تاريخ وادي الملوك تاريخ هام. بعض القبور تم فتحها على مدى التاريخ. علماء نابليون، سجلوا 16 قبرا، 11 منهم وجد مفتوحا. هم الذين اكتشفوا مقبرة "أمنحتب الثالث"، ورسموا أول خريطة دقيقة لوادي الملوك.

"جيوفاني بيلزوني"، كان أول منقبي الآثار المنهجيين. لقد اكتشف قبر الملك "سيتي الأول" وتابوته الحجري، ثم قام بعرض مكتشفاته في معرض بلندن. في عام 1881م، تم اكتشاف مقبرة مؤقتة، وجدت بها محتويات قبور الملوك المفقودة من الوادي. ليس بينها "توت عنخ آمون".

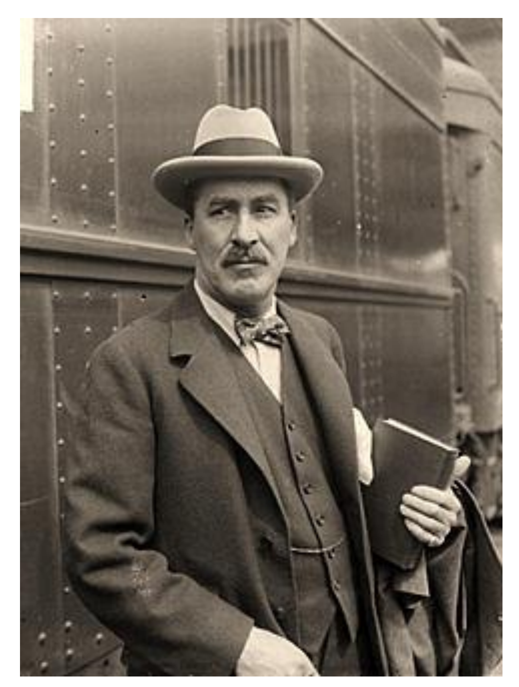
جيوفاني بيلزوني

مقبرة "أمنحتب الثاني"، المكتشفة عام 1898م، وجدت بها محتويات عدة ملوك. لكن أيضا، لا أثر لتوت عنخ آمون. شئ غريب! إذا كانت محتويات قبور هؤلاء الملوك العظام، قد خزنت بهذه الطريقة التي تشبه الدفن الجماعي في مقابر الصدقة.

ربما بسبب القلاقل السياسية التي كانت تمر بها البلاد، أو بسبب انتشار لصوص المقابر على نطاق واسع، أو لسبب آخر. لكن يبقى السؤال، لماذا لا يوجد بينها محتويات مقبرة توت عنخ آمون؟ فأين أنت يا توت عنخ آمون؟ هل يوجد في الوادي؟ هل له قبر خاص به؟ ربما.

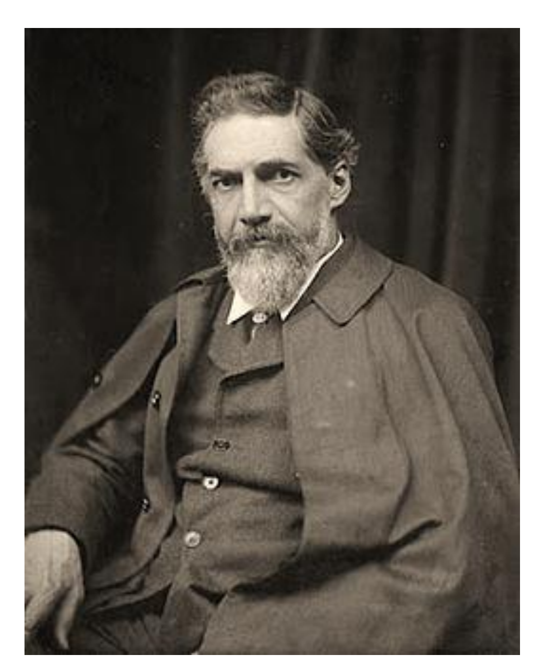
بدأت شخصيات هامة في البحث عن قبر توت عنخ آمون في الوادي. لكن "هوارد كارتر"، الأثري الفنان، هو بطل قصة اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون.

ولد "هوارد كارتر"، في مدينة لندن بانجلترا عام 1874م، عالم مصريات وأثري. بدأ حياته مبكرا بدراسة الفن والرسم بمصر. أرسلته السيدة "أمهيرت"، جامعة التحف الأثرية، إلى مصر، لكي يقوم برسم ما يكتشفه الأثريون من آثار.



هوارد كارتر

هناك عمل مع عالم المصريات العظيم "بيتري". كانت له إسهامات هامة في الاكتشافات الأثرية بمنطقة بني حسن، حيث وجدت مقابر أمراء الدولة الوسطى. كما أنه قام باكتشاف آثار، تعود للملكة حتشبسوت، في أحد مقابر الدير البحري عام 1899م.



بيتري

تم تعيين كارتر في وظيفة كبير مفتشين، وهو في سن 26 سنة. أثناء هذه الوظيفة، أمر بتركيب بوابات حديدية وإنارة في العديد من المقابر، وقام بالتحقيق في حادث سرقة مقبرة أمنحتب الثاني عام 1901م. التحقيق أدى إلى القبض على اللصوص.

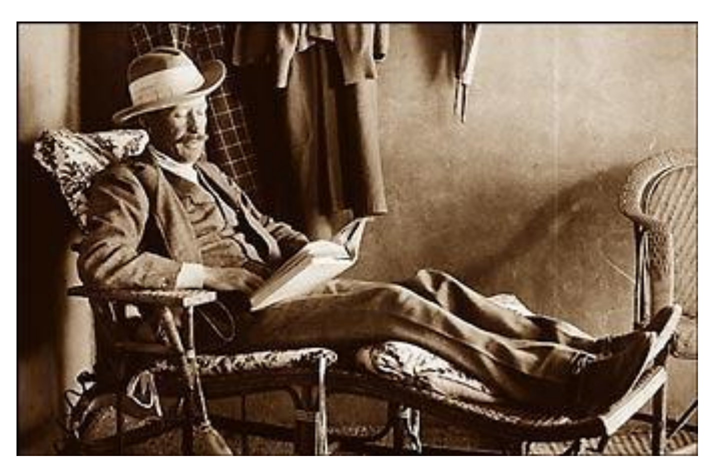
"ثيودور دافيس"، ثري أمريكي، وظف كارتر عنده، للإشراف على عمليات التنقيب على الأثار. نتائج هذا التنقيب، أثمرت عن اكتشاف مقبرة "تحتمس الرابع".

في عام 1904م، فصل كارتر من العمل مع الثري الأمريكي، لأسباب سياسية. فقام "دافيس"، بتعيين "إدوارد أيرتون"، بدلا منه. أيرتون، اكتشف كأسا من السيراميك تحت أحد الأحجار، منحوتا عليه اسم الملك توت عنخ آمون.

الآن تأكدنا أن توت عنخ آمون موجود في وادي الملوك، وليس خارجه. اكتشف أيرتون إلى جانب ذلك عام 1907م، حفرة صغيرة، بها عظام حيوان، قدور نبيذ، ضمادات، وأيضا اسم توت عنخ آمون، وبقايا آخر أكلة أكلها توت عنخ آمون.

كذلك، قناع مومياء. وعندما وجد "دافيس"، قبرا صغيرا به رقاقة ذهبية عليها اسم توت عنخ آمون، دوّن في كتابه: "أخشى أن يكون وادي الملوك قد استنزف ولم يبق فيه شيئا".

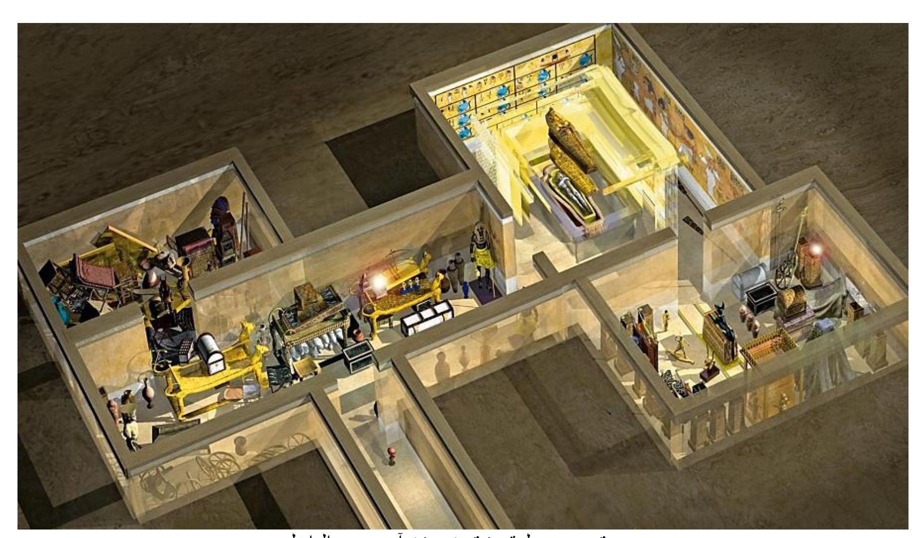
لكنه كان مخطئا. في عام 1907م، تم اكتشاف المقبرة رقم 55. وجدت بها الضريح المذهب للملكة "تي"، وتابوتا طمس الخرتوش الذي يحوي اسم الملك داخله. بالإضافة إلى مومياء في حالة سيئة هشة. كان يعتقد أنه ربما يكون قبر توت عنخ آمون.


اللورد كارنافون

اللورد البريطاني "كارنافون"، قام بتوظيف "هوارد كارتر"، الذي كان يبحث عن عمل في ذلك الوقت. كان اللورد، المهتم بالآثار المصرية، يعتقد أن "دافيس"، لم يكتشف بعد قبر توت عنخ آمون.

في عام 1917م، قام "كارنافون" و"كارتر"، بالحصول على امتياز التنقيب في وادي الملوك. بعد العمل الشاق لعدة سنوات، وُجدت أول درجة تقود إلى قبر توت عنخ آمون في 4 نوفمبر 1922م.

في اليوم التالي، وُجد باب المقبرة. بعد ذلك، ظهر باب مختوم. داخل المقبرة، في غرفة الدفن، وجدت 4 أضرحة مذهبة، تحتوي على تابوت كوارتز أصفر، بغطاء جرانيت أحمر مشروخ.


رسم توضيحي لمقبرة توت عنخ آمون من الداخل

بعد ذلك، قام كارتر بما يشبه المناورات السياسية، والإضراب عن العمل. تسبب ذلك في التوقف عن العمل في المقبرة. عندما عاد كارتر للعمل في أكتوبر عام 1925م، فتحت التوابيت.

التابوت الخارجي، به 4 مقابض من الفضة الخالصة. التابوت الثالث الداخلي، يزن من الذهب الخالص 250 رطل. المومياء كانت بداخله كاملة. لكن، ليس هناك ما يثبت اسم الملك أو عائلته.



التابوت الثالث لتوت عنخ آمون من الذهب الخالص

كان كارتر متحيرا من هذا الأمر. وجد في القبر أيضا، عربات حربية وعروش ملكية، وأشياء أخرى تعد بالمئات. لكن، لا يوجد تيجان، أو اسم الملك. ربما يكون التاج الفرعوني، شيئا مقدسا، يسلمه كل ملك لمن يليه.

بعد وفاة "إخناتون"، خلفه ابنه، "توت عنخ آتون"، المولود عام 1341ق م، من زوجته "كيا". تزوج "تـوت عنخ آتون" من نصف أخته، "عنخ إسن آمون"، ابنة إخناتون ونفرتيتي. أنجب منها طفلين، ماتا أثناء الولادة.

الملك الصبي "توت عنخ آمون"، ال12 في سلسلة ملوك الأسرة ال18 العظام، استمر حكمه ثمان أو تسع سنوات. والده "إخناتون"، كان يمنع عبادة الآلهة المتعددة، ويدعو

إلى عبادة الإله الواحد "آتون"، الذي يمثله قرص الشمس. لذلك كان يعتبر بالنسبة للقدماء "الملك الزنديق".



علاقة الأديان بالشمس

في الواقع، علاقة الأديان بالشمس، هي علاقة قديمة كانت شائعة في العالم القديم وعند معظم شعوب العالم. حتى اليوم، نجد صدى لها في الأديان الكتابية.

فمثلا، نقوم بصلاة الفجر، عند بزوغ أول ضوء للشمس. وصلاة الظهر، عندما تتوسط الشمس كبد السماء. وصلاة العصر، عندما تتوسط الشمس بين الظهر والمغرب. وصلاة المغرب، عند غروب الشمس. وصلاة العشاء، عندما يختفي آخر ضوء للشمس.

الصوم أيضا، مرتبط بالشمس. فنصوم مع بدء أول ضوء للشمس، ونفطر مع غروب الشمس. الحج، مرة كل عام، بالتوقيت القمري، وهو تقريب مبسط للسنة الشمسية. ماذا يعني هذا؟ يعني أننا لازلنا مرتبطين بالشمس وبديانة التوحيد، كما كان إخناتون، مهما أنكرنا.

ما هو حجم دعوة إخناتون إلى الإله الواحد؟ وهل هو الأول في دعوته؟ يبدو أنه كان يرغب أيضا في تحجيم نفوذ كهنة آمون وسيطرتهم على اقتصاد مصر القديمة، وإعادة النفوذ للملك والحكومة والجيش.

دعوة إخناتون، ألقت البلد إلى أحضان الفوضى العارمة. قام إخناتون بنقل العاصمة إلى تل العمارنة، وتفرغ هو لدعوته. أهمل أمور المجتمع والسياسة الخارجية.

مع تزايد الصراع بين القديم والجديد، انتشر الفساد والإهمال. بعد 17 سنة من حكم إخناتون كملك (بعد 21 سنة منذ بداية اشتراك إخناتون في الحكم مع والده)، ربما

يكون قد خُلع من الحكم. مات بعد ذلك مباشرة. ابنه "توت عنخ آتون"، الذي كان عمره 9 سنوات في ذلك الوقت، أصبح فرعون مصر الجديد.

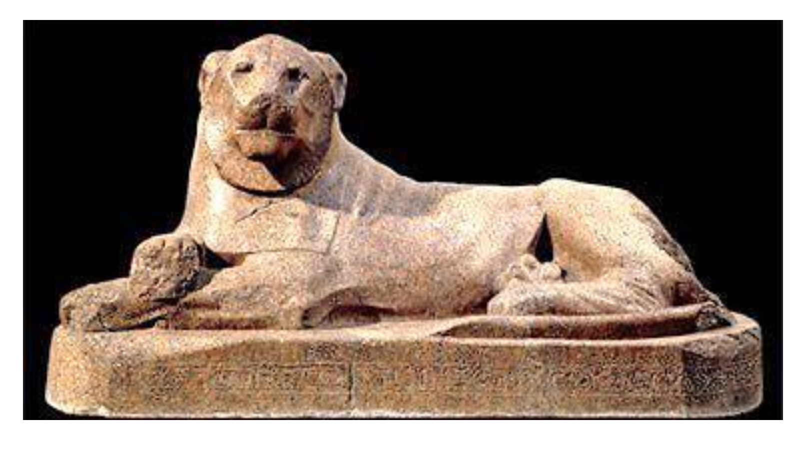
من كان يدير شئون الحكم، والملك لايزال طفلا؟ الوزير " خبر خبر رع أي"، وكان يساعده "حور محب"، قائد الجيش في ذلك الوقت. قام الرجلان، بإعادة الديانة القديمة، التي تؤمن بالتعدد. وقام الملك "توت عنخ آتون"، بتغيير اسمه إلى "توت عنخ آمون". ثم أعاد العاصمة إلى طيبة، كما كانت من قبل.

حاول النظام الجديد إعادة العلاقات الجيدة بين مصر وجيرانها. الدبلوماسية في عهد "توت عنخ آمون"، كانت ناجحة. إلا أنه قد قامت بعض المعارك مع بلاد النوبة والآسيويين، بسبب الحدود وتأمين طرق التجارة.

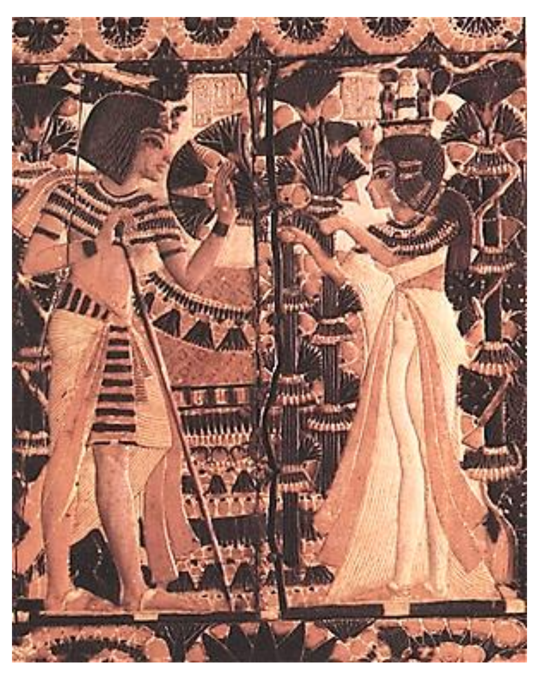
كان الجيش يقوم بتدريب "توت عنخ آمون"، لإعداده كقائد عسكري. هناك بعض الدلائل، على أنه كان رامي نشاب ممتاز. لكنه لم يشترك، ربما بسبب صغر سنه، في أي معركة حربية مع الأعداء.

العودة لديانة آمون والتعدد الديني، ربما كان دافعها، الحنين إلى الماضي، والأمل في رضاء الآلهة، لكي تعود مصر إلى سالف عهدها والحفاظ على امبراطوريتها التي بدأت في التفكك، بسبب إهمال إخناتون.

ثم بدأت الأوامر لإصلاح المعابد القديمة في الكرنك. وتجديد تمثال الأسد المنحوت من الجرانيت الأحمر الخاص بالملك أمنحتب الثالث، التمثال موجود حاليا بالمتحف البريطاني.



تمثال أمنحتب الثالث في هيئة أسد بالمتحف البريطاني


عنح إسن آمون تهدي توت عنخ آمون باقة زهور

توفي الملك "توت عنخ آمون" فجأة في سن 19 سنة. لم يكن له أولاد ترث الحكم. هذا سبب ربكة أخرى لإدارة شئون البلاد. عند وفاته، أرسلت زوجته، وهي أخته في نفس الوقت، "عنخ إسن آمون"، إلى ملك الحيثيين (تركيا حاليا)، تطلب الزواج من أحد أبنائه.

إلا أن العريس، أثناء قدومه إلى مصر، توفي أو قتل في الطريق. محاولة الملكة الأرملة، طلب النجدة من الحيثيين، باءت بالفشل على أيدي الوزير "أي" وقائد الجيش القوي "حور محب". ماذا حدث للملكة الأرملة بعد ذلك؟ تزوجت من الوزير "أي"، واختفت من المشهد ومن التاريخ.

دفن "توت عنخ آمون" في قبر بوادي الملوك. تم دفنه، بسبب موته المفاجئ، في عجالة في قبر صغير، لا يناسب حتى نبيل متواضع. الجثمان حفظ بالطريقة التقليدية في التحنيط. وبعد 70 يوم، كما تقضي التقاليد، أغلق عليه القبر وختم بالشمع.

بعد موت "توت عنخ آمون"، لا يوجد لاسمه أي ذكر. لذلك، ظل مجهولا بعيدا عن البحث والتنقيب والسرقة، فقد مكانه في وادي الملوك، وهيل فوقه التراب من فحت ورمال قبور أخرى. إلى أن تم اكتشافه عام 1922م.

عندما دخل "هوارد كارتر"، ومعه الأثري "جورج هيربرت" و "إيرل كارنافون" إلى الغرف الداخلية لمقبرة "توت عنخ آمون"، وجدوا كل محتوايات المقبرة سليمة. هذا شئ يشبه المعجزات.

في أحد الغرف، على جدرانها لوحات تحكي قصة جنازة "توت عنخ آمون، وتصف رحلته إلى العالم الآخر. داخل الغرفة يوجد أيضا، أواني تحتوي على حاجته أثناء الرحلة.



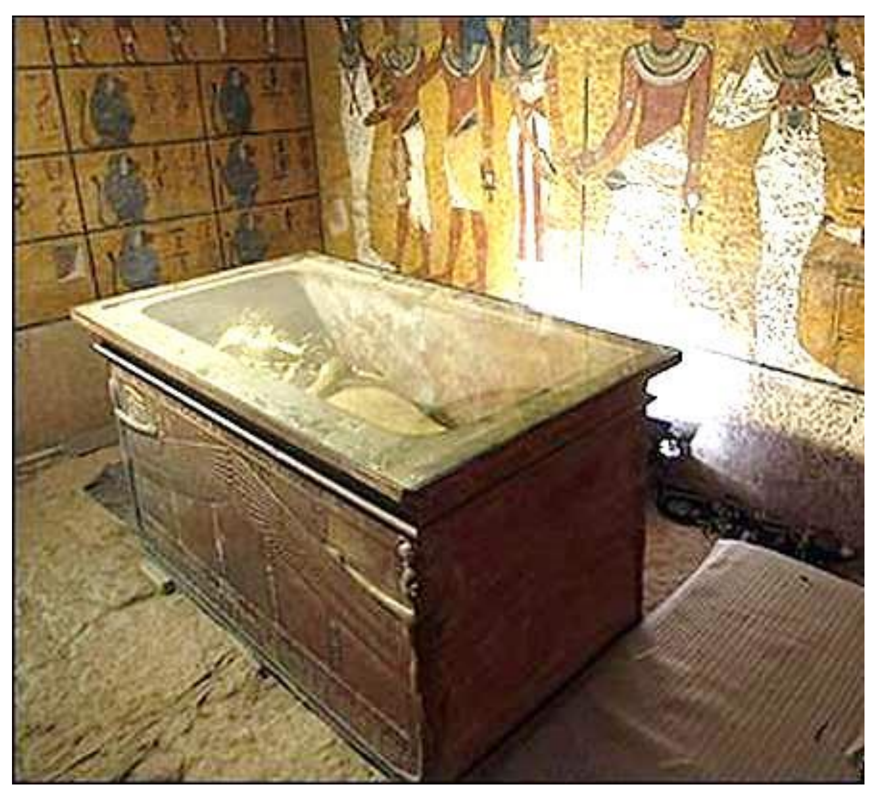
رسم من جدار مقبرة توت عنخ آمون تصف رحلته إلى العالم الآخر

مثل الزيوت والعطور واللعب التي كان يستخدمها في طفولته، وجواهره، وتمثال له من الذهب الخالص وتمثال آخر من خشب الأبنوس.



بعض محتويات مقبرة توت عنخ آمون

الشئ المبهر حقا، هو التابوت الحجري الذي بداخله ثلاث توابيت، واحد داخل الآخر. التابوت الثالث، مصنوع من الذهب الخالص. عندما رفع غطاء التابوت الثالث، ظهرت مومياء الملك الشاب، محفوظة لأكثر من 3000 سنة.

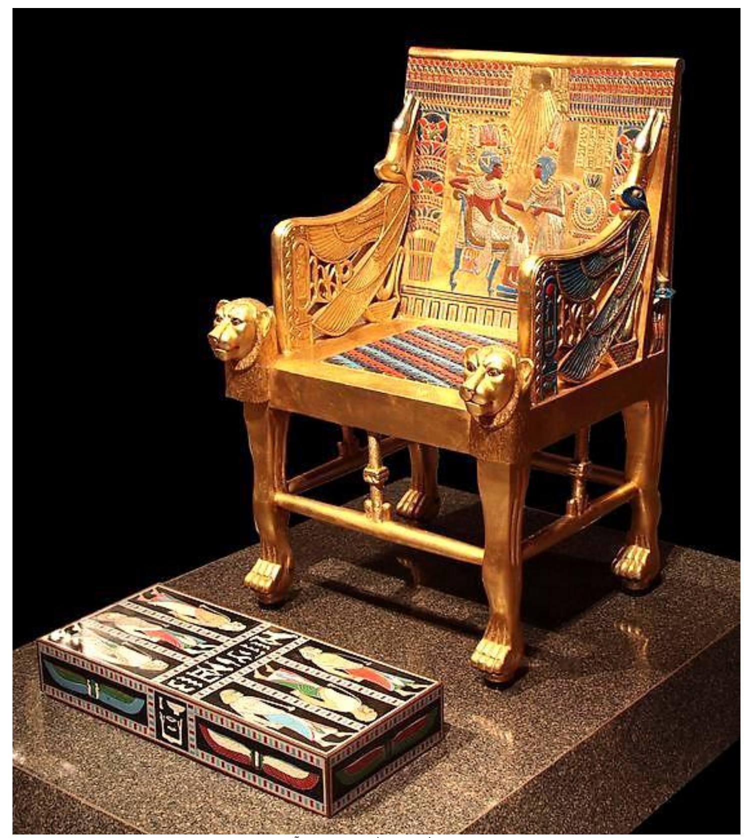

التابوت الصخري الخارجي لتوت عنخ آمون

عندما فحص الأثريون المومياء، وجدوا قطع أثرية أخرى، مثل: أساور، خواتم، أطواق. لمدة 17 سنة، ظل "هوارد كارتر"، ومساعدوه، يفحصون محتويات الغرف الأربعة بالقبر.

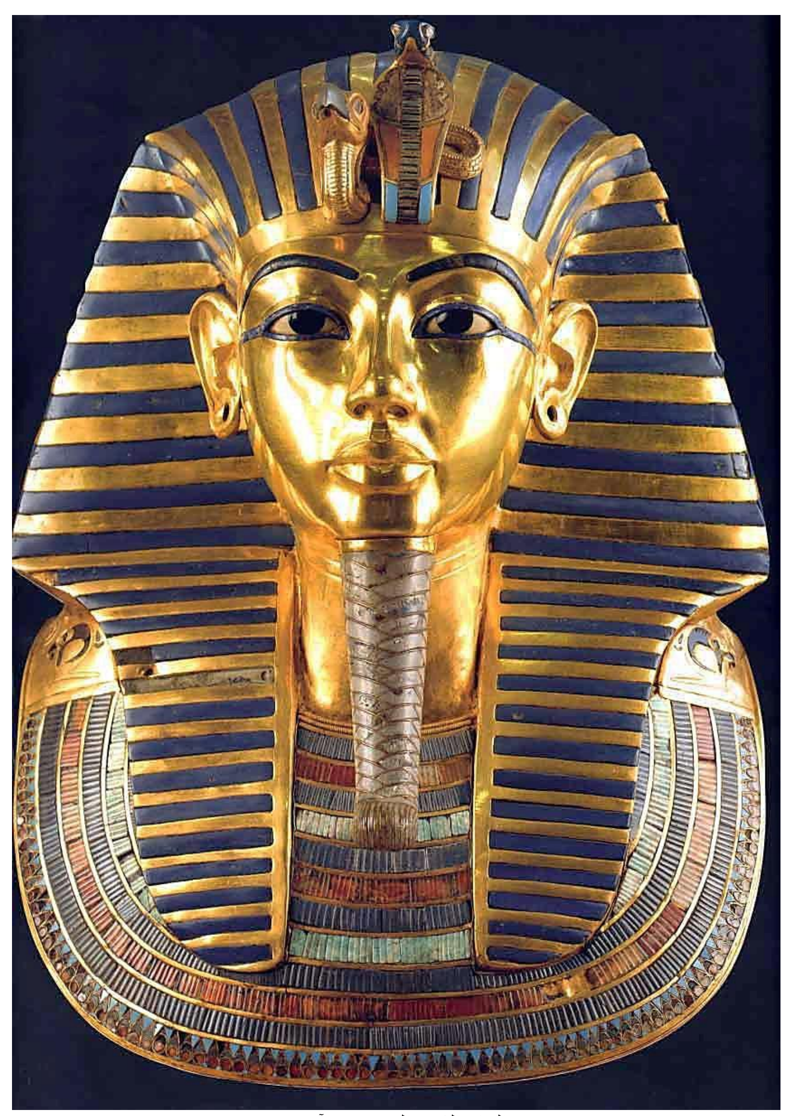
ليكتشفوا مجموعة من القطع الأثرية التي ليس لها مثيل. لا تقدر قيمتها بثمن، ويبلغ عددها مئات القطع. وجد أيضا، كرسي العرش. وهو الوحيد الذي وصل لنا من حضارة قدماء المصريين.



بعض محتويات مقبرة توت عنخ آمون



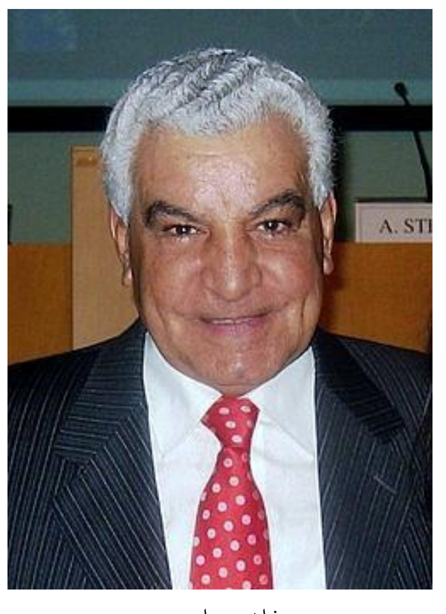
كرسي العرش لتوت عنخ آمون


القناع الذهبي لتوت عنخ آمون

ويبقى السؤال، هل مات "توت عنخ آمون"، ميتة طبيعية، أم أنه قُتل طمعا في الحكم؟ كان هناك اعتقاد سائدا، بأن الوزير " خبر خبر رع آي"، الذي تزوج من أرملة الملك، هو الذي قام باغتياله، بمساعدة قائد الجيش "حور محب".

الأدلة التاريخية، تشير بأن الوزير "آي"، قام بالزواج من أرملة الملك "توت عنخ آمون"، وأصبح ملكا على البلاد، ولكن لفترة قصيرة. ليحل محله القائد العسكري "حور محب". الذي قام بإتلاف معظم الأدلة على فترة حكم "توت عنخ آمون" وفترة حكم "آي". هذا يؤكد للبعض نظرية المؤامرة.

في عام 1968م، وعام 1978م، قامت جامعتي ليفربول وميشيجان على التوالي، بتصوير مومياء "توت عنخ آمون" بالأشعة السينية، لكي يجدا بقعة داكنة تحت جمجمة المومياء من الخلف. مما يفسر على أنه نزيف في الدماغ، قد تكون بسبب ضربة على الرأس سببت الوفاة.



زاهي حواس

لكن في عام 2005م، صرح عالم الآثار المصري "زاهي حواس"، نتيجة تصوير المومياء بال(CAT SCAN)، أنه لا توجد أدلة على أن "توت عنخ آمون"، كان قد تعرض إلى عملية اغتيال.

أضاف حواس، أن الفتحة الموجودة في الجمجمة، سببها هو فتح الجمجمة لغرض التحنيط. أما الكسر في عظم الفخذ الأيسر، فهو نتيجة حادث عرضي للملك أثناء حياته، ربما أثناء قيادته لعربته الحربية أثناء التدريب، تسبب في التهاب أدى إلى الوفاة. مجرد حادث سيارة.

منذ اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون، اعتقد الكثيرون
بأن هناك لعنة تصيب من يحاول فتح المقبرة. سبب ذلك، هو حالات الوفاة الغامضة لبعض فريق "هوارد كارتر" وزوار آخرين. هذه بعض الحوادث الغامضة التي تحدثت عنها الصحافة في ذلك الوقت:

أرسل كارتر رسولا، لقضاء حاجة لمنزله. أثناء عودته، سمع صوتا خافتا يشبه البكاء. رأي في المدخل ثعبان الكوبرا، رمز النظام الملكي المصري، وهو يلتهم عصفور الكناري الذي يملكه كارتر. قتل الكوبرا، لكن الكناري كان قد مات.

تعرض اللورد "كارنافون" للدغة بعوضة. بينما كان يحلق، جرح نفسه مكان اللدغة. أدى ذلك إلى تسمم في الدم أدى إلى وفاته.

آرثر كونان دويل مؤلف شخصية شارلوك هولمز، قال إن وفاة كارنارفون حدثت بسبب وجود "مواد" وضعها كهنة توت عنخ آمون لحماية القبر الملكي.



آرثر كونان دويل

في عام 1925م، تلقى السير "بروس إنغهام" من كارتر هدية فرعونية عندما زار المقبرة. بعد ذلك بوقت قصير، احترق منزل إنجرام. تلا ذلك طوفان، عندما أعاد بناء منزله.

في مايو 1926 م، رأى كارتر ابن آوى من نفس نوع أنوبيس، حارس الموتى، للمرة الأولى منذ أكثر من خمسة وثلاثين عامًا من العمل في الصحراء.

لكن المشككين في لعنة الفراعنة، يوعزون ذلك للصدفة البحتة. العديد ممن زاروا القبر، أو ساعدوا في اكتشافه، عاشوا حياة طويلة صحية. من بين 85 شخص، كانوا موجودين عندما تم فتح المقبرة، قُتِل منهم ثمانية فقط في عشر سنوات.

الباقون جميعاً ظلوا على قيد الحياة، بما في ذلك هوارد كارتر، الذي توفي في وقت لاحق بسبب سرطان الغدد الليمفاوية في سن 64 عام 1939 م.

أظهرت عينات الهواء المأخوذة من داخل فتحات التابوت، مستويات عالية من الفورمالدهيد والأمونيا وكبريتات الهيدروجين، وهذه الغازات كلها سامة، لكن يتم اكتشافها بسهولة عن طريق روائحها القوية.

11

رمسيس الثاني

"آي"، وزير إخناتون السابق، الذي تبعه إلى تل العمارنة، خلف الملك "توت عنخ آمون" كملك للبلاد، وتزوج من أرملته، "عنخ أسن آمون". كان عمره في ذلك الوقت 60 سنة.

تم دفن "توت عنخ آمون" بالبر الغربي لوادي الملوك، جده العظيم، أمنحتب الثالث، كان مدفونا هناك. كان المطلوب إبعاد شبهة تدينه بدين والده الجديد. لم يستمر حكم "آي" مدة طويلة. مات ولم يترك وريثا للعرش.

جاء بعد "آي"، حور محب. هو أيضا لم يترك وريثا للعرش. يمتاز حكمه بالنظام والعدل. بدأ حياته كقائد عسكري في جيش الملك العظيم "أمنحتب الثالث". ربما لم يكن من القربين ل"إخناتون". أصبح نائبا للملك الشاب "توت عنخ آمون".


حور محب

"حور محب"، كان بمثابة عودة للنظام القديم بمركزيته وأمجاده الحربية وديانة آمون. كان يعتبر أن فترة حكم إخناتون، غلطة تاريخية، كان يجب ألا تحدث.

لذلك، كان حكمه، امتدادا لحكم أمنحوتب الثالث. كأن حكم إخناتون و"توت عنخ أمون" و"آي"، شيئا لم يكن. لذلك، لا نجد أسماءهم ضمن قائمة أسماء الملوك.

أثناء حكم حور محب، تغيرت سياسة مصر كثيرا. تم تعيين رجال الدين بالجيش، حتى يقوي العلاقة بينهما. عين قائدين للجيش، واحد لوجه بحري والآخر لوجه قبلي.

بنى "حور محب"، الكثير من البنايات لتمجيد أعماله وتخليد ذكراه. قام بهدم معابد إخناتون، واستخدم أحجارها في بناء صرح في شكل بوابة ضخمة بالكرنك. هو بهذا العمل، ومن حيث لا يدري، يكون قد حفظ معابد إخناتون، ولكن في صورة مختلفة.

قام أيضا باغتصاب كل آثار "توت عنخ آمون". أينما يجد اسمه، كان يمحوه ويستبدله باسمه هو. كانت هناك في الكرنك مسلة، نصبها "توت عنخ آمون"، كتب عليها: "في كل أنحاء مصر، دُمرت كل تماثيل الآلهة، ونما العشب في المعابد، ولم يعد أحد يحترم الجيش. لقد ترك "إخناتون" الدولة لكي تنهار."

في رواق بالأقصر، يوجد مشهد ديني، يبين احترام "توت عنخ آمون" للديانة القديمة. اسمه تغير هنا أيضا إلى اسم "حور محب". طمس حور محب، كل شئ له علاقة باسم "توت عنخ آمون". قبر حور محب في سقارة، يبين نشاطه العسكري أيام "توت عنخ آمون". بما في ذلك، حملاته في سوريا وليبيا.

عندما أصبح ملكا، أرسل المثالين إلى سقارة لكي يحفروا شكل الكوبرا على جبهة تماثيله. قبره الحقيقي اكتشفه "ثيودور دافيس"، المحامي الأمريكي، عام 1908م. وجد به تماثيل خشبية ملكية، مثل التماثيل التي وجدت في قبر "توت عنخ آمون".



ثيودور دافيس بدون قبعة

يعتبر حور محب" ملكا محافظا. أراد أن يرجع بمصر إلى ماضيها التليد. هو آخر ملوك الأسرة الثامنة عشر. لأنه لم يترك وريثا للعرش. فمن سيكون فرعون مصر القادم؟

مرت مصر بحكم ثلاثة ملوك متعاقبة. كل منهم ليس له وريث للحكم. هم "توت عنخ آمون"، ثم "آي"، ثم "حور محب". هذا شئ لا يصب في مصلحة الدولة واستقرار حكمها.

لذلك حرص ملوك الأسرة التاسعة عشر على أن لا يحدث ذلك مستقبلا. هذا هو السبب في اختيارهم "رمسيس الأول"، لكي يكون الملك التالي للبلاد.

"رمسيس الأول" (1293-1291ق م)، حكم فترة قصيرة، لكنه أسس لأسرة جديدة، هي الأسرة التاسعة عشر. كان وزيرا وصديقا ل"حور محب". والده كان قائد عسكري اسمه "سيتي".

"رمسيس الأول"، له ابن وحفيد. من ثم، نضمن استمرار الحكم الوراثي. زوجته "سيتري"، هي الأولى التي تم دفنها في وادي الملكات. ابنه "سيتي الأول" (1291-1278ق م)، هو أول الملوك العظام في الأسرة التاسعة عشر.



سيتي الأول من معبد أبيدوس

اسم "سيتي"، يعني أتباع الإله "ست". تزوج من "تـويا" وأنجب منها ثلاثة أطفال. طفل توفى صغيرا، وطفلة "تايا" عاشت حتى سن البلوغ، وطفل ثالث، هو "رمسيس الثاني"، أو "رمسيس الأكبر".

قاد سيتي الأول عدة حملات حربية خارج مصر، لكي يعيد مصر القديمة إلى مكانتها السابقة. في سوريا، داهم القلاع وفتح البلاد وعاد بالأسرى. قاد حملة على ليبيا في الغرب. أقام بعض التماثيل الجميلة في مصر.

بدأ في بناء الصالة المغطاة بالكرنك. أعمدتها ضخمة جدا لدرجة أن 100 رجل يمكنهم الوقوف على عمود واحد منها.


أعمدة الكرنك، الأضخم في العالم

معبده بأبيدوس، هو أول المشاريع الضخمة بعد مدينة "إخناتون" بتل العمارنة.


معبد سيتي الأول بأبيدوس

معبد أبيدوس، يوجد به قائمة بأسماء الملوك العظام الذين حكموا مصر. لا نجد من بينهم "إخناتون"، "توت عنخ آمون"، "آي"، أو "حتشبسوت". كأنهم لم يوجدوا قط. بالمعبد سبع أقسام لتمجيد سبع آلهة: "رع حور اختي"، "آمون رع"، أزوريس"، "إيزيس"، "حورس"، "بتاح"، "سيتي". صالة القدماء تكرم أجداد "سيتي الأول".

يوجد أيضا في أبيدوس (محافظة سوهاج)، ما يعرف بمقبرة "أوزوريون". تعتبر من أهم، أو أهم، الاكتشافات الأثرية في العالم أجمع. تقع خلف المعبد الجنائزي ل"سيتي الأول". ليست ضمن المزارات السياسية الرسمية. هذا غريب، لأنها أهم من المعبد الكبير وأقدم.


مقبرة أوزوريون في أبيدوس

توجد هذه المقبرة أو المعبد الجنائزي، على بعد 90 ميل من مدينة الأقصر. تعتبر أهم الاكتشافات التي تمت في المئة سنة الأخيرة. ستكون من المحظوظين إذا وجدت دليلا سياحيا يمكنك من زيارتها.

مقبرة أوزوريون ربما تكون أقدم من الأهرامات وأبي الهول. هذا ملخص لما تم اكتشافه حديثا:

في منتصف العشرينيات من القرن العشرين، بينما كان الأثريون يحفرون في منطقة أبيدوس تحت لفح الشمس الحارقة، وجدوا جدار معبد أو مقبرة. كانت مغمورة تحت الرمال، على عمق 30 قدم، وظلت هكذا لعدة آلاف من السنين.

ما قد وجدوه، شئ ليس له مثيل في الوجود. تيقنوا أن هذا الاكتشاف سوف يقلب علم المصريات وتاريخ مصر القديم رأسا على عقب.

أول رأي بالنسبة لمقبرة أوزوريون، هي أنها مقبرة الإله أوزوريس، الذي حكم كملك عظيم، ثم قتله أخوه "ست". بعد ذلك، جمعت إيزيس، زوجته، قطع رفاته من كل أنحاء البلاد. نفخت فيه الآلهة لكي يبعث من جديد. ظل أوزوريس يعبد في أبيدوس لآلاف السنين، ولم يكتشف له قبر هناك.



إيزيس، أوزوريس، ابنهما حورس

هذا الرأي، تم نقضه بعلماء المصريات. الذين يرون أن "سيتي الأول" هو باني المقبرة، لأنهم وجدوا اسم "ستي الأول" داخل خارتوش، ضمن الكتابة الدينية المقدسة، في الممر الواصل بين المقبرة والمعبد الجنائزي ل"ستي الأول".

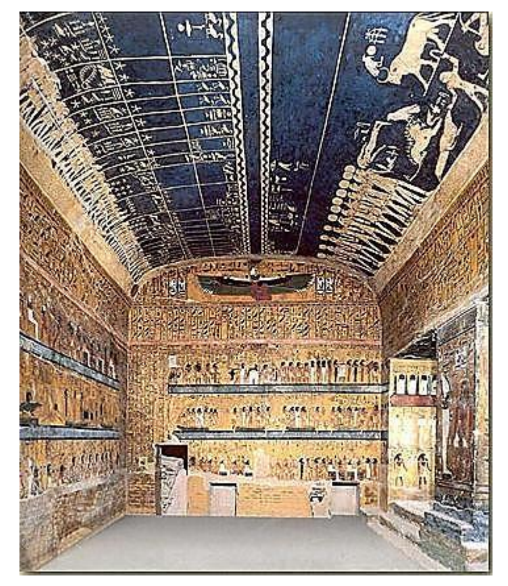
لكن لايزال هناك شك في أن باني المقبرة هو "سيتي الأول". لماذا؟ لأن البناء يختلف عن أي بناء عرفه المصريون من قبل. كما أن المعبد الجنائزي الذي بناه "سيتي الأول"، بني على شكل حرف (L).

هذا يعني أن مقبرة "أوزوريون" كانت في الطريق. أي أنها كانت موجودة أولا. كتل الجرانيت المستخدمة في البناء، لا تستخدم عادة في البناء في زمن "سيتي الأول".

كما أن مستوى الأساسات المنخفض، يدل على أن المقبرة قد بنيت في زمن سابق، عندما كان مستوى الأرض منخفضا عن المستوى الحالي. لأن المصريين عادة، لا يبنون أساسات غائرة تحت الأرض. تتابع طمي فيضان نهر النيل، تسبب في ارتفاع الأرض لاحقا.

سبب آخر، يربط هذه المقبرة بالإله "أوزوريس"، هو وجود زهرة الحياة محفورة على أحد الأعمدة. هذا لم يتكرر في أي معبد من المعابد المصرية القديمة. كما أن زهرة الحياة ترمز للعيون الكثيرة، ومعنى اسم "أوزوريس" هو العيون الكثيرة.

هناك قصة أخرى، تقول أن رأسه فقط هي المدفونة هنا. أما "سيتي الأول"، فربما يكون قد ترك تابوته هناك، عندما كان ينتظر الدفن في وادي الملوك. وقد يكون قد أضاف هذه الرسوم والخرتوش الذي يحمل اسمه، لكي يأخذ البركة وينسب هذا العمل لنفسه.


مقبرة سيتي الأول بوادي الملوك

توفى "سيتي الأول" ودفن في وادي الملوك. سقف مقبرته هناك، مزين بالرسوم والنقوش الرائعة. تابوته مصنوع من المرمر الشبه شفاف.

"سيتي الأول" كان قد أعد ابنه "رمسيس الثاني" لكي يخلفه، واحد من أعظم ملوك مصر القديمة قاطبة. في شبابه، كان "رمسيس الثاني" يشارك في الحملات الحربية ضد سوريا مع والده "سيتي الأول". وكان يُرسم واقفا بجوار والده في العربات الحربية. يظهر أيضا على جدران صالة الأقرباء في معبد أبيدوس وهو يساعد والده.


رمسيس الثاني

له زوجتان رئيسيتان: "نفرتاري" و "إزتنوفريت". منهما أنجب 5 أبناء وبنتين. "نفرتاري" الملكة الرسمية، أنجبت الأمير "أمون هيركبشيف". "إزتنوفريت"، أنجبت "خايمويسي"، الذي أصبح حاكم "منف" وكبير كهنة "بتاح" في منف.


نفرتاري زوجة رمسيس الثاني

قام خايمويسي بترميم أهرامات "أوناس" آخر ملوك الأسرة الخامسة، جنوب هرم سقارة. هو أيضا باني السيرابيوم المخصص لكي يكون مقبرة لعجل أبيس. طلب أن يدفن مع عجل أبيس بدلا من أن يكون له قبر خاص به. السيرابيوم هو كل معبد مخصص لعبادة سيرابيس، وهي ديانة تجمع بين أوزوريس وعجل أبيس.

عبادة عجل أبيس جاءت متأخرة. عجل أبيس يحمل روح الإله "بتاح". التماثيل الجرانيت الضخمة التي وجدت لعجل أبيس، كل منها منحوت من قطعة صخر واحدة، تزن ما بين 60 و 80 طن. كل التوابيت تم نهبها. وجدت بينها مومياء "خايمويسي".

أنجبت "إزتنوفريت" أيضا "ميرنبتاح"، الإبن ال13، من أبناء رمسيس الثاني ال52. سوف يرث الحكم مستقبلا ويصبح فرعون مصر.

الملك الشاب "رمسيس الثاني"، كان يوصف بالشجاعة والإقدام. له عدة أسماء، كلها تصفه بالشجاعة والعسكرية: "حورس"، "الثور القوي"، "المحب للحقيقة"، "حامي مصر"، "قاهر الأعادي"، "حورس الذهبي"، "الغني على مدى السنين"، "العظيم

بانتصاراته"، "ملك الدلتا والصعيد"، "القوي في الحق"، "ابن رع"، "المحب لآمون"، "رمسيس الثاني". اسمه يعني حرفيا، "ميلاد رع": ر=رع، مسيس=ميلاد.



تمثال رمسيس الثاني

أتم "رمسيس الثاني" بناء معبد "سيتي الأول" في أبيدوس، ثم قام ببناء معبد خلفه. أكمل أيضا بناء صالة "هاييوستايل" في الكرنك، ونسبها لنفسه. معركته في قادش، بعد خمس سنوات من حكمه، هي سبب شهرته التاريخية.

كانت سوريا في ذلك الوقت، تحت حكم الحيثيين. وكانت مستقلة عن حكم مصر. عندما قامت في سوريا ثورة، تحرك "رمسيس الثاني بجيشه". أربعة فرق من الجيش، يبلغ قوام كل منها 5000 جندي: "آمون"، "رع"، "بتاح"، "ست". تحركوا جميعا إلى غزة، في طريقهم إلى قادش.

المدن كانت تسقط في طريقه، مدينة تلو الأخرى. مع الابتعاد عن مصر الأم، بدأ خط الامدادات يضعف، وبدأت المشاكل في توفير الماء والغذاء ل 20 ألف جندي.

تم القبض على جاسوسين، أخبرا رمسيس الثاني أن "مواتاليس"، ملك الحيثيين، قد فر هاربا. في الواقع، كان جيش الحيثيين ضعف عدد الجنود المصريين، 40 ألف جندي، و 2500 عربة حربية. وكانوا يختبئون بين الأحراش.

صدق "رمسيس الثاني" الجواسيس، وأمر بالسير مع فرقة "رع" التي تمثل ربع قوة الجيش، يتقدمهم إلى الأمام، مبتعدا عن بقية جيشه بمسافة كبيرة. فجأة ، هوجمت فرقة "رع".

لقد فاجأ الحيثييون "رمسيس الثاني". لكن فرعون مصر العظيم، ظل رابط الجأش، حشد بعض الجنود، وقاتل ببسالة وأنقذ ما يمكن إنقاذه.

لحقت باقي الفرق ب"رمسيس الثاني" الذي يقود فرقة "رع"، وقاموا بمطاردة الحيثيين حتى عبروا نهر العاصي في سوريا. ملك حلب الذي كان يحارب مع الحيثيين، كاد أن يغرق في النهر.

في اليوم التالي، واجه الجيش المصري، جيش الحيثيين وجها لوجه. رفض "رمسيس الثاني" عقد معاهدة صلح مع الحيثيين، لكنه قبل هدنة مؤقته.

ثم عاد بجيشه إلى مصر، لكي يسجل هذه الموقعة على جدران المعابد. هي نفس قصة جورج واشنطن عندما عبر نهر ديلاوير بالولايات المتحدة.

"رمسيس الثاني" أحد الملوك البناة العظام. نقل العاصمة الإدارية من مدينة منف (الجيزة حاليا)، إلى مدينة "بي رمسيس"، قرية قنتير التابعة لمركز فاقوس، شرق الدلتا حاليا. لأن موقعها، أفضل من ناحية الاستراتيجية العسكرية.

بنى "رمسيس الثاني" معبد أبو سمبل، جنوب أسوان. المعبد الفريد في نوعه، منحوت في الجبل. عمل معماري عظيم. على الجدران، يظهر الأسرى النوبيون. قصة معركة قادش مع الحيثيين، نجدها أيضا على الجدران. يظهر تمثال "رمسيس الثاني" بين تماثيل باقي الآلهة.



معبد أبوسمبل

المهندس المصري القديم، صمم معبد أبوسنبل بحيث تخترق أشعة الشمس المعبد مرتين في السنة، يومي 21 أكتوبر و21 فبراير، لتضىء تمثال الملك داخل المعبد. هذه المواعيد يعتقد أنها تمثل عيد ميلاد الملك وعيد تتويجه ملكلا. لكن بسبب نقل المعبد، جاء هذا الحدث متأخرا يوما واحدا عما كان عليه الحال في الأصل.



الشمس تضئ رأس تمثال الملك مرتين كل عام

بنى أيضا معبدا ثانيا للملكة "نيفرتاري"، مع كتابة فوق المدخل تقول: "إلى من تشرق الشمس من أجلها". من قال أن المصريين القدماء لا يجيدون الغزل؟

كلا المعبدين، تم نقلهما عام 1960م، تحت إشراف منظمة اليونسكو، بسبب بناء السد العالي. لقد تم تفكيكهما ثم إعادة تركيبهما في موقع آخر بدقة بالغة.

يعتبر معبد الرامسيوم، الذي بناه رمسيس الثاني لكي يكون معبدا جنائزيا له، هو من أجمل المعابد في مصر. يتكون من بقايا طرق وأعمدة متكسرة وصرح ضخم تهاوى نصفه. رمسيس الثاني، هو أكثر الملوك الذين بنيت لهم المعابد.



معبد الرامسيوم لرمسيس الثاني

يضم معبد الرامسيوم تماثيل ضخمة لرمسيس الثاني. جانب مهم من النقوش على الأعمدة وجدران المعبد، تحكي طبيعة الحياة في تلك الفترة. تسجل وقائع معركة قادش الشهيرة التي انتصر فيها الملك على الحيثيين وكيفية استعداده وتخطيطه للحرب.

لم تكن مصر لها مستعمرات خارج مصر. إنما كانت تكتفي، لدواعي الأمن، بالولاء والتبعية. لذلك تكررت الحملات الحربية على البلاد المجاورة. ربما يمكننا استنتاج الكثير من معاهدة "رمسيس الثاني" مع الحيثيين، بعد 21 سنة من حكمه.

كان الحيثيون منهكين لحربهم ضد الأشوريين والمصريين. وكانوا في أمس الحاجة لمعاهدة السلام. كتبت نصوص المعاهدة على لوح من الفضة الخالصة، باللغة المسمارية، ثم كتبت على جدران الكرنك وأبي سمبل باللغة الهيروغليفية.

هي معاهدة السلام الأولى في العالم، التي تنص على اتفاقيات دفاع وتجارة وعدم اعتداء. كنوع من إثبات حسن النية، تزوج رمسيس الثاني من أميرة حيثية. دفع مهرها، فضة وذهب وخيل ومعادن مختلفة. كان مهرها، أكبر من مهر بنت ملك بابل.

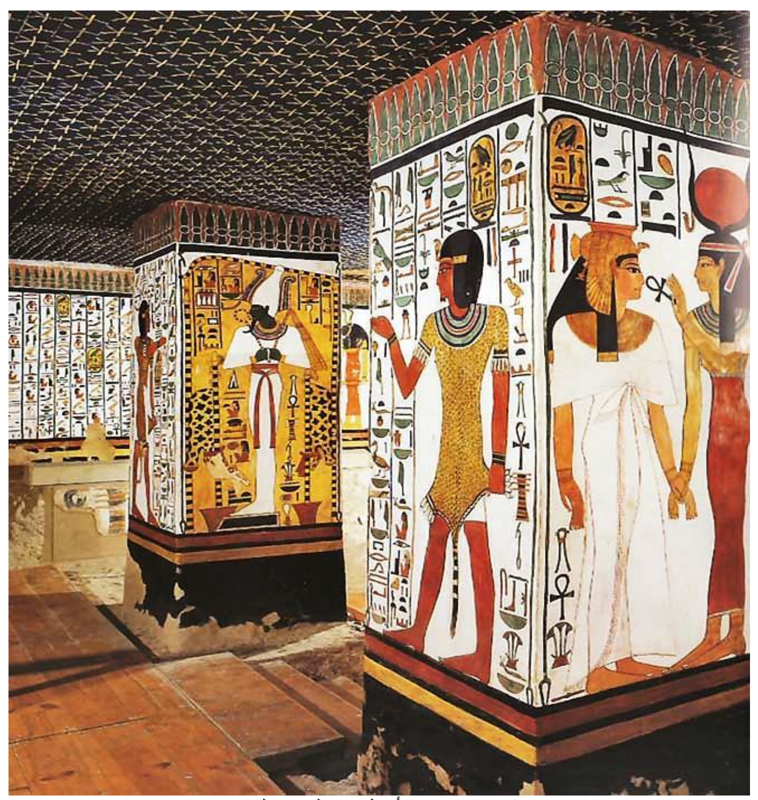
قطعت الأميرة مسافة 800 ميل إلى قصر فرعون مصر. يرافقها حامية حيثية. جلس الجنود الحيثيون مع الجنود المصريين في حفل الزفاف، يأكلون ويشربون. ونسوا ما كان بنهم من عداوة واقتتال.

وبلغت ثقة ملك الحيثيين، "هوتوسيليس الثاني"، بالمصريين درجة جعلته يطلب طبيبا مصريا لعلاج أخته من العقم.

يبدو أن "رمسيس الثاني" أعجب بالفكرة وجاءت المرأة الحيثيية على هواه. ففي سنة 44 من بداية حكمه، طلب الزواج من إمراة حيثية ثانية، بحجة المحافظة على معاهدة السلام.

بعد 20 سنة من حكم "رمسيس الثاني"، توفت زوجته الجميلة "نفرتاري" بعد أن اكتمل بناء معبد أبوسمبل. لم يُعلن عن وفاتها، واختفت فجأة من التاريخ. ابنه الأول، وولي العرش، توفى بعد 17 سنة من حكمه. ابنه حاكم منف ورئيس كهنة "بتاح"، توفي ودفن بالسيرابيوم المخصص لعجل أبيس.


مدفن "نفرتاري"، في وادي الملكات، هو أجمل المقابر كلها.


قبر نفرتاري الأجمل بين القبور كلها

مدفن أبناء "رمسيس الثاني"، هو الأكبر بين مدافن المصريين. كان له 52 ابنا. اكتشف في القرن التاسع عشر، ثم فقد. أعيد اكتشافه عام 1987م. به مئات الغرف على عدة مستويات. ربما خصصت بعض الغرف لكي تكون مصلى لتقديم القرابين على أرواح الموتى.

يعتقد الكثيرون من الناس أن "رمسيس الثاني" هو فرعون موسى. سوف نحكي قصة النبي موسى كما وردت بالكتب السماوية. ثم ننظر إلى الشواهد التي تؤيد أو تنفي هذا الادعاء.

تقريبا، لا يوجد أي دليل على صحة قصة النبي موسى في مصر وانشقاق البحر وغرق فرعون. حكاية قتل الأطفال الرضع في مصر، لا يوجد دليل واحد على صحتها. فالديانة المصرية القديمة كانت تحرم قتل الأطفال.

ربما كانت القصة صحيحة بالنسبة لملوك بابل أو بالنسبة لأيام النبي إبراهيم، أو بالنسبة للحكم الروماني في فلسطين. الصحيح هو أن مصر المكان الآمن الذي يهرب إليه الجميع من الظلم والفاقة والجوع.

يقول صاحب إنجيل متى، إن أمه ذهبت به من فلسطين إلى مصر خوفاً من "هيرودس"، الحاكم الروماني لليهود، الذي عزم على قتل جميع الأطفال الذين ولدوا في ذلك العام، لأن منجمين مجوس أخبروه بولادة ملك اليهود.

كما أن حكاية الطفل موسى والسلة في النيل، هي قصة تخص الملك "سرجون" الأكادي العظيم، عندما وضعته أمه وهو طفل في سلة مطلية بالقار في النهر، لكي يلتقطه جنايني الملك، فيتربى في القصر ويصبح ساقي الملك.

ثم يخرج على سيده، ويجلس على عرش أكاد ملكا فيما بعد. أما بالنسبة لمصر، فلا يوجد دليل مادي واحد على صحة أي من هاتين الروايتين.

لكن قصة موسى، هي أساس الديانة اليهودية، والإيمان بها أساسي بالنسبة للمسيحية والإسلام. تصف العبودية في مصر، ثم الخروج، ثم الذهاب إلى أرض الميعاد.

يقول الإنجيل أن الإسرائيليين يبنون بالطوب اللبن، لا بالأحجر. وأن فرعون أمر بقتل كل مولود ذكر من الإسرائيليين. ولد موسى، فوضعته أمه في سلة وألقته في اليم. رأته أميرة مصرية، فأمرت بسحبه من الماء.

قامت أمه بإرضاعه. عندما بلغ سن الشباب، تزوج. ثم ظهر له الرب، عندما هرب من مصر، في صورة شجيرة مشتعلة. طلب الرب من موسى، أن يقوم بتحرير بني إسرائيل، لكي يجدوا أرض الميعاد، أرض اللبن والعسل.

منح موسى قوة سحرية. عصى يمكن أن تتحول إلى ثعبان. وقف موسى أمام فرعون. قال فرعون إن الحكومة سوف توقف إمداد العبرانيين بالتبن لزوم عمل قوالب الطوب اللبن، عليهم أن يجدوه بأنفسهم.

صب الرب غضبه على المصريين. 10 كوارث عصفت بالبلاد: عم الظلام وسط النهار (رياح الخماسين). وتحول ماء النهر إلى دماء (الفيضان والغرين أحمر اللون). البعوض. وكوارث أخرى.

الكوارث التسع الأول، يمكن تفسيرها بالظواهر الطبيعية. لذلك لم يجزع لها فرعون. لكن كارثة موت الطفل الأول، أجبرت فرعون على الامتثال. ثم قام العبرانيون بسرقة فضة وذهب المصريين والهرب بها.

قيل أن عددهم 600 ألف نسمة في ذلك الوقت. كلهم رجال، مكثوا في مصر 430 سنة. لم يهربوا عن طريق السفر إلى فلسطين المعتاد، وإنما، خوفا من اكتشاف أمرهم، هربوا عن طريق مستنقعات البوص التي كانت منتشرة بسبب فيضان النيل.

يأتي جيش فرعون بعرباته الحربية لتتبع العبرانيين، فتغوص عرباتهم في الطمي. يتوه الإسرائيليون في سيناء، لكنهم في النهاية، يصلون إلى أرض كنعان.

هناك سبب لعدم وجود دليل مادي على قصة خروج العبرانيين من مصر. هو أن المصريين القدماء، لم يكن يحبون تسجيل هزائمهم. فضلا عن أن قصة الخروج، ليست مهمة بالنسبة للمصريين. إذا كان عددهم بالعشرات أو المئات. العبرانيون قاموا بتضخيم العدد لإظهار الأهمية.

المدن التي بناها رمسيس الثاني في شرق الدلتا، هي مدن حقيقية يمكن أن نشاهد آثارها اليوم، حيث كان يعيش العبرانيون. كانوا يبنون بالطوب اللبن، وليست الحجارة. ثعبان الكوبرا يمكن أن يقف، أمام الحواة، منتصب القامة كأنه عصا. اسم "موسى"، اسم مصري خالص يعني "الميلاد".

مذا يعني كل هذا؟ يعني أنه ربما يكون "رمسيس الثاني" هو فرعون موسى والخروج. بردية "ليدن" تقول إن "رمسيس الثاني" قام بتوزيع حصص القمح على الجنود وعلى العبرانيين (Apiru)، الذين يقومون بنقل الأحجار لبناء معابد "رمسيس الثاني".

لكن القصة كما جاءتنا من العبرانيين، ربما يكون بها مبالغة. لا ننسى أن تاريخ العبرانيين، كتبه العبرانيون أنفسهم. تخيلوا معي أن الإخوان المسلمين، هم الذين

يكتبون تاريخهم. فماذا، يا ترى، سيقولون عن أحداث اليوم؟ بعد أن نزلت الملائكة في ميدان رابعة، وأمّ مرسي كل الأنبياء والرسل في الصلاة.

مومياء "رمسيس الثاني" تخبرنا الكثير عن سنواته الأخيرة. اكتشفت مخزونة في الدير البحري. ظلت في القاهرة ما يقرب من 100 سنة. بدأت في التحلل وبدأ الفطر ينمو عليها.

لم يكن أحد ينتبه لحاجة المومياء للعلاج، مثل باقي الآثار. هو الفرعون الوحيد، الذي ركب الطائرة، وتركت مومياؤه أرض مصر. ذهبت إلى باريس عام 1976م، للعلاج. استقبلت في مطار لوبورجيه، بالمراسيم المخصصة لاستقبال الملوك.

وجد الفرنسيون 89 بقعة فطر تنمو على مومياء جلالته. استخدمت أشعة جاما لقتل الفطر. لا ندري هل أثر هذا في تركيبة الحامض النووي (DNA)، أم لا. ثم وضعت المومياء في النيتروجين. أصبحت المومياء الآن كاملة التعقيم. ثم عادت إلى القاهرة بسلام الله.

أحد العاملين في الفريق الفرنسي، الذي شارك في معالجة المومياء، انتزع خصلات شعر من المومياء. بعد وفاته عام 2001م، حاول ابنه بيع هذه الخصلات، وعينات الكتان ومواد التحنيط على شبكة الإنترنت. عرضها في أكياس صغيرة يتراوح سعرها بين 2000 و 2500 يورو .

طلبت مصر من فرنسا حينذاك أن توقف فورا عملية البيع هذه، فأوقفت الشرطة الفرنسية الرجل. وأعادت الخصلات إلى مصر.

أكدت الحكومة المصرية، أنه لن يسمح لأية جهة أجنبية بالقيام بفحص ودراسة المومياوات الملكية الفرعونية بعد ذلك. سوف يتم إعطاء هذا الحق للعلماء المصريين، الذين نجحوا في دراسة وتعقيم مومياء "توت عنخ آمون".

أسفرت دراسة مومياء "رمسيس الثاني" عن أنه كان مصابا بتصلب في الشرايين، وكان يعاني من مرض في الفك السفلي، ربما كان السبب في وفاته. كان لون شعره أحمر. ربما يكون للون الشعر مدلول ديني. فأتباع الإله "ست"، يقال أن شعورهم حمراء اللون.


ميرنبتاح

خلف "رمسيس الثاني" في الحكم، ابنه "ميرنبتاح" (1212-1202)، أي "حبيب بتاح". لوح النصر الخاص به، اكتشفه عالم الآثار "بيتري" داخل معبده الجنائزي بطيبة.

اللوح يصف حملته ضد الكنعانيين. كتب على اللوح: "دمرت إسرائيل، وانقطع نسلها". كان الاعتقاد، لمدة طويلة، أنه فرعون موسى. في عام 1920م، اكتشف "هاوارد كارتر"، مكتشف قبر "توت عنخ آمون"، 13 جرة من الألاباستر بالقرب من القبر.

النقوش على الجرار تقول أنها تحتوي على الزيوت المقدسة التي استخدمت في تحنيط "ميرنبتاح". دفن في ثلاث توابيت جرانيت حمراء، داخل بعض.

يأتي بعد ذلك، "أمون نسيس" (1202-1199ق م)، ابن "ميرنبتاح". لم يكن الابن الوريث، لكنه أصبح فرعونا. أمه لم تكن الزوجة الرسمية. قام ببناء قبر له في وادي الملوك.

"سيتي الثاني" (1199-1193)، خلف "أمون نسيس"، ثم قام بمحو اسمه من السجلات. لماذا؟ ربما عقدة أوديب. أسوأ شئ يمكن أن يحدث لأي فرعون، هو أن لا يخلد اسمه في التاريخ. بنى "سيتي الثاني"، ضريحا بالكرنك للآلة: آمون، موت، خنسو.

"سيتي الثاني"، له ثلاث زوجات. "تيا"، أم "سي بتاح" (1193-1187ق م)، الملك التالي. "توسريت"، حكمت مصر فيما بعد.

"توسريت" (1187-1185ق م)، هي زوجة أب، ل "سي بتاح". حكمت كملك. مثل "حتشبسوت" من قبل. مما يدل على أن القلاقل كانت تعصف بالبلاد في ذلك الوقت.

لها قبر صغير وحدها في وادي الملوك. ولها مكان منفصل لدفن جواهرها. تم اكتشافه عام 1908م. به كمية كبيرة من الذهب، قلادة رائعة وقفاز من الفضة به ثمانية خواتم.
هي آخر ملوك الأسرة التاسعة عشر.

12

الأسرتان 20-21

الأسرة العشرون

من هو الملك "ست ناخت" (1185-1182م)، الذي يعني اسمه "ست المنتصر"؟ عندما جاء إلى الحكم، أول شئ فعله، هو مسح اسم الملكة "توسريت"، آخر ملوك الأسرة التاسعة عشر، من قبرها في وادي الملوك.

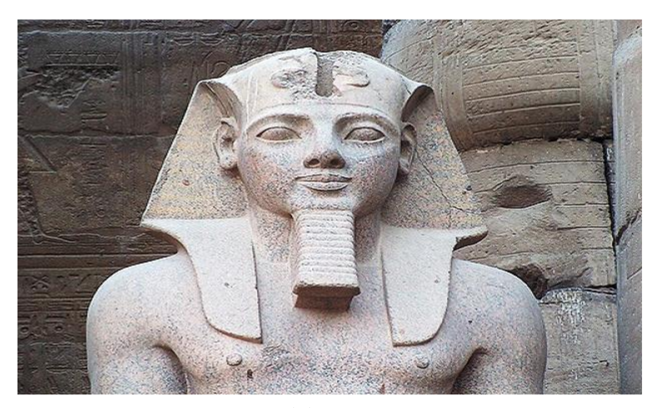

من مقبرة ست ناخت

بردية "هاريس"، التي يبلغ هولها 113 قدما، ويرجع تاريخها إلى عهد "رمسيس الثالث"، تعطينا بعض المعلومات عن هذا الملك. البردية، كان من المفروض أن تدفن مع "رمسيس الثالث". لكنها وجدت في قبر خاص عام 1855م.

ربما وجدها لصوص المقابر في الزمن القديم، وباعوها لكي تستخدم ك"كتاب الموتى" الذي كان يدفن مع المتوفي في قبره. لم يكن من استخدمها يعرف أنها

ليست كتاب الموتى. هي وثيقة تاريخية، تبين بداية الأسرة العشرين، وأن "ست ناخت"، قام بإخماد ثورة الآسيويين، وأعاد فتح المعابد وحفظ الأمن والنظام في ربوع البلاد.

"رمسيس الثالث" (1182-1151ق م)، ربما يكون آخر الفراعنة العظام الذين حكموا مصر. بعد خمس سنوات من حكمه، حاول الليبيون غزو مصر. لكن "رمسيس الثالث" قام بسحقهم.



رمسيس الثالث

شعوب البحر، لفظ يطلق على ائتلاف مكون من الفينيقيين والصقليين وشعوب أخرى من المتوسط. قاموا بمحاولة غزو مصر، في موجة هجرة جماعية كبيرة. على جدران المعابد، وجدت رسومات لهم تبين نساء وأطفال في عربات تجرها الثيران.

لكن تم طردهم على الحدود عند رفح. حاولوا القدوم بالبحر أيضا من ساحل المتوسط عند مصب نهر النيل، لكن المصريين قاموا بهزيمتهم وطردهم من البلاد.

بهذا استطاع المصريون أن يبعدوا خطرا لا يقل أهمية عن خطر الهكسوس. فلقد أباد شعوب البحر، حضارة اليونان والأتراك والشام في العهد القديم، قبل أن يأتوا إلى مصر ويبيدهم رمسيس الثالث.

بردية "هاريس"، تخبرنا أيضا بإنجازات كبيرة ل"رمسيس الثالث". قام بمنح هبات كبيرة للمعابد، في صورة أراض وماشية وملابس وزيوت وأشياء أخرى. حملات "رمسيس الثالث" الحربية مدونة حسب التسلسل التاريخي. الاقتصاد المصري في عهده، كان مزدهرا.

معبد "رمسيس الثالث" الجنائزي بمدينة هابو، يشبه القلاع السورية. كان يستخدم كقصر، عندما يكون "رمسيس الثالث" في طيبة.



معبد رمسيس الثالث بمدينة هابو

قام "رمسيس الثالث" بدفن أولاده في وادي الملكات. "رمسيس الثالث"، ليس ابن "رمسيس الثاني"، ربما يكون حفيده، لكنه كان يقلده لكي يصبح عظيما مثله.

بردية بعنوان "تآمر الحريم"، تقول بأن أحد الملكات تآمرت لقتل زوجها الفرعون "رمسيس الثالث"، لكي يتقلد ابنها العرش. استخدمت في ذلك السحر لكي تقتل الفرعون.

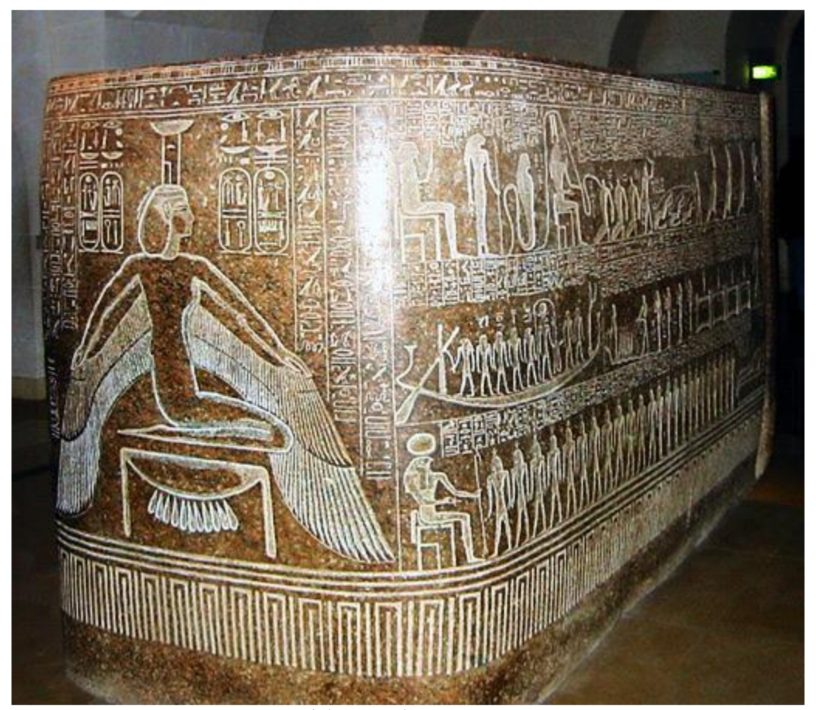
عشرات المتآمرين، من أقرب الناس للفرعون، اعترفوا بجريمتهم. البردية تقول بأن "رمسيس الثالث"، قد توفي قبل أن يعدم المتآمرين.

قبر "رمسيس الثالث"، كان معدا لكي يدفن فيه والده، الملك "ست ناخت"، لكنه ترك عندما جاء في طريقه قبر آخر. الوادي كان يضيق بالقبور الكثيرة. زحمة يا دنيا زحمة.

على جدران القبر، يوجد رسم لآلتي الهارب، العازفان أعميان، قمة في الروعة الفنية. القاعدة منحوتة في صورة رأس الملك، تنبع من زهرة اللوتس الزرقاء. يسمى القبر على اسم مكتشفه، عام 1769م، "قبر بروس". أو "قبر الهارب".



عازفي الهارب في قبر رمسيس الثالث



تابوت جرانيت لرمسيس الثالث

حكم مصر بعد "رمسيس الثالث" أولاده الثلاثة. كان أولهم:
"رمسيس الرابع" (1151-1145ق م)، حكم ست سنوات. أرسل العمال إلى وادي الحمامات لقطع الجرانيت الأسود لعمل تماثيل للآلة. هذه دلالة على استقرار الأمور والازدهار الاقتصادي.
"رمسيس الخامس" (1145-1141ق م)، ابن "رمسيس الثالث"، حكم فترة قصيرة، أقل من أربع سنوات. يبدو من فحص مومياه أنه كان مصابا بمرض الجدري.

"رمسيس السادس" (1141-1133ق م)، ابن "رمسيس الثالث"، كان ملكا ضعيفا. أثناء حكمه، بدأت المناطق التي كانت تحت النفوذ المصري تستقل. وهجرت العمال مناجم التركواز داخل البلاد.

"رمسيس السابع" (1133-1126ق م)، حفيد "رمسيس الثالث"، وابن "رمسيس السادس". عاصر انحدار البلاد. بدأت الاضطرابات والأزمات الاقتصادية وارتفاع الأسعار الجنوني.

الفراعنة الذين حكموا بعد ذلك، نعرف عنهم القليل.

"رمسيس الثامن" (1126ق م)، حكم سنة واحدة فقط.

"رمسيس التاسع" (1126-1108ق م)، حكم مدة طويلة نسبيا. أثناء حكمة، نهبت القبور الملكية. لم يعد في مقدور الملك حماية وادي الملوك من السرقة.

"رمسيس العاشر" (1108-1105ق م)، نعرف عنه القليل. في عهده، فقدت مصر كل نفوذها على الدول المجاورة.

"رمسيس الحادي عشر" (1105-1070ق)، هو آخر ملوك الأسرة العشرين. تخبرنا قصة "وينامون"، الذي أرسله كبير كهنة آمون، حيري حور، في عهد "رمسيس الحادي عشر" إلى بلاد الشام، لكي يتعاقد على شراء أخشاب لصناعة قارب الإله آمون.

لكن سرقت نقوده وعومل بجفاء من جانب ملك مدينة جبيل. دليل فقدان مصر لمكانتها في ذلك الوقت. فقد جاء في الحوار بين وينامون المصري وملك جبيل هذه الجملة التي تعني الكثير:

قال لي الملك: "سوداء هي أيامكم، فأعدل عن هذه التهديدات التي لا أساس لها. الانشقاقات الداخلية عديدة في بلادكم وليس بقدرتكم تهديد أخرين"."

القصة تخبرنا أيضا، أن "حيري حور"، كان قد تولى السلطة في مصر. في البداية، كان والي "كوش". هو الذي قام بترميم معبد "خنسو" في الكرنك. كانت تظهر صوره في نفس حجم صور الملك "رمسيس الحادي عشر".

بعد ذلك، بدأ يظهر اسمه داخل خارتوش مثل الملوك. كان يحكم الصعيد، بينما "رمسيس الحادي عشر" يحكم الدلتا. كان يصف فترة حكمه ب "تكرار البعث"، أو كما نقول اليوم عصر النهضة.

الأسرة الواحد والعشرون

الأسرة الواحد والعشرون، تختلف عن باقي الأسرات في أنها كانت تحكم الصعيد، بينما مصر كانت منقسمة إلى بلدين: الدلتا والصعيد. نسل كبير كهنة آمون "حيري حور"،

كانوا يسمون أنفسهم ملوك، يحكمون من العاصمة طيبة. في الدلتا، كانت هناك أسرة أخرى تحكم، يسمي حكامها أنفسهم أيضا ملوك. مصر كانت منقسمة إلى نصفين.

الملوك الكهنة، حكموا من العاصمة طيبة (1080-945 ق م). "حيري حور" (1080-1074ق م)، توفى قبل "رمسيس الحادي عشر". لكنه مهد الطريق لحكم الكهنة. حكم رجال الدين.

"بيانخ" (1074-1070ق م)، كان ملكا، في نفس الوقت، كان كبير كهنة آمون. توفي تقريبا في نفس الوقت الذي مات فيه "رمسيس الحادي عشر".

"بينيدجيم" (1070-1032ق م)، تزوج ابنة "رمسيس الحادي عشر". قام بفحص مقابر وادي الملوك وترميم المومياء التي تحتاج ترميم. هذا أيضا دليل على ضعف البلاد وعدم قدرتها على حماية المقابر. في نفس الوقت، كان يحكم الدلتا، "سميندس الأول". دليل آخر على انقساب مصر إلى بلدين.

عندما بدأت تماثيل المجاوبين (أوشبتي) للملك "بينيدجيم"، وهي تماثيل صغيرة توضع مع مومياء الميت للإجابة عنه، في الظهور في سوق الأنتيكات عام 1870م، بدأ البحث عن قبره الملكي.

"ماساهيرتا" (1054-1046ق م)، ابن "بينيدجيم"، أيضا كبير كهنة آمون، لم يكن مهما.

"مينخيبيري" (1045-992ق م)، ابن "بينيدجيم"، أيضا كبير كهنة آمون.

"سميندس الثاني" (992-990 ق م)، ابن "مينخيبيري". قام بفحص القبور الملكية، فوجد أنها كلها بدون استثناء تم نهبها وسرقة محتوياتها.

قام بتجميع المومياوات كلها مع بعض ونقلها خارج الوادي إلى مكان آمن. وُجد مدفنه سليما في نفس المخزن أو المقبرة الجماعية التي نقلت إليها المومياوات. ربما يكون مدفنه الأصلي.

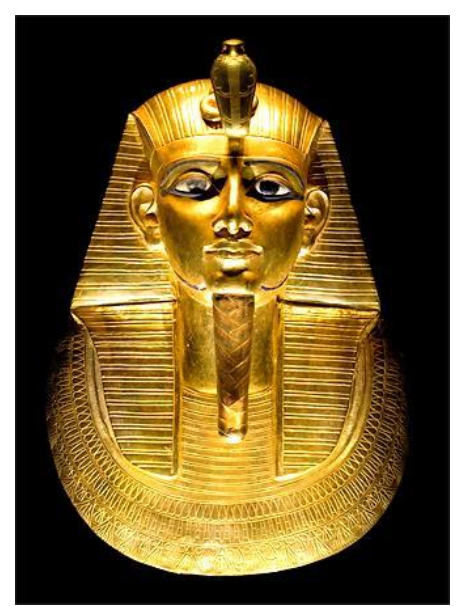
"بسوسينيس الثالث" (969-945ق م)، لا نعرف شيئا عنه. هو آخر الملوك الكهان الذين حكموا من طيبة. الذين كان ينحصر اهتمامهم على الشئون الدينية وترميم المومياوات أو نقلها للحفاظ عليها.

ملوك تانيس (1069-945ق م)، الذين حكموا الدلتا كانوا هم الملوك الرسميين.

"سمينديس الأول" (1069-1043ق م)، توج نفسه ملكا بعد موت "رمسيس الحادي عشر". نقل العاصمة من "بيراميس"، وهي المدينة التي بناها "رمسيس الثاني" في الدلتا لكي تكون عاصمة ملكه، إلى تانيس. نقل إليها تماثيل ومسلات كثيرة ل"رمسيس الثاني". مما جعل الكثير من علماء الآثار يعتقدون أن تانيس هي "بيراميس".

"آمون منيسو" (1043-1039ق م)، ابن "حيري حور" كبير كهنة طيبة، حكمه كان يدل على التعاون بين طيبة وتانيس.

"بسوسينيس الأول" (1039-991ق م)، فترة حكمه هي أطول فترة بالنسبة لكل ملوك الأسرة. اكتشف قبره بالكامل، وهو ينافس في محتوياته قبر "توت عنخ آمون". دفن في تابوت حجري ل"ميرني بتاح"، داخل توابيت متداخلة. له تابوت من الفضة خاص به، عليه قناع من الذهب. هؤلاء الملوك لم يكونوا فقراء.



بسوسنيس الأول


لوريت

مقبرة جماعية أخرى للمومياوات الملكية، كانت مخصصة للملوك الكهنة الذين حكموا من طيبة في الأسرة الواحد والعشرين. في عام 1898م، اكتشف "فيكتور لوريت"، قبر "أمنحتب" الثاني. وهو اكتشاف تسبب في اصابة "لوريت" بانهيار عصبي.

القبر وجد منهوبا من كل محتوياته. لكن كانت هناك غرفة جانبية، وجد "لوريت" بها مومياوات ل: سيدة عجوز، وأمير، وشابة. لأن المومياوات الثلاثة بها ثقوب في الرأس. بدأ يفكر، هل هو أمام دليل على موت جماعي وتقديم قرابين بشرية للآلهة؟

طريقة تحنيط السيدة العجوز، تدل على أنها ملكة أو أميرة. المومياوات الثلاثة من الدولة الحديثة. لكن ليس من الواضح من يكونون. مقارنة الحامض النووي لشعر مومياء السيدة العجوز بخصلات الشعر، التي وجدت في صندوق في قبر "توت عنخ آمون"، والتي تخص الملكة "تي" جدته، وجد انها هي نفسها. الملكة "تي"، هي أم "إخناتون" وزوجة "أمنحتب" الثالث، وجدة "توت عنخ آمون".

في غرفة جانبية أخرى، وجدت مفاجأة مذهلة. تسع مومياوات أخرى في أكفانها. لقد وجد "لوريت" مخزن أو مقبرة جماعية ملكية، مثل التي وجدت من قبل بالدير البحري.

هنا يرقد "أمنحتب" الثالث، "ميرني بتاح"، وسبعة آخرون. هذا يفسر لنا، لماذا دفن "بسوسينيس" في تابوت حجري، مكتوب على غطائه "ميرني بتاح".

مومياء الأخير تم نقلها إلى قبر "أمنحتب الثاني"، هربا من السرقة والنهب. لكنهم لم يستخدموا التابوت الحجري، فنقلوا غطاءه إلى تانيس في الشمال.

نحن الآن أمام أسرتين تحكمان مصر في آن واحد. واحدة في الصعيد، والأخرى في الدلتا. كان بينهما سلام وتعاون. كانا يتبادلان الملوك، قاما حتى، بشحن غطاء تابوت حجري من الجنوب إلى الشمال.

"أمون موبي" (993-984 ق م)، ابن "بسوسينيس الأول"، دفن في تانيس في قبر والدته، بجوار قبر والده. هو أيضا له قناع ذهبي.

"أوزوركون" (984-978ق م)، لا نعرف عنه الكثير.

"سياموم" (978-959ق م)، يبدو أنه كان نشيطا. كان يبني بكثافة في معبد آمون بتانيس. قام بإعادة تربيط عدة مومياوات ملكية في طيبة، لكي يثبت تمسكه بالتقاليد.

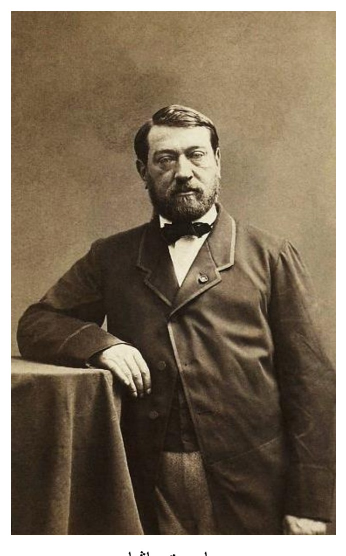
هنا إشارة ل "سياموم" في العهد القديم. عندما كان داود (دافيد)، يحارب الفلسطسنيين، ويوحد قبائل إسرائيل. سليمان بن داود، تزوج أميرة مصرية.

يعتقد أنها ابنة "سياموم". الآن الأميرات المصريات، أصبحن يتزوجن خارج مصر، وهي عادة لم تكن متبعة من قبل. الأسرة الواحد والعشرون، آخرها "بسوسينيس" الثاني (959-945ق م).

13

نزل الستار وفقدت مصر استقلالها

في المقال السابق، تركنا مصر وهي منقسمة إلى نصفين. كهنة آمون في الصعيد يحكمون هناك. أسرة منفصلة تماما تحكم الدلتا في نفس الوقت. سوف تتحد مصر من جديد، لكن للأسف تحت نير الحكم الأجنبي.

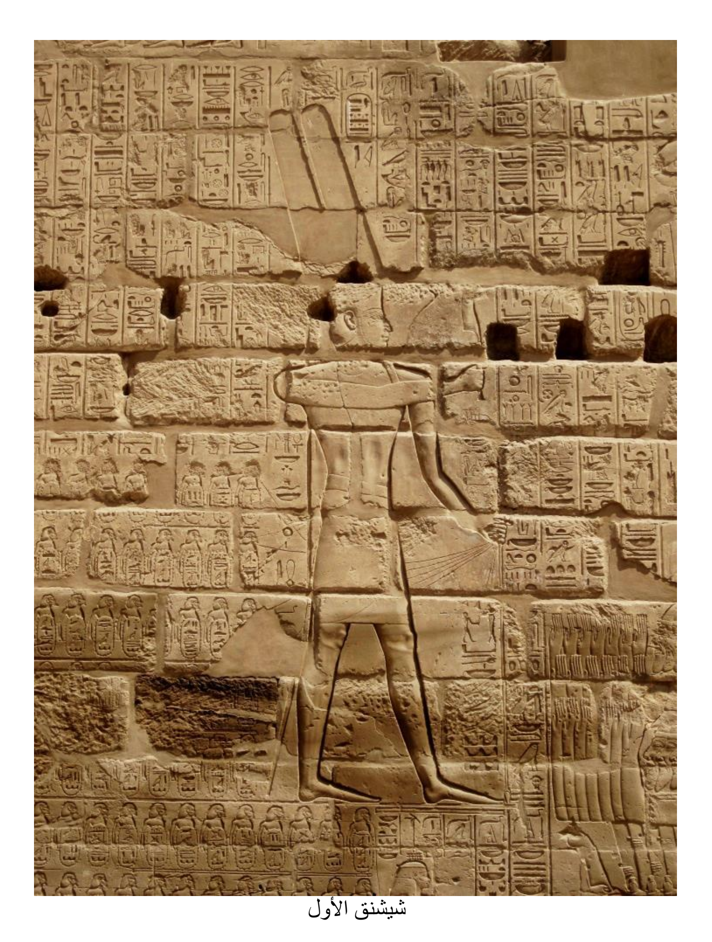


ماربيت باشا

معلوماتنا عن ملوك الأسرة 22، تأتينا من عمليات التنقيب التي قام بها "ماربيت" باشا عام 1851م، عالم المصريات ومؤسس المتحف المصري للآثار، ومكتشف السرابيوم (مدفن عجول أبيس)، ومؤلف النص الشعري لأوبرا عايدة.

معلوماتنا تأتي أيضا من بعض آثار الدلتا. من بوابة "بوبسطة" في الكرنك، التي تبين أسرى أجانب وقعوا في قبضة ملوك هذه الأسرة.

"شيشنق الأول" (945-924ق م)، تزوج ابنة "بسوسينيس الثاني" آخر ملوك الأسرة 21. كان القائد الأعلى للجيش. في أيامه، كانت حامية ليبية من الجنود المرتزقة، تقوم بعمل الشرطة في مصر.



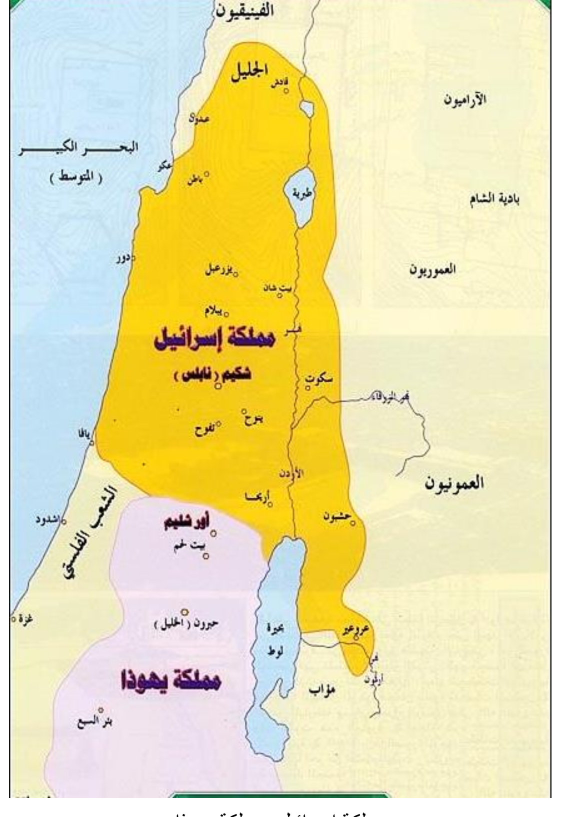
شيشنق الأول

كما يحدث في مصر الآن، عندما يجد الخطب وتعم الفوضى، يتدخل الجيش. "شيشنق الأول" لم يكن من أصل مصري. قد يكون من نسل أسرى شعوب البحر، أو من الأمازيغ، الذين وقعوا في قبضة "رمسيس الثالث".

بدأ الجنود المرتزقة الليبيون، رويدا رويدا، يندمجون في المجتمع المصري. قام "شيشنق" بتعيين أولاده في مفاصل الدولة، لكي يبقى في السلطة هو وعائلته، كما فعل الملك "سنفرو"، والد الملك "خوفو"، في الدولة القديمة من قبل.

ابنه "أوبوت"، كان حاكم الصعيد وكبير كهنة آمون، وأيضا كان قائد الجيش. ابنه "ديد بتاح أوف أنخ"، كان يساعد أخيه في إدارة شئون معبد آمون. ابنه "نيملوت"، كان قائدا عسكريا ب"هيراكليوبوليس" في مصر الوسطى (الفيوم حاليا).

قام "شيشنق" بحملة عسكرية، ذكرت في الكتاب المقدس، بعد موت سليمان عام 930 ق م. في فلسطين عام 925 ق م، كانت البلاد منقسمة إلى: مملكة "يهوذا"، تحت حكم ابن سليمان "رحبعام". ومملكة إسرائيل تحت حكم "يربعام الأول". "شيشنق"، اسمه في الكتاب المقدس "شيشاك".



مملكة إسرائيل ومملكة يهوذا

كان يرى "يربعام" أنه أحق من سليمان في حكم إسرائيل. لذلك، ثار على سليمان بعد أن منحه "شيشنق" الحماية. بعد موت سليمان، استطاع "يربعام"، بالاستعانة بعشر قبائل عبرانية، الاستقلال بالبلاد. سماها المملكة الشمالية.

في عام 926 ق م، قام "شيشنق" بمهاجمة "رحبعام" بن سليمان، ونهب كنوز الهيكل. دمر القدس وسبا أهلها وأخذ كنوز مملكة "يهوذا". دمر عشرات المدن اليهودية في وادي الأردن، وهاجم المملكة الشمالية أيضا.

تدل النقوش على جدران معبد الكرنك، أن "شيشنق" قد هاجم كل أنحاء فلسطين. من الناحية التاريخية، لا نستطيع الجزم بصحة قصص التوراة، التي تذكر هذه الأحداث بالتفصيل، دون دليل مادي. هذه الأحداث، ليس لها تأكيد من الجانب المصري.

لكن اكتشاف جزء من لوح (ستيلا) في مَجِدُّو تحمل اسم "شيشنق"، التي تبين حدود الدولة المصرية، كما فعل "تحتمس الثالث" من قبل، لا يدع مجالا للشك بأن حملته على المنطقة، كانت قد حدثت بالفعل. فهل كان الهدف من الحملة، هو استعادة النفوذ المصري، أم لمساندة "يربعام"، أم للسببين معا؟

قام "شيشنق" بالبناء على نطاق واسع. أقام أكبر الصروح في الكرنك يطل على نهر النيل. دفن في تانيس بالدلتا، لكن قبره وجد بعد أن نهبه لصوص المقابر.

"أوسركون الأول" (924-889 ق م)، ابن "شيشنق"، منح المعابد 487 ألف رطل فضة. قام بتعيين ابنه "شيشنق الثاني" في وظيفة كبير كهنة آمون بالكرنك، كان يشارك والده الحكم. لكن الابن توفى قبل والده ودفن في تانيس (صان الحجر).


بيير مونتيه

كل ما نعرفه عن هذه الأسرة، يأتي من حفريات عالم المصريات الفرنسي "بيير مونتيه" في تانيس. يعتقد أنها جاءت في الكتاب المقدس باسم "بيرامسيس". وجد "بيير" عام 1939م، مدافن ملوك الأسرتين 21 و 22.

الكتابة الهيروغليفية، في أحد الغرف، تبين أن القبر يخص "بسوسينيس الأول"، لكن التابوت الفضي، الذي له رأس الصقر، يخص "شيشنق الثاني".

في عام 1940م، وجد "مونتيه" غرفة ثانية مغلقة بالجرانيت، استغرق فتحها 6 أيام. هذا هو قبر "بسوسينيس الثاني". فتح "مونيه" غرفة أخرى، بأمر من الملك فاروق نفسه، ليجد بها قبر "أمون إم أوبت" ابن "بسوسينيس الثاني".



القناع الفضي لبيسوسنيس الأول، الفرعون الفضي

في عام 1946م، وجد "مونتيه" في حجرة مغلقة، مقبرة قائد "بسوسينيس الثاني". هذه المقابر وجدت كاملة، لم تنهب بالصوص. لولا أنها اكتشفت أثناء الحرب العالمية الثانية، وتم نشر أخبارها باللغة الفرنسية، لكان لاكتشافها دويا عالميا يعادل اكتشاف مقبرة "توت عنخ آمون" أو أكثر.



كنوز مقبرة بيسوسينيس الأول

"تاكيلوت الأول" (889-874 ق م)، ابن "أوسركون الأول" من زوجة غير ملكية. نعرف القليل عنه. جاء بعده "أوسركون الثاني" (874-850 ق م).

ابن عمه "هارسيس"، كبير كهنة آمون بالكرنك، أعلن نفسه ملكا على الصعيد لمدة أربع سنوات. بعد موته، عين "أوسركون الثاني" أحد أولاده "نيملوت" لكي يحل محله.

في ذلك الوقت، كانت دولة أشور (شمال العراق حاليا)، تزداد قوة. بعد أن زحفت بقواتها إلى سوريا، تحالفت مصر مع إسرائيل لكي توقف زحف الأشوريين عند نهر العاصي.

عهد "تاكيلوت الثاني" (850-825 ق م)، كان يتميز بالرخاء. لكنه، في نفس الوقت، كان يتسم بالثورات والحروب الأهلية. كان "تاكيلوت الثاني"، يأمر بقتل قادة الثوار وحرق جثامينهم لكي يحرمهم من البعث والخلود.

في مدينة "ليونتوبوليس"، وسط الدلتا، قامت الأسرة 23. حكمت الدلتا لمدة 8 سنوات فقط.

"أوسركون الرابع" (730-715 ق م)، هو آخر الأسرة 22. مصر التي توحدت تحت الحكم الليبي، بدأت تتفتت. لكنها سرعان ما تتحد من جديد. تحت حكم من؟ تحت حكم النوبيين هذه المرة.

بلاد النوبة، جنوب مصر والسودان حاليا، وجزء من إثيوبيا، كانت بلاد مناجم الذهب. ظلت تحت سيطرة المصريين أكثر من ألف سنة. بينما كانت تعم الفوضى والثورات مصر، بدأ يستقل النوبيون عن مصر.

"بيّا" أو "بعانخي" (747-716 ق م)، حكم نبتة في بلاد النوبة. زحف على مصر، مستعينا بجيش يدعمه رماة مهرة. واجهه تآلف ملوك، من أصل ليبي، مكون من:



الملك العظيم بيا أو بعانخي

"أوسركون الرابع" (الأسرة22)، من تانيس شرق الدلتا. "أيوبوت" (الأسرة 23) من "ليونتوبوليس" وسط الدلتا، "تيفتنخت" (الأسرة 24) من سايس غرب الدلتا. "نمرود" من "هرموبوليس" في الفيوم. لكن، ينتصر "بيا" عليهم جميعا، ويحتفل بفوزه في طيبة، العاصمة المصرية.

ينصح "بيَّا"، (الأسرة 25)، قواته باحترام عادات وطقوس المصريين، فيقول: "اذا بلغتم طيبة تطهروا بالماء والبسوا الكتان النقي. حطوا الأقواس وألقوا السهام جانباً."



تطهروا بالماء والبسوا الكتان النقي والقوا السلاح

"لا تتباهوا بأنكم أصحاب سلطة في حضرة الذي بدون رضاه ليس للشجاع قدرة. قبلوا الأرض بين يديه وقولوا له: أرشدنا إلى الطريق المستقيم."

قامت القوات النوبية بمحاصرة القوات المصرية المتحالفة والمحتمية بمدينة "هرموبولس". بينما ذهب "بيا" بنفسه إلى الكرنك، حتى يعلن للملأ، اعتراف آمون به ملكا. ثم اجتاحت قواته "هرموبوليس" وأخضع ملكها "نمرود".

استسلمت مدينة "هيراكليوبولس"، دون أن تنتظر استيلاء "بيَّا" عليها. اعترف حاكمها بولاية "بيَّا" في خطاب مشحون بالعبارات الأدبية. جاء فيه: "أنا وجميع ممتلكاتي في خدمتك، وندفع الضرائب لجهازك الإداري."

بعدها توجه "بيَّا" إلى الشمال واستولى دون مقاومة على القلعة التي شيدها "أوسركون الأول"، لمراقبة مدخل الفيوم، ثم زار مدينة "هليوبوليس" لأداء الشعائر التقليدية، التي تقام للإله أمون، وقدم القرابين فوق تل الرمال.

أما "تف نخت"، قائد المتمردين، فقد أرسل إلى الملك المنتصر "بيَّا" رسولاً للتفاوض، وحملَّه رسالة إلى "بيَّا". أرسل له "بيَّا" بالفعل كبير الكهنة المرتلين، يرافقه القائد العسكري النوبي (الكوشي) "باورما" حيث أقسم "تف نخت" أمامهما في المعبد قسم الولاء.

قرر "بيَّا" العودة إلى نبتة في السودان حاليا شمال الخرطوم. مع سفن حُملت بالفضة والذهب والأقمشة وسائر كنوز سوريا وعطور بلاد العرب.



مدينة نبتة شمال الخرطوم

فضلّ الملك الكوشي "بيا" ألا يحكم مصر شخصياً بصورة مباشرة، فلجأ إلى اتباع سياسة منح الحكم الذاتي للمصريين. تاركاً السلطات الإدارية بأيدي الحكام المحليين الذين أدوا له قسم الطاعة والولاء. كان يستبعد من لهم أصل ليبي، مكتفياً بالإشراف الفعلي على منطقة طيبة، والطرق الغربية حتى الواحات الداخلة.

يربط كثير من المؤرخين بين وفاة "بيا" والزى الأسود الذي ترتديه النسوة في المناطق النوبية، الواقعة شمال السودان وجنوب مصر، حيث أنه تم إرتدائه، بعد وفاة "بيا" وحزن الناس الشديد عليه. مما يدل على عدل وعظمة وقوة الملك الكوشي "بيا".



لبس السواد حزنا على الملك الكوشي بيا

دفن "بيا" في قبر شمال جبل بركل. على شكل هرم صغير، مثل مدافن الدولة القديمة. عادات الدفن النوبية ظلت مرعية. وجد جثمانه يرقد على سرير داخل قبره. بجواره عربته الحربية بأحصنتها وهي واقفة منتصبة.



هرم باغنجي أو بيا

"شباكا" (716-702 ق م)، خلف أخيه "بيا"، كما تقضي العادات النوبية. بنى المعابد في طيبة ومنف وأبيدوس. دفن أيضا في جبل بركل في هرم.


عمود طهارقة بالكرنك

يأتي بعد ذلك، "طهارقة" (690-664ق م). قام بالبناء في كل مكان. لم يبق من هذه البنايات غير عمود "طهارقة" في الكرنك.

حارب "طهارقة" الأشوريين في "يهوذا". يقول الكتاب المقدس، سفر الملوك، إن ملائكة الرب قتلت الكثير من الأشوريين قبل المعركة. المؤرخ اليوناني "هيرودوت"، قال أنه في ليلة المعركة، قرضت الفئران أوتار الأقواس. مما أجبر الأشوريين على الانسحاب.



طهارقة يقدم القربان للإله حورس

هزم "طهارقة" الملك الأشوري "آسرحدون" في "أشكلون". لكنه خسر المعركة عند مدينة منف بعد 19 سنة من حكمه، ففر إلى العاصمة طيبة.

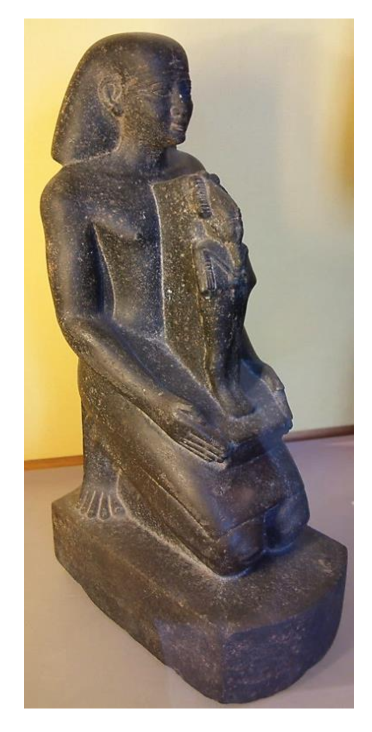
عندما قام المصريون بثورة ضد الأشوريين في الدلتا، قام الملك "أشوربانيبال" الأشوري، بإعدام كل النبلاء، فيما عدا "نخاو". فر "طهارقة" إلى نبتة في النوبة. أصبح "أشوربانيبال" الآن، هو حاكم طيبة.


أشور بانيبال في رحلة صيد

"تانوت أماني" (661-656 ق م)، ابن عم "طهارقة"، دخل مصر من الجنوب، لكي يحارب "أشوربانيبال"، ووصل حتى منف في الدلتا. لكنه بعد الهزيمة، تقهقر إلى "كوش". تركت طيبة بعد نهب كنوزها. الآن، الأشوريون يسيطرون على مصر بالكامل.


نخاو الأول

قام "أشوربانيبال" بتنصيب "نخاو الأول" (665-664ق م)، ملكا مواليا له على مصر. هذه هي أول الأسرة 26.


بسماتيك الأول

خلفه ابنه "بسماتيك الأول" (664-610ق م). تميزت فترت حكمه باستقرار نسبي. أرسل ابنته "نيتوكريس" إلى طيبة، لكي تكون رئيسة كاهنات آمون. دعم جيشة بقوات إضافية من حوض البحر المتوسط، معظمهم من بلاد الإغريق.

أصبحت مدينة "ناوكراتيس"، على الضفة الغربية لفرع رشيد من النيل، أول مدينة إغريقية في مصر، قبل مدينة الاسكندرية. بها معابد لآلهة إغريقية.



ناوكراتيس على فرع رشيد من النيل

في السنة الثانية عشر من حكم "بسماتيك الأول"، قام بطرد الأشوريين من مصر. كانت في هذه الفترة، روح القومية المصرية قوية، تدعوا لإعادة أمجاد مصر الغابرة.

"نخاو الثاني" (610-595 ق م)، ابن "باسماتيك الأول"، أخذ يتطلع إلى خارج مصر. قام بالاستيلاء على فلسطين. بنى أسطولا بحريا مصريا قويا، دعمه بجنود إغريقيين.


نخاو الثاني

قام أيضا بفحت قناة من النيل إلى البحر الأحمر، لكي يوصل البحر الأبيض بالبحر الأحمر، مثل فكرة قناة السويس.

"بسماتيك الثاني" (595-589 ق م)، ابن "نخاو الثاني"، أرسل حملة إلى بلاد النوبة، وصلت حتى الشلال الثالث. أرسل أيضا جنودا إلى فلسطين.

لكي يساعد ثورة "صدقيا" ضد "نبوخذ نصر الثاني" الملك البابلي. وهي فترة صعبة، كان يمر بها اليهود. في عام 587 ق م، تم تدمير القدس بالكامل.



نبوخذ نصر الثاني سابي اليهود

أثناء السبي البابلي لليهود(587-539 ق م)، تم نقل ثلثهم إلى بابل، وثلث نقل إلى جزيرة فيلة بمصر، وترك الثلث الباقي. يقول اليهود، إن هذه هي إرادة "يهوا"، لكي ينشر قوانينه ويحفظ دينه بين الشعوب.

من بين دول العالم القديم، ربما تكون مصر ، هي أهم الدول التي ساهمت في الحفاظ على الديانة اليهودية حتى الآن. معظم يهود أوروبا وأمريكا اليوم، يرجع أصولهم إلى اليهود الذين هاجروا إلى مصر وقت السبي البابلي.

"إبريس"، أو "واح – إب – رع" (589-570 ق م)، ابن "بسماتيك الثاني". قام بحرب السوريين. ثم حاول مساعدة الليبيين ضد غزاة إغريق، لكنه فشل في صدهم.

ثم اشتعلت في مصر حرب أهلية. قام خلالها القائد المصري "أماسيس"، أو "أحمس الثاني"، بهزيمة الملك "إبريس" واستولى على عرشه.

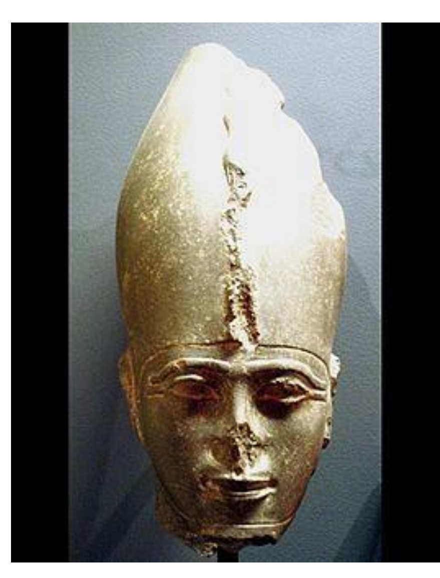

أماسيس الثاني أو أحمس الثاني

"أماسيس الثاني" (570-526 ق م)، أو "أحمس الثاني"، الذي يبدو أنه كان مواليا للإغريق، قام بمسالمة الأجانب. ساعد في إعادة بناء معبد "أبوللو" في مدينة دلفي باليونان، الذي كان قد احترق بعد 22 عاما من بداية حكمه.

أثناء حكم "أماسيس الثاني"، أصبحت "ناكراتيس" مدينة عظيمة. حفريات "بتري" عام 1884م، بالإضافة إلى تاريخ "هيرودوت"، بينت أن المدينة كان بها تماثيل آلهة ومعابد إغريقية.

"ناكراتيس"، مكان ممتاز للتجارة. لا تبعد كثيرا عن العاصمة أو البحر المتوسط. يمكن الوصول للمدينة أيام الفيضان في قوارب مفلطحة القاع. بها مدخل واحد وحائط ضخم لزوم الأمن والدفاع عن المدينة. بها صوامع لتخزين الغلال في حالة الحصار الطويل.

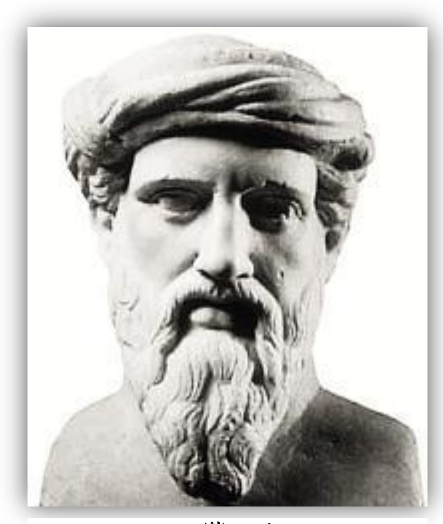
في ذلك الوقت، دُمرت بابل. ولم يبق سوى الفرس، الذين أصبحوا يشكلون الآن خطرا داهما على مصر.


بسماتيك الثالث

"بسماتيك الثالث" (526-525 ق م)، خليفة "أماسيس الثاني"، ورث المشكلة الفارسية. هُزم أمام الفرس في "الفرما"، وتعني بالقبطية "بيت آمون"، وتقع في منطقة بورسعيد حاليا.

عندما هرب "بسماتيك الثالث" إلى منف، قبض عليه. ربما يكون أول فرعون يقع في أيدي الغزاة الأجانب. أخذ إلى "سوسا"، عاصمة الفرس.

"قمبيز الثاني" (525-522ق م)، الأسرة 27، قام باحتلال مصر. "هيرودوت"، المؤرخ الإغريقي، لديه ثلاث روايات للغزو. لم يذكر شيئا عن أبي الهول، الذي كان يُغمر بالرمال معظم الوقت.


قمبيز الثاني

كتب هيرودوت عن أهرامات الجيزة، إنها كانت مغطاة بطبقة ملساء، عليها كتابة ورسوم، تصور الخبز والبصل والجعة. يبدو أنه قد زار مصر بالفعل. لكنه للأسف، كان يكتب فقط عما قيل له وسمع عنه، لا ما عاينه وشاهده بعينيه. تبين أن بعضها، غير حقيقي ومجرد كلام فارغ.

يقول "هيرودوت"، عن غزو الفرس، إن "قمبيز الثاني"، طلب ابنة "أماسيس الثاني". لكن أماسيس أرسل فتاة أخرى، محاولا خداعه وانقاذ ابنته. غضب "قمبيز الثاني" وقرر غزو مصر.

في رواية ثانية، الفتاة الجميلة، قد أرسلت بالفعل، ولكن إلى والد "قمبيز الثاني"، "سايروس". كان "قمبيز" في سن العاشرة في ذلك الوقت. عندما رأى والده، يهمل والدته ويتفرغ لحب الغادة المصرية الجميلة، أقسم أنه، عندما يكبر، سوف يغزو مصر ويجعل عاليها سافلها.

الرواية الثالثة تقول، إن أحد الجنود المرتزقة اليونانيين، خان الجيش المصري، وهرب إلى "قمبيز الثاني"، عارضا خدماته، شارحا له كيف يغزو مصر، مبينا له نقط الضعف في دفاعها.

كان البدو، يعدون قوافل الجمال المحملة بقرب المياه في الطريق، لسقاية جيش الفرس أثناء مروره بالصحراء السورية.

بعد معركة الفرما التي انتصر فيها الفرس على المصريين، طلب "قمبيز" الامتثال لشروطه، لكن المصريين في منف، قاموا بتمزيق الرسول وتحطيم مركبه.

قام "قمبيز" بغزو منف وتسويتها بالأرض انتقاما. يخبرنا "هيرودوت" أيضا، أنه بعد المعركة مع الفرس، كانوا يفرقون بين جماجم القتلي المصريين وبين الفرس، بأن جماجم المصريين القتلى، كانت أكثر كثافة، بسبب تعرض المصريين للشمس الحارقة.

إمعانا في إذلال المصريين، أمر "قمبيز" بأن يسير ابن "بسماتيك الثالث" مع بقية الأسرى في العرض المذل، الذي يسبق إعدامهم. كل منهم يضع لجاما في فمه مثل الحيوانات.

لم يبك "بسماتيت الثالث" عندما رأى ابنه كذلك، لكنه بكي حزنا على صديق له، رأه يتسول ويستجدي الناس الطعام في الأسواق. عندما سأله عن سبب عدم بكائه على ابنه، قال بأن حزنه على ولده، فاق الأحزان التي تُزرف لها الدموع. قيل أن "قمبيز" تأثر بقول "بسماتيك" ودعاه إلى قصره. حاول "بسماتيك" المقاومة مرة ثانية، لكنها انتهت بقتله هذه المرة.

يستمر "هيرودوت" في حكاياته عن الفرس. يقول بأن "قمبيز" أرسل هدية إلى ملك إثيوبيا، يبدو أنها كانت مجرد جر شكل. لم تعجب الملك الإثيوبي، ورفضها على أنها ليست هدية محترمة تليق بالملوك. فيغضب "قمبيز"، ويقوم بغزو إثيوبيا. لكنه يهزم ويخسر عشر جيشه، ويقوم الإثيوبيون بأكل جثثهم.

عاد "قمبيز" إلى منف، وضع همه في قتل عجل أبيس، العجل المقدس عند المصريين. ظنا منه أن المصريين كانوا يحتفلون بخيبته القوية وهزيمة جيشه الكبيرة في إثيوبيا.

أرسل قمبيز جيشا قوامه 50 ألف رجل، إلى واحة آمون. لكي يشعلوا النار في هيكل جوبيتر. أما هو، فأخذ طريقه إلى مدينة نبتة ومعه باقى الجيش.

وصل جنوده إلى واحة آمون، لكن لا أحد يعلم ماذا جرى لهم بعد ذلك. يقول أهل سيوة أن هؤلاء الجنود، قد هبت عليهم ريح صرصر عاتية، غمرتهم بجبال من الرمال، وأخفتهم جميعا. هكذا هلك جنود قمبيز، ودفنوا جميعا أحياء.


داريوس الأول

جاء بعد "قمبيز الثاني"، "داريوس الأول" (521-486ق م)، الذي قام بالاهتمام بمصر، وبنى بها المعابد.


زركسيز

خلفه "زركسيز" (خشايارشه)، الذي ورث 20 سنة من المشاكل. أخمد ثورة المصريين، لكنه لم يستطع القضاء على التمرد. في عام 465 ق م، قام المصريون بالثورة مرة ثانية، بسبب قسوة ابن "زركسيز".

بعد اغتيال "زركسيز" بسبب حروبه مع اليونان، على يد رئيس حرسه، أعقبه عدة ملوك، لكن النفوذ الفارسي في مصر كان يتقوض ويحتضر.

"أردشير الأول" (465-424ق م)، كانت مدة حكمه طويلة، لكنها لم تكن تخلو من القلاقل.



أردشير الأول يتسلم خاتم القوة من إله الزرادشتيين

"إيناروس" بن "بسماتيك الثالث"، من "هيليوبوليس، قاد ثورة عارمة ضد الفرس. لكنه هزم وأعدم عام 454ق م.

"داريوس الثاني" (423-405ق م)، كان عهده يتسم بعدم رضاء المصريين وغضبهم.



داريوس الثاني

"أردشير الثاني" (405-359 ق م)، كان آخر الحكام الفرس الذين حكموا مصر. أخيرا، أصبح المصريون أحرارا وتخلصوا من نير الاحتلال الفارسي.



أردشير الثاني بين الإله مزرا والإله أحورا مازدا

الأسرة الثامنة والعشرون، بها ملك واحد غير مهم. هو "أميرتايوس" (404-399 ق م)، كان أمير "سايس"، صا الحجر بالغربية، وهي غير صان الحجر بمحافظة الشرقية، ثم نصب نفسه ملكا، لكن نعرف عنه القليل.

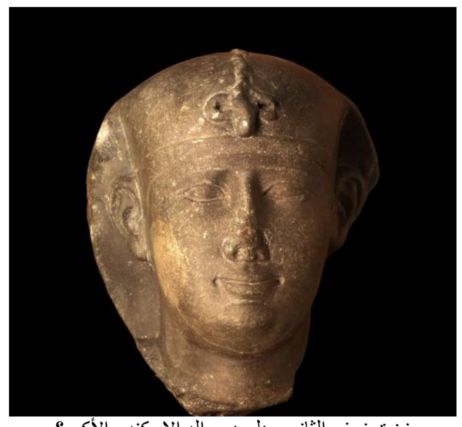
الأسرة التاسعة والعشرون (399-380ق م)، نقلت عاصمة ملكها من "سايس" إلى "منديس"، وهي مدينة في الدلتا أيضا. "نفريتس الأول" (399-393ق م)، حكم 6 سنوات. "أكوريس" (393-380ق م)، هو ثاني وآخر ملوك هذه الأسرة.


تمثال غير كامل لنخت نبيف الأول بمتحف اللوفر

الأسرة الثلاثون (380-343ق م)، هي آخر أسرة حكامها مصريون. "نخت نبيف الأول" (380-362ق م)، قام بانقلاب على ابن "أكوريس" وأعلن نفسه ملكا على البلاد.

أثناء موسم فيضان نهر النيل، تحالفت القوتان الفارسية واليونانية، وقامتا بغزو مصر. لكن، نجح "نخت نبيف الأول" في صدهما معا. قام "نخت نبيف الأول" ببناء عدة معابد. منها معبد صغير على جزيرة فيلة.

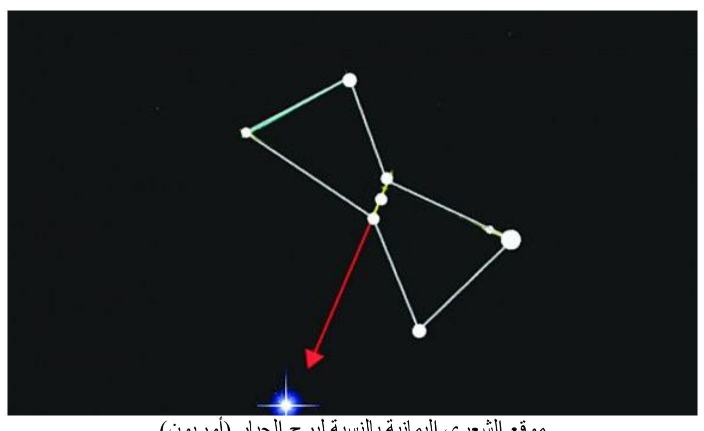
"تاكوس" (362-360 ق م)، ابن "نخت نبيف الأول"، بينما كان خارج البلاد، استولى ابنه على الحكم ونصب الحفيد ملكا على مصر.


نخت نبيف الثاني، هل هو والد الإسكندر الأكبر؟

"نخت نبيف الثاني" (360-342 ق م)، الحفيد. بالإضافة إلى جيش قوامه 60 ألف جندي مصري، قام بتعيين 20 ألف جندي من المرتزقة الإغريق ومثلهم من الليبيين، لمحاربة الفرس في "الفرما"، منطقة بورسعيد حاليا. جنود الفرس كانت ثلاث أو أربع أضعاف الجيش المصري. لكنه فشل في صد العدو عن أرض مصر عام 342 ق م.

دخل "أردشير" منف، بينما فر "نخت نبيف الثاني" إلى الصعيد ثم بلاد النوبة. كان يحتفظ بقوة صغيرة. حاول جاهدا بمساعدة "شاباباش" هناك استرجاع عرشة، لكن دون فائدة.

قام "نخت نبيف الثاني" ببناء ضريح لنجم "الشعرى اليمانية" الذي يمثل الإلهة "إيزيس". نجم الشعرى اليمانية، يشرق قبل شروق الشمس مباشرة في شهر يوليو، إيذانا ببدء فيضان نهر النيل.


موقع الشعرى اليمانية بالنسبة لبرج الجبار (أوريون)

التقويم المصري، هو أصل التقويم الفلكي الجريجوري، الذي نستخدمه ويستخدمه العالم كله اليوم.

كان المصريون يقسمون السنة إلى ثلاثة فصول. كل فصل 4 شهور. وكل شهر 3 أسابع، كل أسبوع منها 10 أيام. هذا يعني أن السنة 360 يوما. ولكي تتفق مع السنة الشمسية، أضافوا لها 5 أيام (الأيام النسي). مخصصة لأعياد ميلاد الآلهة.

تقول أساطير العصور الوسطى (رومانسيات الإسكندر)، أن "نخت نبيف الثاني"، وصل بطريقة ما إلى البلاط المقدوني شمال اليونان. تظاهر بأنه ساحر مصري، وقام بمعاشرة "أوليمبيا" زوجة الملك فيليب الثاني، أبو الاسكندر الأكبر.

هذا يعني أن الاسكندر الأكبر مصري. ربما تكون هذه الحكاية مفبركة، لكي يقبل المصريون حكم الاسكندر، ولا يقوموا بالثورة عليه. لكن القصة تصلح للأفلام السينمائية.

الأسرة الواحد والثلاثون (343-332ق م)، هي فترة الاحتلال الفارسي الثانية. "أردشير الثالث" (343-338ق م)، هو الحاكم الآن، جاء لينتقم. هدم المعابد وقتل عجل أبيس المقدس، ونهب ثروات البلاد.



أردشير الثالث

أقام عهد الرعب، وفرض الضرائب الباهظة على المصريين. أراد أن يقلم أظافر مصر، ويضعفها ويجعلها غير قادرة على المقاومة والثورة مرة ثانية على الفرس.

لمدة 10 سنوات، قام باضطهاد الديانة المصرية واحتقارها. أتلف الكتب المقدسة. وقتل الأمراء المصريين الذين لهم الحق في الحكم.

"داريوس الثالث" (336-332ق م)، هو آخر ملوك الأسرة الواحد والثلاثين. موت "نخت نبيف الثاني"، يمثل في الواقع، نهاية حضارة لم يشهد العالم لها مثيلا. الفرعون والجيش والدين، كانت ثلاث قوى متوازنة. حافظت على مصر آلاف السنين.



داريوس الثالث

بعد فترات الارتباك والضياع، يلجأ المصريون عادة للفرعون، لإعادة التوازن والاستقرار. ربما يفسر لنا هذا، سبب التفاف المصريين في الماضي حول عبد الناصر وسعد زغلول.

الفراعنة هم الذين يشكلون تاريخ مصر. يمكن تتبع آثارهم عن طريق كتب الموتى التي تركوها في مقابرهم. بعد الدولة الوسطى الأولى، نهبت محتويات الأهرامات، وتركت مفتوحة لكي يراها الجميع.

الكتابات الهيروغليفية المقدسة على التوابيت، هي تعاليم تخص البعث والحياة الأخرى. في الدولة الوسطى، عندما كانت الكتابة على التوابيت لا تكفي، كتبوا ما ينقصهم على أوراق البردي، ووضعوها داخل التابوت. هذا هو كتابهم المقدس، والذي نسميه كتاب الموتى. نجده فقط في الأهرامات وداخل التوابيت.

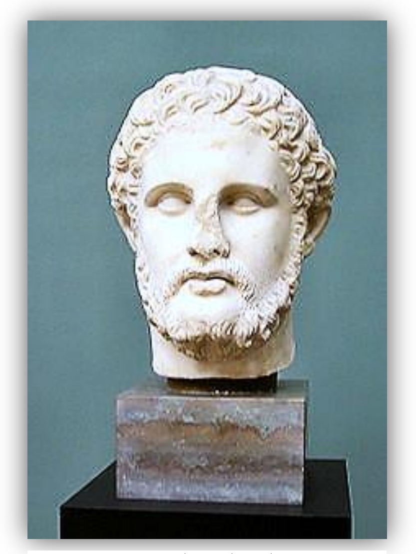
الفن المصري القديم، والآلهة المصرية القديمة، ظلت هي نفسها تعبد آلاف السنين. الكهنة، يمثلون أكبر نظام بيروقراطي عرفه العالم.

عندما حكم البطالمة مصر، أداروها بطريقة مختلفة. مشروع تجاري مربح. استخدموا علوم الإغريق وفلسفتهم في حكم البلاد. سوف نرى ذلك عندما نناقش فترة البطالمة في الأبواب القادمة. ما قدمته مصر خلال هذه الفترة الذهبية، للإنسانية والعالم من

حضارة، ليس له مثيل. حضارة لا تقل في العظمة والرقي، عن الحضارة المصرية القديمة.

14

البطالمة الأوائل–عصر النهضة


فيليب الثاني المقدوني

انحلال وسقوط اليونان، وفقدها لاستقلالها، تم على يدي "فيليب الثاني" المقدوني، بانتصاره في موقعة "خيرونيا"، عام 338 ق م. بعد هذا النصر المبين بعامين، تم اغتيال "فيليب الثاني". خلفه ابنه "الاسكندر الثالث". وأصبح قائدا عاما للجيش المقدوني.


الاسكندر الأكبر

هذا "الاسكندر"، قام بغزو معظم بلدان العالم المعروفة في ذلك الوقت، خلال 12 عاما فقط. من سنة 334 ق م، إلى وقت وفاته سنة 323 ق م، عن عمر لا يزيد عن 33 سنة.

كان محبوبا من جنوده، مستعدون للذهاب معه إلى الجحيم. الاسكندر، الذي كان يبلغ من العمر 20 عاما، في ذلك الوقت، واصل حروب والده ضد الفرس. هزم "داريوس الثالث" في "أسوس" ببلاد فارس عام 333 ق م.

بعد هزيمة الفرس، دخل الاسكندر مصر محررا لا غازيا، لكي يخلصها من نير الفرس. لذلك، لم يلق مقاومة من المصريين. الاسكندر الذي كان معجبا بالحضارة المصرية، ككل الإغريق في ذلك الوقت، جاء لهدف يختلف عن أهداف كل الغزاة السابقين.

جاء الاسكندر لمصر، لكي يصبح فرعونا. جاء ليصبح ابن الاله. لذلك، أخذ على عاتقه الرحلة الخطرة إلى واحة سيوة، لكي يستشير عراف معبد أمون هناك.

ما يقوله عراف المعبد في الزمن الغابر، يؤخذ بكل جدية. الاسكندر يريد أن يسمع من العراف موافقة الآلهة على تتويجه ملكا. كاهن المعبد، كان معروفا بقدرته على التنبؤ وكشف المجهول.

سأل الاسكندر، عمن يكون والده؟ جاء الجواب من العراف: "رع". أي أن الاسكندر، هو ابن إله الشمس رع، أبوللو عند الإغريق.

أثناء قدوم الاسكندر إلى المعبد في واحة سيوة، حدثت معجزة. ضل طريقه، هو ومن معه، في الصحراء. كانوا سيلقون المصير الذي لقيه جنود قمبيز الثاني من قبل. بينما كان الاسكندر وجنوده على وشك الموت عطشا، إذا بسرب من الغربان، يقودهم إلى الواحة.

بعد رجوعه من الواحة، تُوّج الاسكندر ملكا في مدينة منف. ثم قام ببناء معبد بالأقصر. بعد ذلك، أمر مهندسه "دينوكراتيس"، بتخطيط ميناء على البحر المتوسط، مدينة الاسكندرية.

روعي في تخطيطها، الاستفادة من الرياح الشمالية الغربية التي تهب على مصر، والتي نسميها الرياح البحرية (الجهة البحرية والهوا البحري).

عندما ترك الاسكندر مصر، حمل لقب "الأكبر". قام بالمزيد من الفتوحات. خطوط النقل والامداد لجيش الاسكندر كانت مذهلة. حاجة الجيش، الذي قيامه 50 ألفا، للطعام والماء، كانت هي التي تحدد خط سيره.

ذهب من مدينة بابل القديمة، إلى مدينة سوس في بلاد فارس، إلى مشارف الهند، ولم يهزم أبدا. إلى أن رفض رجاله الذهاب إلى الهند، لتشوقهم للعودة. كان يرسل عينات من النباتات والحشرات والحيوانات التي كان يمر بها في طريقه، إلى أستاذه أرسطو لدراستها.

موت الاسكندر عام 323 ق م، في قمة مجده وشبابه، عن عمر 33 سنة، تبعته فوضى عارمة. توفى في بابل بالعراق، في طريق عودته من الهند. لم يترك وريثا أو وصية تنتقل بها السلطة.

"أوليمبيا"، أم الاسكندر، قامت من قبل، بقتل حفيد زوجها فيليب الثالث (323-317 ق م)، حتى يؤول الحكم لحفيدها هي، الذي هو من صلبها، الاسكندر الرابع (317-305 ق م).

عندما تم اغتيال روكسانا زوجة الاسكندر الفارسية والاسكندر الرابع ابنها، لم يعد للاسكندر الأكبر وريثا للحكم. يعتقد أن روكسانا قد أمرت بقتل زوجة الاسكندر الثانية، بارسينة، وزوجته الثالثة باريساتيس.

الامبراطورية التي تركها، كانت ضخمة مترامية الأطراف، غير متجانسة. تتكون من شعوب وقبائل من كل صنف ولون. فإلى من يؤول الملك اليوم؟ كان يتساءل وهو على فراش الموت، وكان يجيب نفسه: "إلى الأصلح والأقوى".

لذلك، حدث ما ليس منه بد، ووقع ما هو متوقع. تقاتل القواد، وقامت بينهم حروب طاحنة، استمرت على فترات متقطعة، من 323 إلى 275 ق م. عرفت بحروب ملوك طوائف الاسكندر. أسفرت عن تقسيم امبراطوريته الوليدة إلى ثلاثة أجزاء رئيسية أو أربعة.

منطقة مقدونيا واليونان، حكمت بالأسرة الأنتيغونية.

منطقة غرب آسيا، جزء من تركيا، العراق، إيران، وأجزاء من وسط آسيا، حكمت بالأسرة السلوقية.

مصر، حكمت بأسرة البطالمة، وكانت من نصيب بطليموس.

جسم الاسكندر، حفظ بالتوابل لمدة سنة في بابل. وقت ما كان نعشه يصنع من الذهب. أثناء عودة الجيش إلى مقدونيا (شمال اليونان)، كان يتقدم الموكب ثيران تجر التابوت، معلق في أعناقها أجراسا مصنوعة من الذهب.

الجثمان كان محفوظا في عسل النحل الأبيض. لكن جنود بطليموس، قامت بخطف الجثمان في سوريا، وأتت به إلى مصر. ظل في منف بينما كان يُعّد له قبر مناسب.

بعد عدة سنوات، دفن الاسكندر في مدينته، الاسكندرية. واستمر البحث عن قبره إلى الآن. يقال إنه طلب الدفن في واحة سيوة، حيث أخبره العراف هناك أنه ابن إله الشمس.

تأثير الاسكندر على مستقبل العالم والحضارة، قوي وعميق. انتصارات الاسكندر، أنهت العصر "الهيليني"، وبدأت عصر جديد، يسمى العصر "الهيلينستي". بزيادة (سين وتاء).

هذا العصر، استمر ثلاثة قرون، بدءا من عام 330 ق م، حتى قيام الامبراطورية الرومانية بقيادة "أوغسطس" عام 30 ق م.

الاسكندر، أنهى عصرا قديما، وبدأ عصرا جديدا. كوّن امبراطورية عالمية من دول متعددة الأجناس والألوان واللغات والأديان. وحدها تحت اللواء المقدوني. لكن اللغة السائدة كانت الإغريقية، وهي لغة الثقافة والحضارة في ذلك الوقت.

حمل بذور الحضارة الإغريقية، إلى قلب آسيا ومشارف الهند. لم يكن يحلم الاسكندر بامبراطورية كبيرة فقط، لكنه كان يبغى شيئا أعمق وأجل من ذلك. كان يهدف إلى المساواة ووحدة عالمية بين الشعوب. هذا غير مستغرب، إذا علمنا أنه كان تلميذا لأرسطو.

كان الأول في التاريخ، قبل الرواقية والمسيحية بزمان، الذي فكر في الحب والإيخاء بين بني البشر. لهذا السبب وحده، يستحق بجدارة اللقب الخالد "الأكبر"، ويصبح اسمه "الاسكندر الأكبر".

هو نفسه، لم يكن يونانيا خالصا. لكن، هيليني بربري (كلمة البرابرة، تطلق على من كانوا يعيشون خارج اليونان). لذلك، كان من السهل عليه، تبني فكرة الإيخاء وتلاحم الأجناس، أكثر من أفلاطون على سبيل المثال.

في عام 327 ق م، قام هو نفسه بالزواج من "روكسانا" الأميرة الفارسية. بعد ذلك بسنتين، في مدينة سوس أو شوش الفارسية، قام بتزويج 80 من قواده من نساء آسياويات، وتحمل هو نفقات العرس والمهور.

تزوج زوجة ثانية، "بارسينة"، الابنة الكبرى ل"داريوس الثالث"، آخر ملوك الفرس. ربما تزوج ثالثة، "باريساتيس"، ابنة "أردشير الثالث". بعد موت الاسكندر مباشرة، قامت روكسانا بقتل ضرتيها، بارسينة وباريساتيس. (آدي النسوان والا بلاش)

لم يكن هناك إغريق كفاية لأغرقة مصر وغرب آسيا. الإغريق (اليونانيون)، الذين نزحوا أو هاجروا إلي مصر أو إلى غرب آسيا، كانوا يمثلون نقطة في بحر، بالنسبة لعدد السكان الأصليين.

تأثير الاختلاط والزوجات والأمهات المصريات والآسيوات، على العادات والعقيدة والسلوك، بالغ الأثر. لذلك، يمكننا القول بأن امبراطورية الاسكندر، قد ساهمت بقدر كبير في مزج حضارة الشرق (مصر وآسيا)، بحضارة الغرب (الحضارة الهيلينية)، وتأثر كلا منهما بالآخر.

عندما نتحدث عن الحضارة الهيلينستية، فنعني الحضارة التي قامت في امبراطورية الاسكندر، مترامية الأطراف، والتي استمرت حتى ظهور المسيحية. هذه الحضارة، حلت محلها، الحضارة الرومانية.

سميت فيما بعد، الحضارة البيزنطية. لكنها في الروح، ظلت حضارة هيلينستية. لغتها الرسمية، لغة العلم والأدب والفن، هي اللغة اليونانية. بعكس الامبراطورية الرومانية الغربية، التي كانت لغتها الرسمية، هي اللاتينية.

الحضارة المصرية القديمة، بالرغم من الاحتلال الفارسي البغيض الذي استمر 134 سنة، كانت لا تزال حية جلية مدهشة. كانت من سياسة البطالمة في مصر، هي احترام الثقافة والحضارة والديانة المصرية القديمة. لم يعاملوا المصريين معاملة

الفرس، الذين دمروا كل شئ، وسرقوا ونهبوا كل شئ، ولم يحترموا حضارة أو ديانة المصريين.

بدايت اهتمام الإغريق بمصر، منذ حكم "بسماتيك الأول" (663-525 ق م)، أول ملوك الأسرة 26، الأسرة الصاوية. الجالية الإغريقية، معظمها كان يجند في الجيش المصري، كجنود مرتزقة. يسكنون في بؤر استيطانية بالدلتا.

منذ أيام الملك "أحمس الثاني"، الذي يسميه الإغريق "أماسيس"، كانوا يتمركزون في مدينة "نوكراتيس" على الضفة الغربية من فرع رشيد.

كانت هذه المدينة مزدهرة جدا في ذلك الوقت. كانت في الواقع، مدينة إغريقية، بمعابدها وتماثيلها الإغريقية. الملك "أماسيس"، كان كريما رحيما عطوفا عليهم. عندما حكم البطالمة، لم يعد الإغريق في مصر، ضيوفا عليها. بل أصبحوا متساويين بالمصريين.

بطليموس الأول ابن لاجوس، لقبه سوتر (المنقذ)، حكم واليا على مصر (323-305 ق م)، وكملك (305-282ق م). تزوج من ابنة الفرعون "نخت نبيف الثاني"، لكي يصبح فرعونا على مصر، مراعيا للتقاليد الفرعونية. كان مديرا عظيما ومثقفا ورجلا له رؤية للمستقبل، يعرف ماذا يريد، وكيف يحقق هدفه.



بطليموس الأول

كان صديق الطفولة للاسكندر الأكبر. ربما يكون أخوه الغير شقيق أيضا. أمه، "أرسينوي"، كانت محظية ل"فيليب الثاني" المقدوني. تربى مع الاسكندر، وشارك في كل حملاته ومعاركه في آسيا، وكان من كبار قواده وأعز أصدقائه وذراعه اليمنى.

هذا مكنه من كتابة مذكرات بالغة القيمة عن حياة الاسكندر، لكنها فقدت للأسف. فلابد أن يكون قد ناله شيئا من تعليم وثقافة وفلسفة أرسطو، الذي كان متوليا تعليم الاسكندر الأكبر منذ نعومة أظافره. لذلك، لا نجد غرابة في ازدهار مصر في عهده اقتصاديا وحضاريا.

فيضان نهر النيل في عهده، تم تنظيمه. تحسنت طرق الري. المحاصيل تم حصرها وتخزينها في صوامع بنيت خصيصا لذلك. أنواع جديدة من المحاصيل والحيوانات تم تربيتها والعناية بها.

حرف وصناعات جديدة تم تشجيعها. العملة والتجارة ونظام الإقراض، تم تنظيمه. توسع في التجارة الخارجية. أصبحت مصر مصدرة للمحاصيل، مثل الحنطة والتيل والبردي والزجاج والألباستر.

استخدم الجمل في نقل المحاصيل لأول مرة. استخدم أيضا نظام البريد، نقلا عن الفرس. كانت الجمال خير وسيلة لهذا الغرض، لقدرتها على حمل الأثقال ونقلها بسرعة نسبية.

وسع بطليموس الأول دائرة نفوذه باحتلال فلسطين وسوريا عام 320 ق م. قام بضم جنوب ساحل الأناضول وجزيرة "كوس" اليونانية، موطن الطبيب أبوقراط.

زوجته الحبيبة بيرينيس، أنجبت له بطليموس الثاني، فيلادلفوس، أي المحب لأخيه. قام بخلافته عام 285 قم، وحكم حتى عام 247 ق م.

سار على نهج والده، وأكمل مشروعاته، بهمة ونشاط. إلى الدرجة التي يصعب معها فصل أعمال الأب عن أعمال الابن. اهتم باكتشاف الصعيد، وأقام علاقات تجارية بإثيوبيا والدول المطلة على البحر الأحمر والجزيرة العربية والهند.


بطليموس الثاني

قام باستصلاح الأراضي، وتجفيف قطعة من بحيرة قارون، لزيادة إنتاج القمح. أكمل تطوير المكتبة، تزوج وفقا للتقاليد المصرية القديمة.

بطليموس الثالث، الحسن، (246-222 ق م)، هو ابن بطليموس الثاني. بلغت مصر في عهده، أوجها الحضاري.



بطليموس الثالث

بدأ بناء معبد حورس بمدينة ادفو. أحسن ما حُفظ من المعابد المصرية القديمة.



معبد حورس بمدينة ادفو أحسن ما حفظ من المعابد

كُتب على جدرانه، أقدم عمل درامي في العالم. الصراع بين حورس وست. 80 سنة، وفقا للأسطورة المصرية القديمة، هي عمر الصراع بين إله الخير حورس، وإله الشر ست. إلى أن ينتصر حورس في النهاية، ويؤول إليه حكم مصر. أليس الصراع على الحكم مستمرا حتى اليوم؟



حورس يطعن ست المتمثل في هيئة فرس النهر

كل عام، يحرص الفرعون على أن تعرض المسرحية على مسرح المعبد، حتى يؤكد نصر قوى الخير على قوى الشر. على جدار المعبد أيضا، رسم يبين مد خيط البناء، للاحتفال بوضع أساس بناء المعبد.

مرسوم كانوبي الصادر عام 237 ق م، يبين لنا أنه في حالة عدم وفاء النهر، يقوم بطليموس بالتدخل للسيطرة على الأسعار. "بيرينيس" ابنته، عندما ماتت صغيرة، كرمها الكهنة ولقبوها بسيدة العزارى.



الإله سيرابيس

قام ببناء السيرابيوم في الاسكندرية، تكريما للإله سيرابيس، إله التناسل.

بالمعبد، مدفأتان لهما مدخنتان تمران خلال الحوائط بمواسير، لتوزيع الهواء الحار على الغرف. تدفئة مركزية. ربما تكون هذه هي بداية مكتبة الاسكندرية، حيث تعمل التدفئة المركزية على حماية الكتب من رطوبة الجو.

سيطر بطليموس الثالث على سوريا وآسيا الصغرى وبعض المناطق المحيطة، سنة 246 ق م. شمل نفوذه، بلاد ما بين النهرين وبابل وطرابلس ودمشق وجزيرة قبرص.

نتج عن هذه الفتوحات الكثيرة، مجد عسكري ومنفعة مادية كبيرة. أعاد لمصر، تماثيل من الذهب الخالص للآلهة المصرية. كان قد نهبها قمبيز الثاني أثناء غزوه لمصر من قبل. أحبه المصريون حبا جما وأطلقوا عليه لقب "الحسن".

تقول الأسطورة، أن الملكة المصرية بيرينيس، في القرن الثالث قبل الميلاد، حزنت حزنا شديدا لذهاب زوجها الملك بطليموس الثالث للحرب.

لخوفها على حياة زوجها، نذرت للآلهة ضفائر شعرها الجميل، إن عاد زوجها سالما من حرب الأشوريين، بعد أن ذهب إليهم لكي ينتقم لمقتل أخته على أيديهم.

عاد الملك سالما من الحرب، فقامت بيرينيس وفاء بعهدها، بقص ضفائرها ووضعها في المعبد قربانا للآلهة، التي حمت زوجها أثناء الحرب.

عندما ذهب الملك للمعبد ليرى ضفائر زوجته الوفية، أخبره الكاهن كونون (Conon) أن الضفائر قد اختفت من المعبد، دليل على قبول الآلهة للقربان.

من شدة سرور الآلهة بالضفائر، وضعتها كبرج من أبراج السماء (برج الهلبة)، لكي يشاهدها كل الناس. ثم أشار الكاهن إلى موقع البرج في السماء لكي يرى الملك بنفسه ضفائر زوجته الوفية بيرينيس.


نجوم برج الهلبة (كوما بيرينيس)

تعلم الكثير من المصريين اللغة الإغريقية، وقام الكاهن المصري مانيثون بكتابة تاريخ مصر باللغة الإغريقية، جمعه من سجلات المعابد وأفواه الناس.

لكن للأسف، فقد هذا التاريخ النادر، ولم يتبق منه سوى شذرات تافه. مع ذلك، ظل المصدر الرئيسي لتاريخ مصر، حتى فكت رموز اللغة الهيروغليفية.

في عصر البطالمة، كان المصريون المزارعون أحرارا لا عبيدا. استخدموا الهندسة الإقليدية في أعمال الري وتحديد المساحات والارتفاعات. طبقوا الأسلوب العلمي في الزراعة، حتى أمكنهم زراعة الحقول بثلاثة محاصيل في العام الواحد. أدخلت الحكومة أنواعا جديدة من المحاصيل وغرست كميات كبيرة من الكروم.

تقدمت زراعة الزيتون، ونشطت تجارة زيت الزيتون، وفرضت الحكومة رسوما باهظة على الزيتون المستورد، حتى تحمي الإنتاج المحلي.



مزرعة زيتون

استنبطت فصائل جديدة من القمح، وأدخلت زراعة الثوم، وأصناف جديدة من الكرنب، وأنواع متباينة من الفاكهة. وغرست الورود والأزهار على نطاق واسع، لأنها كانت تستخدم في صناعة الأكاليل التي تلبس في المآدب والحفلات العامة.



أزهار وورود

استوردت الحكومة سلالات جديدة من الحيوانات، منها الأغنام التي تنتج الصوف الجيد، ولتحسين السلالات المحلية. وبدأ الجمل ينتشر ويستخدم في مصر بكثرة. انتشرت أيضا تربية النحل.


انتشرت تربية النحل

سك بطليموس الأول عملة ذهبية وفضية وبرنزية. الأجور كانت تدفع عينا، والمخازن الحكومية كانت تجمع فيها الغلال، وتعمل مثل البنوك. وعرف المصريون الصكوك(الشيكات) للصرف من المخازن أو البنوك.

كانت مصر أكبر منتج للغلال في شرق البحر الأبيض المتوسط. صدرت البردي والكتان الرفيع والزجاج متعدد الألوان من الاسكندرية والألاباستر، وكانت مركزا عالميا للتجارة العابرة.


مصر أكبر منتج للغلال

الاسكندرية قام بتصميمها المهندس دينوكراتيس، وفقا لأحدث القواعد في تخطيط المدن. بين بحيرة مريوط والبحر الأبيض، على شريط رملي.

كان أمامها جزيرة فاروس التي وصلت باليابسة بواسطة جسر. فنشأ عن ذلك، ميناء واسع آمن في الشرق، وآخر في الغرب.


جزيرة فاروس

على بضعة أميال جهة الشرق، تقع قرية أبوقير، التي كانت مكانا للهو، شبيه بمدينة أتلانتك سيتي، أو ملاهي ديزني لاند بالولايات المتحدة.

مدينة الاسكندرية كانت مستطيلة، يشقها من الشرق إلى الغرب شارع فسيح مستقيم يسمى شارع كانوب (اسم نجم، وهو الاسم القديم لأبوقير).

تحف به الأعمدة والبواكي، وتقطعه شوارع أخرى فسيحة. قسمت المدينة إلى خمسة أحياء: ألفا، بيتا، جاما، دلتا، إبسيلون. وهي أوائل الحروف اليونانية.

السكان، كانت غالبيتهم من المصريين وقله من الإغريق واليهود وأجناس أخرى. يتمتعون بكافة حقوق المواطنة. لهم مجلس شورى وجمعية شعبية. سرعان ما أضحت الاسكندرية أعجوبة العالم.

أصبحت عاصمة للبلاد بدلا من منف. كانت ترتفع فوق جزيرة فاروس المنارة الشهيرة. في سيما، كان يرقد جثمان الاسكندر الأكبر. في منطقة راكوتيس، كان معبد السرابيوم الذي بناه بطليموس الثالث. دليلا على أن سيرابيس كان إلها مصريا.

كان هناك أيضا، مبنى معهد الألعاب الرياضية، واستاد رياضي، وحلبة سباق للخيل، ومسرح، والقصر الملكي، وبجواره متحف ومكتبة الاسكندرية الشهيرة.

المتحف، هو من منتجات بطلموس الأول، طوره بطليموس الثاني. كان في الأصل معبدا لربات الفنون والعلوم (Musae). وهن بنات "زيوس"، إلهات العلوم والفنون والموسيقى التسعة. من هنا جاءت كلمة موزه، التي نطلقها على الفتاة الحلوة الجميلة في بلادنا.



ربات الفنون والعلوم التسعة، الموزيات بنات زيوس

في الواقع، هو أشبه بالأكاديمية أو الجامعة في لغتنا الحديثة. كان يقيم في المتحف على نفقة الدولة عدد من العلماء والأدباء، ولا تجبى منهم الضرائب.

كان جزءا من مكتبة الاسكندرية. أصبح امتدادا لمدرسة الليسيوم في أثينا، التي أنشأها أرسطو، وظل يُدرّس بها حتى فراره من أثينا عام 323ق م. هو أول مركز أبحاث عرفه التاريخ.

الفنارة المصرية القديمة، إحدى عجائب الدنيا السبعة، كانت من منجزات بطليموس الثاني. من الأعمال الحضارية النادرة، التي بنيت لغرض غير ديني. ارتفاعها 423 قدم عن سطح الأرض. بنيت على أرض جزيرة فاروس.



فنارة الاسكندرية القديمة من عجائب الدنيا السبع

الفنارة عبارة عن ثلاث طبقات. قاعدة مربعة، تعلوها قاعدة مثمنة، ثم قاعدة مستديرة تعلوها الفنارة. يمكن للمراكب أن تراها من بعد 30 ميل وهي في عرض البحر. نار مشتعلة بصفة دائمة في الجزء العلوي. الضوء ينعكس بمراية ضخمة من البرنز.

في عام 1303م، دمر زلزال شديد هذا العمل الرائع. السلطان قايتباي، استخدم ماتبقى من أحجارها لبناء قلعته، "قلعة قايتباي"، مكانها، في جزيرة فاروس، التي ضمت إلى الاسكندرية وأصبحت جزءا من مينائها.

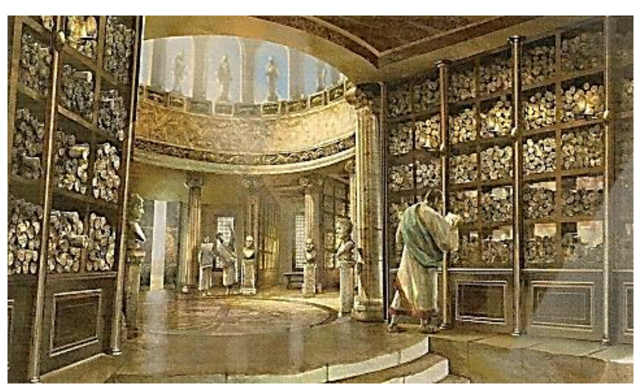


قلعة قايتباي بنيت بأحجار فنارة بطليموس الثاني بعد هدمها

مكتبة الاسكندرية، التي بناها بطليموس الأول، سوتر (المنقذ)، والتي لم يبق منها شيئا الآن، كانت تحتوي على ما يقرب من 700 ألف لفافة بردية (كتاب).

لكي يزيد بطليموس الثالث من حجم هذه المجموعة، أصدر أمرا يقضي بأن كل مسافر ينزل بالاسكندرية، عليه أن يسلم أي كتب توجد في متاعه لضمها إلى المكتبة، على أن يعطى نسخة رسمية بدلا منها.

استعار بطليموس الثالث من أثينا، الأصول الرسمية لمؤلفات أسخيلوس، وسوفوكليس، ويوريبيديس، كي يقوم بنسخها نظير ضمان مالي قدره ما يساوي 90 ألف دراخما. لكنه فضل أن يخسر هذا المبلغ على أن يرد الأصول، وأرسل بدلا منها نسخا فقط.



مكتبة الاسكندرية القديمة أكثر من 700 ألف كتاب

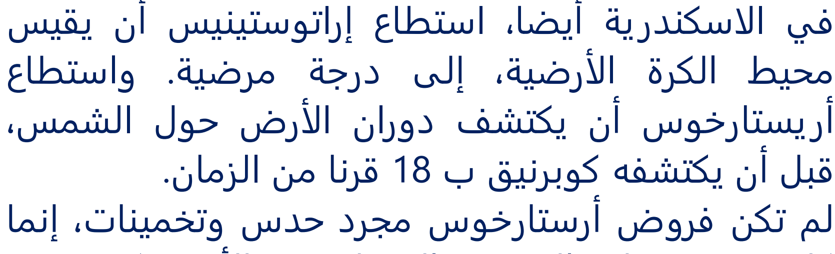
في مكتبة الاسكندرية، وضعت أصول علم التصنيف، ووضعت قواعد نقد النصوص الأدبية، وقوائم للمؤلفات الأدبية والعلمية والفلسفية، وحققت مؤلفات هوميروس، ثم أخرجت في صورة لا تختلف كثيرا عن التي بين أيدينا اليوم.

كما ابتكرت العلامات الصوتية في النطق، وعلامات الاستفهام والتعجب وفواصل الكلام في الكتابة، ولم تهمل الرياضيات والعلوم البحتة.


تمثال أرستارخوس بجامعة أرسطو باليونان

هنا أقيم أول مرصد في العالم لرصد الأجرام السماوية وقياس زوايا رصدها، وعمل الجداول الفلكية. أقامه "أرستيلوس" و"تيموخارس". "أرستارخوس" كتب رسالة عن حجم وبعد كل من الشمس والقمر عن الأرض.


إراتوستينيس



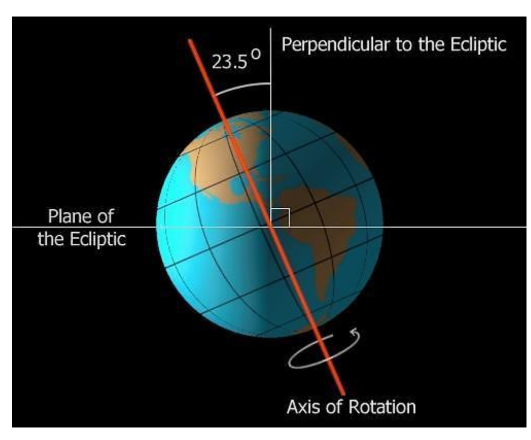
في الاسكندرية أيضا، استطاع إراتوستينيس أن يقيس محيط الكرة الأرضية، إلى درجة مرضية. واستطاع أريستارخوس أن يكتشف دوران الأرض حول الشمس، قبل أن يكتشفه كوبرنيق ب 18 قرنا من الزمان.
لم تكن فروض أرستارخوس مجرد حدس وتخمينات، إنما كانت مبنية على التجربة والمشاهدة. فالأرض كرة، تدور حول نفسها، وتدور حول الشمس.

كان يقول، إن الشمس ضخمة جدا، بالنسبة للأرض. من الصعب أن يأسر الصغير الكبير. إنما العكس هو الصحيح. السماء بها آلاف النجوم. لماذا تدور كلها من أبعاد شاهقة حول الأرض بانتظام.

أليس من الأسلم والأبسط، القول بأن الأرض هي التي تدور حول محورها، بدلا من القول بأن هذا الكون كله هو الذي يدور حول الأرض؟ (منطق بسيط وحاد مثل حد السيف)

عندما تنظر من نافذة القطار، سوف تجد أن الأشجار والطريق والعربات وكل شئ يجري، أليس من الأسلم والأبسط، كما يقول "أريستارخوس"، أن نقول: القطار هو الذي يجري.

قام علماء الاسكندرية أيضا، بقياس درجة ميل المحور الذي تدور حوله الأرض بالنسبة لمسارها البيضاوي حول الشمس، وعرفوا أنه يتحرك مثل المغزل، مثبت من ناحية ويدور من ناحية أخرى، وقاموا بقياس زاوية دوران المحور وزاوية ميله.



المحور الذي تدور حوله الأرض بالنسبة لمسارها حول الشمس

أبولونيوس، عالم رياضيات. قام بدراسة القطوع المخروطية والدائرة، وله نظريات هندسية مشهورة لا تزال تدرس حتى الآن في مدارسنا. منها، المثلث المرسوم في نصف الدائرة، قائم الزاوية، ونظرية الدائرة ذات النقاط التسع.

أرشميدس، قام بدراسة الدائرة والكرة والاسطوانة والشكل الحلزوني والقطع المكافئ والأجسام الطافية. وقام باختراع الطنبور الذي ينقل الماء من أسفل إلى أعلى.

أي نقطة على القطع المكافئ تكون متساوية المسافة عن البؤرة والدليل
الدليل
الوتر البؤري
البؤرة
الرأس
محور التماثل

فيها أيضا، ألف إقليدس عام 300 ق م، كتاب الأصول في علم الهندسة، التي تدرس في مدارسنا اليوم.



إقليدس مؤلف كتاب الأصول في الهندسة

واخترع هيرون الآلة البخارية، واخترع كذلك الآلة الأوتوماتيكية. وألف بطليموس القلوذي فيما بعد، كتاب المجسطي، وهو أهم كتاب في الفلك ظل متداولا في العالم القديم أكثر من ألف عام.



بطليموس القلوذي صاحب كتاب المجسطي

ذاع سيط مدرسة الطب الاسكندري ولاسيما التشريح والجراحة. هنا بين "هيروفيلوس"، أن المخ، وليس القلب، هو مركز العقل والتفكير والعواطف.

لكننا لازلنا نحب بالقلب ونفهم بالقلب ونحفظ عن ظهر قلب، ويغني لنا فريد الأطرش ويقول: "يا قلبي يا مجروح". كان الأجدى به، لكي يكون منطقيا، أن يقول: "يا مخي يا مجروح". لأن المخ، وليس القلب، هو مركز العواطف.



لازلنا نحب ونفهم بالقلب، لا بالمخ

في الاسكندرية، أمر بطليموس الثاني، بترجمة التوراة إلى اللغة الإغريقية، بمساعدة 70 حاخام. لكي ينتفع بها اليهود المشتتون، وهي الترجمة المعروفة بالسبعينية. وفيها، جاء فيلون بمذهبه عن اللوغوس الإلهي(القانون الكلي للكون).

ترجمة التوراة من العبرية إلى اليونانية، الترجمة السبعينية

هنا في الاسكندرية أيضا، ولكن في وقت لاحق، قامت هيباتيا (355-415م)، العالمة والفيلسوفة المصرية، بشرح وتدريس الفلسفة والرياضيات والفلك. وقامت أيضا بعمل رسم للأجرام السماوية، واختراع جهاز لقياس كثافة ولزوجة السوائل (الهيروميتر)، واخترعت الاسطرلاب المسطح الذي يستخدم في رصد النجوم والكواكب والشمس والأبراج الفلكية.



هيباتيا الفيلسوفة المصرية

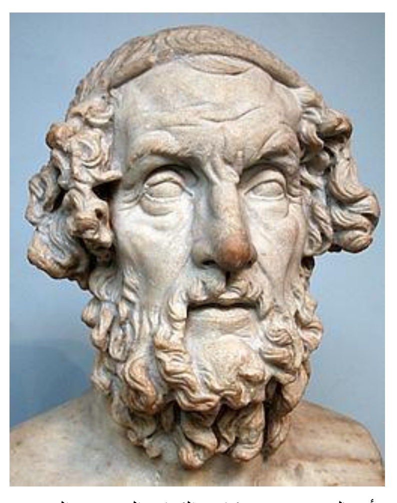
أهم أعمال هيباتيا كانت في علم الجبر. كتبت 13 بحثا تشرح فيها كتاب ديوفانتوس الاسكندري الذي يعتبر أبو علم الجبر، والذي توصل إلى حل معادلات الدرجة الثانية، والذي عاش في القرن الثالث الميلادي . كانت لهيباتيا حلول مبتكرة ومسائل من تأليفها.



ديوفانتوس أبو علم الجبر

بالرغم من الاحتلال الروماني، كان المصريون في القرن الأول الميلادي، يتمتعون بدرجة لا بأس بها من الرخاء. ولا يتبين من الحفريات التي وجدتها جامعة ميشيجان في قرية كرانس (كوم أوشيم) بالفيوم، أي تدهور ملموس في مستوى العمارة أو في رونق الحياة الاجتماعية قبل أواخر القرن الثاني. فدب النشاط بصورة واضحة في المجالس البلدية، بعواصم الأقاليم، وظل لواء الثقافة الهيلينستية مرفوعا.

أظهرت الاكتشافات في البهنسا (محافظة المنيا)، التي لم تكن مدينة إغريقية، بل مجرد عاصمة لأحد الأقاليم المصرية، أنه كان في متناول قرائها عدد ضخم من المؤلفات المتنوعة في الأدب اليوناني الكلاسيكي بصورة تبعث على الدهشة.


أعمال هوميروس كانت الكتاب المدرسي المقرر

كانت أشعار هوميروس، وهي الكتاب المدرسي الرئيس في التعليم المدرسي، في كل مكان. ولا ينبغي أن ندهش لوجود قصائد هيسيود (Hesiodus)، وأغاني سافو وروايات ماناندر وقصائد كاليماخوس. وأجزاء من قصائد الشعراء الغنائيين، وروايات الكتاب المسرحيين الأوائل، كأناشيد الشكر وغيرها من المنظومات لبندار والشعراء المعاصرين. وروايات أسخيلوس وعددها لا يقل عن 40 رواية، وروايات أخرى لسوفوكليس ويوريبيديس وأرسطوفان.

لقد كان هناك جمهور كبير من القراء وتجارة رائجة في الكتب. لم يكن التعليم مقصورا بأي حال من الأحوال على الصفوة من الأثرياء. فقد أدركت قيمته وسعت في طلبه تلك الطبقة المتوسطة التي بذل البطالمة قصارى جهدهم في سبيل بنائها.



التعليم يبدأ بالحروف الأبجدية اليونانية

كان التعليم يبدأ بالقراءة والكتابة. أولا الحروف الأبجدية، فالمقاطع المكونة من حرفين، فالمكونة من ثلاثة، إلخ. بعد ذلك، الكلمات الكاملة. منهج الدراسة يتدرج بعد ذلك إلى: النحو والبلاغة والأدب والعلوم الرياضية والفلسفة والمنطق.

التلاميذ مطالبون بكتابة موضوعات إنشائية. وفي مرحلة أعلى، بكتابة خطب في موضوعات مقررة. إلى جانب ذلك، كانوا يدرسون شيئا عن القصص والأساطير الإغريقية. ويتبين من كثرة استخدامهم للحكم والأمثال، لتمرين التلاميذ على المطالعة، اهتمام المربين بالناحية الأخلاقية.

كان التعليم مختلطا، ويوجد إلى جانب المدارس المحلية ومعاهد التربية، مدرسون خصوصيون، لهم مكانة رفيعة في المجتمع، يفد إليهم التلاميذ من جهات نائية.

عندما يتم التلميذ المراحل الأولى من التعليم، كان الراغبون منهم في التعليم العالي يلتحقون بجامعة الاسكندرية (المتحف).

كان التعليم في مصر، يتضمن التربية البدنية، التي تشمل المصارعة والتدريبات الشبه عسكرية. كانت استعراضات الشباب والاحتفالات الرسمية، تتخللها مهرجانات يتمتع بمشاهدتها سكان عواصم الأقاليم.

كما كانت تقام حفلات رياضية دورية يتبارى فيها الهواة من جميع الطبقات في الملاكمة والمصارعة والجري وغير ذلك من الألعاب الرياضية.

كانت تقام حفلات تمثيلية يشاهدها سكان العواصم لمشاهدة روايات من التراجيديا الإغريقية الكلاسيكية، ومن الكوميديا الجديدة.

كما تيسر لهم الاستمتاع بمشاهدة الروايات الشعبية المضحكة، والأدوار الهزلية، في المسارح المحلية وقاعات الموسيقى.

كانت هناك فرق متجولة للموسيقى والرقص والألعاب البهلوانية، وما إلى ذلك، للترفيه عن الفلاحين في القرى النائية بأطراف الأقاليم.


فرق متجولة للموسيقى والرقص للترفيه عن الفلاحين

لم تكن الحياة في مصر خالية من
المباهج، حتى القرن الثاني الميلادي. البرديات تصف أضواء باهرة للحياة العائلية السعيدة، وما يتخللها من حفلات خاصة بأعياد الميلاد، وولائم للغذاء أو العشاء، ومناسبات اجتماعيةأخرى. ومشتروات، دمى وحلوى للأطفال، ورسائل خاصة متبادلة بين الأفراد والأسر والمحبين، زاخرة بالأشواق.

لكن الأيام الجميلة لا تدوم. سوف نري في الباب التالي، ماذا حدث لهذه النهضة العظيمة التي قامت في مصر، والتي بدأت في القرن الأول لحكم البطالمة، واستمر صداها حتى القرن الثاني بعد الميلاد.

15

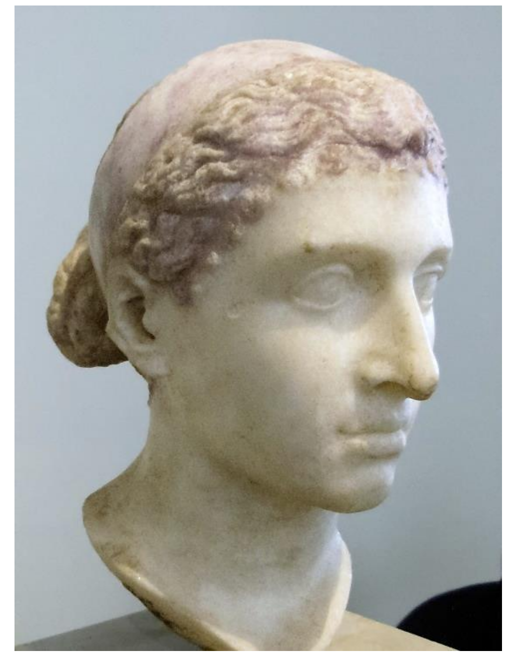
كليوباترا – بنت الزمار

"الدرس الأول الذي نتعلمه من التاريخ، هو أننا لانتعلم من التاريخ". قول مأثور

"جهلك بما حدث قبل أن تولد، يجعلك طفلا باقي عمرك". سيسرو

"إذا تجاهلنا الحقائق، سوف تعود لكي تلاحقنا". فيليب ديك

الأيام السعيدة لا تدوم. انحدار مصر سياسيا، الذي أدى إلى فقدها استقلالها، وتحويلها إلى ولاية رومانية، بدأ مع تولي "بطليموس الرابع" (222-205 ق م)، "فيلوباتور" (المحب لوالده). يتوالى ملوك البطالمة، بطليموس وراء بطليموس، إلى أن نصل إلى بطليموس الرابع عشر.



كليوباترا

لكن لم يكن بينهم ملوك عظماء سوى بطليموس الأول والثاني والثالث. هذا ما وضحناه في الباب السابق. لكن أشهر البطالمة بصفة عامة، هي الملكة كليوباترا (69-30 ق م)،وابنها قيصرون.

كليوباترا، امرأة في غاية الحسن والبهاء. هي كليوباترا السابعة. لأنه لم يكن لدينا كليوباترا واحدة، كما يعتقد معظم الناس. إنما يوجد في تاريخنا، ما لا يقل عن 33 كليوباترا، كلهن مشهورات. لكن السابعة، هي أشهرهن جميعا.



الممثلة فيفيان لي في دور كليوباترا

كان الرومان يهابونها ويجلونها. لم لا؟ أليست هي ملكة مصر؟ المعروف أن الرومان، لم يكونوا يهابون أحدا من قبل، بعد تجربتهم المريرة مع القائد "هانيبال".



يوليوس قيصر

كان هدف كليوباترا، هو انقاذ مُلكها والدولة المصرية من التبعية. سعت أن تكون امبراطورة لروما، لكي تحكم العالم كله. نجحت بالفعل في ذلك، بعد زواجها من يوليوس قيصر، لولا مقتله عام 44 ق م. أحداث تبدو صغيرة أو تافهة، لكنها غيرت حركة التاريخ ومصير العالم.

لم تيأس. حاولت مرة ثانية مع مارك أنطونيو, كادت أن تنجح للمرة الثانية. فما أجمل أن تشاء الأقدار ما نشاء. لكن، ليس كل ما يطلبه المرء يدركه، والتاريخ لا يكتب بمشيئة الضعفاء، إنما يكتبه الأقوياء.



مارك أنطونيو

هزيمته أنطونيو في معركة اكتيوم عام 31 ق م، أنهت كل أحلامها. أقدمت على الانتحار، خوفا من أن يقوم أوكتافيوس، القائد الروماني، بعرضها بين الأسري في ميادين روما.



معركة اكتيوم

آخر ملوك أسرة البطالمة، هو بطليموس الرابع عشر، "قيصرون"، ابن كليوباترا من يوليوس قيصر. لكنه قتل في سن 17 سنة، بأمر من أوكتافيوس، الذي أصبح قيصر روما فيما بعد، باسم "أوغسطس قيصر".


أوكتافيوس (أغسطس قيصر)

منذ ذلك الوقت، لم تعد مصر دولة مستقله لها سيادة. بل أصبحت مجرد ولاية رومانية. عزبة كبيرة، صاحبها قيصر روما، أوغسطس. العصر الذهبي، الذي كان في بداية عصر البطالمة، للأسف لم يدم أكثر من قرن واحد. زمن حكم البطالمة لمصر في مجمله، 300 سنة تقريبا. المئة سنة الأولى هي التي كانت زهرة الزهرة، تمثل عصر النهضة والعصر الذهبي.

بطليموس الرابع، فيلوباتير (222-205 ق م)، يمثل بداية الانحدار. قام بقتل والدته بالسم، وقتل أيضا أخيه ماجوس. مات بسبب حياة الإسراف عن عمر 41 سنة. أخت زوجته، أرسينوي، تم قتلها بالسم بعد ذلك مباشرة.


بطليموس الرابع، بداية الانحدار

البطالمة الذين تبعوه، لم يكونوا مثل البطالمة الأوائل، تلاميذ أرسطو. إنما كانوا أي كلام، عاوزين يحكموا وبس.

بطليموس الخامس، إبيفانوس، ويعني الظاهر، (205-180ق م)، تولى الحكم وهو طفل.

بطليموس السادس، فيلوماتير، ويعني المحب لأمه، (180-145ق م)، تسبب في حرب أهلية بينه وبين أخيه.

بطليموس السابع، فيلوباتير، ويعني المحب لأبيه، (145ق م)، قتل بعد تنصيبه بسنة واحدة.



بطليموس الثامن، التخين

بطليموس الثامن، يوجيرتيس الثاني، وتعني الخيّر، (145-116ق م)، تزوج من أرملة بطليموس السادس، وكانت له غراميات مع ابنة أخيه. كلتاهما تسمى كليوباترا. كان يسمى ب"التخين" لأنه كان سمين جدا.

عندما ثار ضده المصريون، فر إلى قبرص. أخته كليوبترا الثانية (ليست كليوبترا أنطونيو التي نعرفها)، تولت الحكم بعده. قام بقتل ابنه منها، ممفتيس، وأرسل جثته ممزقة لها، كهدية في عيد ميلادها. منتهى القسوة.



الإله التمساح سوبيك

بعد ذلك، عاد إلى مصر ومات هناك. تاركا ولدين: بطليموس التاسع والعاشر. خلال حكمه، خصص معبدا لإله التمساح، سوبيك. وبنى معبدا للإله هاروريس (صورة من حورس). بها حوض ماء يسبح فيه تمساح حي.


بطليموس التاسع

بطليموس التاسع، سوتير الثاني، ويعني المنقذ، حكم مرتين: (116-110ق م)، (88-80 ق م). بدأ بناء معبد هاتور في دندرة. اتهم بالتخطيط لقتل والدته. فر إلى قبرص.

بطليموس العاشر، الاسكندر الأول (110-88 ق م)، كان سمينا جدا، لدرجة أنه لم يكن يقدر على المشي بدون مساعدة.

بطليموس الحادي عشر، الاسكندر الثاني (80 ق م)، تزوج من عمته، التي كانت تكبره وتحظى بقبول من العامة. قام بقتلها بعد الزواج بأسبوعين. لكنه أُعدم بعد توليه الحكم ب 19 يوما فقط. لم يعد هناك ورثة شرعيين للعظيم، بطليموس الأول. قتل كل منهم الآخر.

لم تعد مصر دولة عظمى كما كانت في الماضي. الجيش الروماني أصبح الأقوى في العالم. روما، المدينة المتخلفة من الناحية الحضارية، لاتقارن بالاسكندرية، بجمالها وقصورها وبساتينها ومسارحها ونوافيرها ومكتبتها وفنارتها ومتحفها ومعابدها وشوارعها.

كان الإغريق، يحتقرون الرومان، حتى مع احتياجهم لهم. كان الحكام البطالمة الضعفاء، يرشون الرومان لكي يبقوهم في الحكم. ما أشبه اليوم بالبارحة بالنسبة للحكام العرب. كان الرومان يرحبون بذلك، حتى لا يقطعوا تدفق القمح إلى روما من مصر. (البترول في زماننا هذا)

مصر أصبحت، سلة الخبز الروماني. بعد ذلك بقليل، تقسمت المدينة التي كانت بوتقة تنصهر فيها كل الحضارات والأجناس، إلى ثلاثة أقسام: اليهود، الإغريق، المصريين.


بطليموس الثاني عشر، والد كليوباترا السابعة

بطليموس الثاني عشر، الزمار، وعائلته التي تشمل: بيرينيس، كليوباترا السادسة، كليوباترا السابعة، أرسينوي، وولدين، قاموا برحلة جماعية إلى منف، لزيارة السيرابيوم، مدفن عجل أبيس.

كليوباترا السابعة، موضوعنا هنا، كانت منبهرة بهذه الرحلة السعيدة، التي أخذتها إلى عبق التاريخ المصري القديم. الفتاة الصغيرة، هي الوحيدة بين البطالمة، التي كانت تتكلم وتجيد اللغة المصرية.

روما كانت تحكم بثلاثة قواد. كراسوس، بومبي، ويوليوس. بطليموس الثاني عشر، الابن الغير شرعي لبطليموس التاسع، والذي يلقب بالزمار، والد كليوباترا، كان يرشي القواد الرومان، لكي يبقوه في الحكم.


بيرينيس أخت كليوباترا

لكي يعوض المبالغ التي ينفقها على الرشوة، رفع الضرائب على المصريين. النتيجة الطبيعية، هي كره المصريين الشديد له. هرب إلى روما، تاركا ابنته بيرينيس، أخت كليوباترا، لكي تحكم.

تولي المرأة الحكم، لم يكن ليحدث أبدا في اليونان أو روما. لأن المرأة لم يكن لها أي دور في السياسة في ذلك الوقت. بيرينيس، لم يكن حكمها مستقرا.

أخذت بالتقاليد البطلمية العريقة في قتل وخنق وخيانة الأقارب. تزوجت من ابن عمها، لكنها أمرت بخنقه بعد أسبوع من الزواج. مثل أنثى العنكبوت المعروفة بالأرملة السوداء. بعد ذلك، تزوجت من عشيق لها.

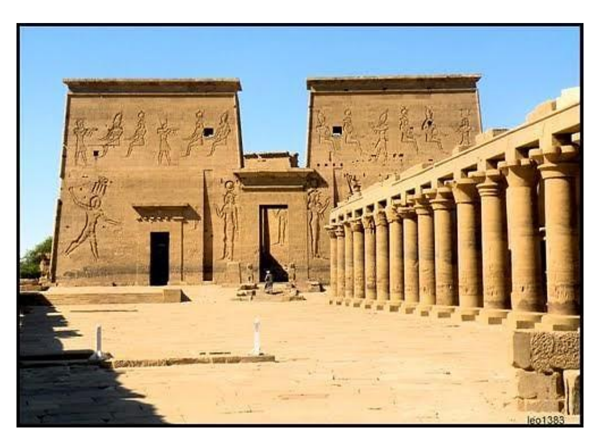
في ذلك الوقت، كانت كليوباترا في سن المراهقة. نمت وترعرعت في جو أسود رهيب من المؤامرات والقلاقل، وسط ترف وثراء فاحشين. كانت تهرب لكي تقضي بعض الوقت في مكتبة الاسكندرية. هنا، قرأت تاريخ هيرودوت، وعرفت الكثير عن تاريخ مصر الفرعوني.

بعد رشوة يوليوس قيصر، وآخرين، عاد بطليموس الثاني عشر إلى الاسكندرية، مصحوبا بقوة رومانية بقيادة مارك أنطونيو. قتل زوج ابنته بيرينيس في معركة.

بطليموس الثاني عشر، الزمار، كان يريد ترك جثمان زوج ابنته لكي يتعفن. لكن لم يقبل مارك أنطونيو ذلك، وقام بدفن الجثة بنفسه. هذا يعطينا فكرة عن معدن شخصية الرجلين.

بعد أن استرجع بطليموس الثاني عشر عرشه، أمر بقتل ابنته بيرينيس (الأرملة السوداء). الآن، توجد قوات رومانية صديقة لبطليموس الثاني عشر، راسية في الاسكندرية، أعظم مدينة في العالم أصبحت محتلة بقوات أجنبية لحماية الحاكم.

قام بطليموس الثاني عشر، الزمار، ببناء معبدا في جزيرة فيلة. فيلة أصبحت مثل الكرنك بالنسبة لبطليموس الثاني عشر. معبد فيلة هناك، عبارة عن تحفة فنية. بني للإلهة إيزيس. التي أصبحت أهم إلهة في مصر. معبد فيلة، تم نقله إلى مكان مرتفع، عند بناء السد العالي.

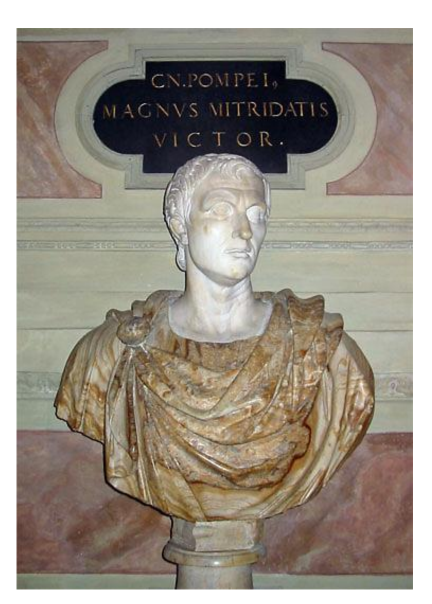


معبد إيزيس بفيلة

دعنا نتحدث بصراحة عن هذه الشخصية الأسطورية، كليوبترا السابعة، بنت الزمار، بطليموس الثاني عشر. هناك الكثير من المعلومات الخاطئة عن كليوباترا. السبب، هو أن التاريخ يكتبه المنتصرون. الرومان هم المنتصرون، وهم الذين كتبوا تاريخ كليوباترا.

كليوبترا، حتى قبل أن تلتقي بقيصر، ظهرت عليها سيمات العظمة والرقي، بالرغم من الوسط المرعب والصراع الدموي على السلطة الذي عاشت فيه. كانت ذكية جدا، نشطة منذ نعومة أظافرها. الوحيدة بين البطالمة، التي كانت تتكلم اللغة المصرية. لها شعر أحمر، وفقا لقول بلوتارخ.

بوثينوس، أخو كليباترا، كان يحرض الناس ضدها، فثاروا عليها. فرت إلى سوريا. هناك، لم تيأس وكونت جيشا. في نفس الوقت، أمر بوثينوس بقتل القائد الروماني، بومبي، أثناء نزوله من المركب، عند هروبه إلى مصر من روما بعد هزيمته من يوليوس قيصر.



القائد الروماني بومبي

عندما جاء يوليوس قيصر إلى مصر، علم بمقتل بومبي،
فهاله هذا الفعل الشنيع، بالرغم من أن بومبي كان عدوا له، يحاربه لخلاف بينهما. لكن يوليوس قيصر، انبهر بجمال الإسكندرية وعظمة المصريين في ذلك الوقت.

عندما قررت كليوباترا العودة من المنفى (سوريا)، كانت عودتها دراماتيكية، جاءت في كل الأفلام السينمائية التي حكت قصتها. جاءت سرا إلى الاسكندرية، ملفوفة داخل سجادة. اعتقادا منها أنها تستطيع اقناع القائد الروماني الزائر، يوليوس قيصر، بأنها أحق بالحكم من أخيها.

دعت كليوباترا يوليوس قيصر إلى وليمة في القصر الملكي. لكن قيصر اكتشف في الوقت المناسب، عن طريق حلاقه الخاص، مؤامر لقتله دبرها رجال الملك الصبي أخو كيلوبترا.

بعد مقاومة شرسة استطاع قيصر أن يهرب إلى سفنه في ميناء الإسكندرية التي كانت محاصرة بالإسطول المصري. أرسل قيصر رسولا يطلب النجدة من الحامية الرومانية الموجوده في سوريا. في نفس الوقت قام بعدة هجمات على الميناء لتعزيز موقفه.

إحدى هذه الهجمات تسببت في حرق جزء كبير من مكتبة الإسكندرية، وتدمير كتبا ومخطوطات لا تقدر قيمتها بثمن. في أحد هذه المعارك، سقط يوليوس قيصر في الماء ونجا من الغرق بأعجوبة.



حريق مكتبة الاسكندرية

بعد خمسة شهور، وصلت النجدة الرومانية لقيصر. فقام بهزيمة الجيش المصري، وتنصيب كيلوبترا، ملكة على عرش مصر بدلا من أخيها الصبي.

المسكين قيصر. لم ير في حياته إمرأة بهذا التحرر واستقلال الشخصية. المرأة الرومانية لم تكن متعلمة. أما كليوباترا، فكانت تناقش قضايا فلسفية، وتقنع محدثيها، وتقرظ الشعر، وتتكلم عدة لغات، وتعزف الموسيقى، وربما تقوم بالرقص والغناء أيضا.

أثناء حروب الاسكندرية، غرق أخوها الثاني، بطليموس الثالث عشر، أثناء هربه. بذلك، لم يعد لها منافسا لحكم البلاد. بعد ذلك، تزوجت من أخيها بطليموس الرابع عشر، الذي اختفى من الوجود بعد ذلك بقليل.

في ذلك الوقت، كان نجم يوليوس قيصر، يعلو وأصبح شخصية أسطورية. أخذت كليوباترا قيصر لرحلة نيلية. شاهدا الأهرامات، مدينة طيبة، وآثار ومعابد فرعونية كثيرة.

كان سحرها ودلالها لا يقاومان. وقع يوليوس قيصر في غرام كليوباترا. قام برحلة نيلية معها لمدة شهرين، أنجب فيها ابنا (قيصرون)، اعترف ببنوته. وقامت هي ببناء مستشفي للولادة في هيرمونتيث. كانت تعتبر إلهة وابنها إله.

خلال رحلته النيلية، كان يناقش قيصر، علماء مصر وحكمائها. أحد هؤلاء العلماء هو، سوسيجينوس، الذي كتب العديد من الكتب عن الفلك والنجوم.

أخبر سوسيجينوس القائد الروماني، الكثير عن السنة الشمسية والتقويم المصري، وقارنه بالتقويم الروماني البدائي، ونصحه بإصلاح التقويم الروماني حتى تستقيم الأحوال.

في شهر يونية عام 47 ق م، وبعد معركة مع ملك سوريا ومعركة مع فلول خصمه بومبي، عاد قيصر إلى روما لكي ينصبه مجلس الشيوخ دكتاتورا لمدة عشر سنوات.

أول شئ قام به يوليوس قيصر بعد تنصيبه، هو إصلاح التقويم الروماني القديم المبني على السنة القمرية، بناء على نصائح العلماء المصريين. وقام باستبداله بالتقويم الشمسي، المبني على العلم.

ثم قام قيصر بتعميم التقويم الجديد على كل أنحاء الامبراطورية الرومانية. وأضحى اسمه منذ ذلك الحين "التقويم اليولياني".

لكي يفعل ذلك، كما يقول "بلوتارخ"، دعا كل علماء وفلاسفة الإسكندرية ومنهم "سوسيجينوس" إلى روما لكي يطبقوا التقويم الشمسي الجديد الذي سمع عنه في مصر.

التقويم الذي أخذوا به، هو التقويم الذي أمر به بطليموس الثالث عام 238 ق م. السنة 365 يوما وربع يوم. ثلاث سنوات بسيطة عدد كل منها 365 يوما، تتبعها سنة كبيسة 366 يوما.

لكي يطابق التقويم الجديد الاعتدال الربيعي الذي يقع يوم 25 مارس، تم إضافة شهرين لسنة 46 ق م، أحدهما 33 يوما، والآخر 34 يوما، بين شهري نوفمبر وديسمبر.

بالإضافة إلى شهر آخر في فبراير، حتي يصبح طول سنة 46 ق م، 445 يوما. بذلك تصبح أطول سنة في التاريخ، لذلك سميت بسنة اللخبطة.

قام يوليوس قيصر أيضا بتغيير أول السنة من مارس إلى يناير. كما أنه أضاف 11 يوما للسنة القمرية، التي كان يستخدمها، حتى تصبح السنة 365 يوما، بحيث يصبح الشهر إما 30 أو 31 يوما، فيما عدا شهر فبراير الذي كان 29 يوما في السنوات البسيطة، و30 يوما في السنوات الكبيسة.

ظل التقويم المصرى مستخدما حتى سنة 30 قبل الميلاد. ثم فرض التقويم الروماني على المصريين بأمر من قيصر. بذلك، أصبح أول شهر توت بداية السنة فى التقويم المصري القديم (القبطى)، يوافق يوم 29 أغسطس من كل عام حسب التقويم اليولياني.

سمي شهر يوليو تكريما لاسم يوليوس قيصر بعد قتله. بعد ذلك، سمي شهر أغسطس تكريما لاسم الامبراطور الروماني أوغسطس. عندما وجد أنصار الامبراطور، أن شهر أغسطس 30 يوما، وليس 31 مثل شهر يوليو، قاموا بسرقة يوم من شهر فبراير وأضافوه إلى شهر أغسطس.

بذلك يكون شهر فبراير 28 يوما في السنوات البسيطة، و29 يوما في الكبيسة. ويصبح شهري يوليو وأغسطس متساويين في عدد الأيام، كل منهما 31 يوما. وكما يقول المثل الشعبي، "مافيش حد أحسن من حد".

عاد قيصر إلى روما ومعه كليوباترا وابنها. زوجته كالبورنيا، وكل روما، قابلوا هذه الأحداث بثورة غاضبة. لكنهم لم يروا في حياتهم شيئا مثل كليوباترا، في شخصيتها وثقافتها وشجاعتها.

قام قيصر ببناء فيلا في روما لكليوباترا. تزوجها وأعطاها الصفة القانونية، وجعل ابنه قيصرون وريثه الشرعي. أقام موكب نصر مصري، سارت فيه الزرافات، وسارت فيه أيضا أرسينوي، أخت كليوباترا مصفدة بالأغلال. في روما، أقام قيصر تمثالا لكليوباترا، مثل تمثال الإلهة إيزيس، وتأكيدا لألوهيتها.

في عام 44 ق م، جاء يوليوس قيصر لحضور عيد 15 مارس، وهو عيد ديني بالنسبة للرومان. تقام فيه المهرجانات والألعاب الرياضية والعروض العسكرية.

لكن، يحدث ما لم يكن في الحسبان. يتم اغتيال قيصر، تاركا كليوباترا في وضع صعب للغاية. أثناء ذهاب قيصر لحضور اجتماع مجلس الشيوخ، قابل في طريقه عرافا، كان قد سبق أن حذره من مغبة ذلك اليوم. عندما أعاد العراف تحذيره، قال قيصر: هذا هو اليوم، ولم يحدث لي شئ. أجاب العراف: "لكن اليوم لم ينته بعد"

أرسل قيصر حرسه الخاص بعيدا، وجلس على عرشه داخل مجلس الشيوخ. تقدمت إليه مجموعة من واضعي القوانين، وطلب أحدهم توقيعه على وثيقة. عندما رفض قيصر، هجم عليه ومزق ثيابه.

كانت هذه إشارة إلى 23 عضوا، من أعضاء مجلس الشيوخ، بالهجوم على قيصر بالخناجر. كان أحدهم، هو بروتس، ولي نعمته وأقرب الناس إلى قلبه. نظر إليه قيصر بحسرة قائلا قولته الشهيرة: حتى أنت يا بروتس. ثم توقف عن المقاومة، وغطى وجهه بجلبابه، وسقط مدرجا في دمائه على الأرض.



غطى وجهه بجلبابه ثم سقط مدرجا في دمائه

أصبحت كليوباترا الآن، في وضع، يشبه وضع الإلهة إيزيس بعد مقتل زوجها أوزوريس. وصار ابنها قيصرون مثل حورس. في معبد دندرة، نرى كليوباترا وابنها، كآلهة.

آخر مرحلة في حياة كليوباترا، كانت مع مارك أنطونيو. القائد أوكتافيوس (أوغسطس)، وريث يوليوس قيصر، أرسل أنطونيو مع المراكب التي تحمل القمح من مصر. احتفلت كليوباترا بضيفها أنطونيو بطريقة، لا يستطيع الفكاك من حبال حبها. قدمت له الطعام في أطباق من ذهب كضيف مفضل. وطلبت منه قتل أختها أرسينوي، التي تسبب لها مشاكل جمة.

حملت كليوباترا من أنطونيو في توأم. الاسكندر هيليوس (الشمس)، وكليوباترا سيلين (القمر). في نفس الوقت، عاد أنطونيو إلى روما، وتزوج من أوكتافيا (أخت أوكتافيوس)، تاركا كليوباترا لمدة ثلاث سنوات.

وافقت كليوباترا على مقابلة أنطونيو في سوريا. هناك تمت الموافقة على الزواج. على أن تقوم كليوباترا بتكاليف حروب أنطونيو، في مقابل حصولها على سيناء ويهوذا وقبرص وشبه الجزيرة العربية، وأن قيصرون، ابن قيصر، يصبح فرعونا، لا أنطونيو أو ولده.

عندما أحرز أنطونيو نصرا متواضعا في أرمينيا، أقيمت الأفراح والليالي الملاح، والولائم في الاسكندرية ابتهاجا بهذا النصر. على منصة من الفضة، لبست كليوباترا ثياب الإلهة إيزيس، وتم إعلان ضم البلاد التي تم الاتفاق مسبقا على ضمها.

قيصرون أصبح ملك الملوك. ابنها من أنطونيو، الاسكندر هيليوس، أُعطي أرمينيا. ابنتها من أنطونيو، كليوباترا سيلين، أعطيت ليبيا. ابنها بطليموس الصغير، أعطي فينيقيا وشمال سوريا.

أصيبت روما بالرعب من كليوباترا. لأن أنطونيو أعطاها هذه الممالك، بدلا من أن يعطيها لروما. عندما أعلن أنطونيو أنه يرغب في أن يدفن بالاسكندرية، قرر أوكتافيوس الحرب على كليوباترا. هنا انقلبت الأحداث رأسا على عقب.

في معركة اكتيوم، حوصر أسطول كليوباترا، ومني بهزيمة كبيرة. أبحرت كليوباترا بكنوزها إلى مصر. ثم قام أوكتافيوس بالزحف إلى الاسكندرية. رفضت كليوباترا تسليم أنطونيو له. وبدأت في البحث عن السم، استعدادا لقدومها على الانتحار.

بعد أن قررت الانتحار، أرسلت إلى أنطونيو تخبره بموتها. أسرع أنطونيو إلى سيفه، وقام بالانتحار، وحُمل إليها يحتضر مضرجا في دمائة. قبض أوكتافيوس على كليوباترا، وسمح لها بدفن زوجها أنطونيو. لكنها قتلت نفسها بين يدي وصيفتيها "إيراس" و"شارميان"، من عضة أفعى الكبرى السامة.

لكن أوكتافيوس، لم يكن ينوي حقا جعل كليوباترا تسير في موكب النصر مع الأسرى في روما. بذلك، ينزل الستار على الفصل الأخير من حكم البطالمة.

بعد كليوباترا، عانت مصر من الموت البطئ. أطفال كليوباترا، واجهوا مصائر مختلفة. قيصرون في سن 17 سنة، أرسل إلى البحر الأحمر في رحلة غامضة إلى الهند. لكن، خانه مدرسه، وأقنعه بالعودة إلى مصر. هناك، قتله أوكتافيوس.

طفلاها التوأم، في سن العاشرة، وبطليموس الصغير في سن 6 سنوات، أرسلوا إلى روما لكي تقوم أوكتافيا، أرملة أنطونيو وأخت أوكتافيوس، بتربيتهم. الاسكندر هيليوس وبطليموس الصغير، اختفيا من التاريخ.

ابنتها، كليوباترا سيلين، تزوجت في سن 14 سنة، من ملك موريتانيا (جوبا الثاني). كان رجلا عالما عطوفا. ابنهما بطليموس، قتله كاليجولا في روما. ابنتهما دروسيلا، تزوجت أنطونيوس فيليكس، النائب العام في يهوذا (في فلسطين).

مصر تحت الحكم الروماني والبيزنطي، رأت نهاية حضارتها الفرعونية القديمة. المعابد والكهنة، لم يجدوا إلا الإهمال والتجاهل ثم الاضطهاد. اللغة المصرية القديمة ذبلت وماتت، لكن الموت كان بطيئا، استمر ستة قرون.

إلى أن يودع اسكلبيوس فى القرن الرابع الميلادى حضارة كانت فى زمانها عظيمة مجيدة فيقول والحسرة تملأ قلبه:

"سيجيئ زمان يظهر فيه كأن المصريين قد حافظوا دون جدوى على دينهم بروح العباد البررة. وما دامت العبادة والصلاح لم يؤد إلى شئ. فقد أورثهم خيبة الأمل واليأس.

يبدو أن الآلهة سوف تهجر أرض مصر وتذهب إلى سماواتها العلى. حينئذ، تخلوا أرض الرسالات وتغدوا يتيمة من آلهتها. ولن تهمل أركان الدين فحسب، بل المؤمنون به سوف يحل بهم الإضطهاد، لأن القوانين تجعل من إيمانهم وصلاحهم أمرا محظورا.

هذا أقسى ما يرزؤها به القدر. حينذاك، ستتحول تلك الأرض المقدسة مثوى المعابد ومعرش الآلهة إلى أجداث. يا مصر لن يبقى من أصول دينك سوى أحاديث خرافة مسطورة على الحجر. تحكى قصة إيمانك. ولا يأخذها الخلف مأخذ الجد، ولا يجدون فيها مبنى ولا معنى."

مكتبة الإسكندرية العظيمة، احترقت، أثناء حصار الرومان للأسطول المصري بالإسكندرية. واختفت من التاريخ. لكن لا يزال تأثير الحضارة المصرية على العالم كبير وخطير. التقويم الشمسي الذي نستخدمه الآن، تقويم مصري مئة في المئة. الورق والكتابة، اختراع مصرى، غير العالم.

الديانة المصرية القديمة، هي مركز ديانة الحضارة الغربية حتى الآن. ديانة التوحيد، ظهرت أول مرة مع اخناتون، واستمرت إلى الآن. الطقوس المسيحية، من التثليث، و الأم المقدسة والطفل، لا تختلف كثيرا عن إيزيس والطفل حورس.

كذلك حكاية البعث والحياة بعد الموت والثواب والعقاب، والجنة والنار. كبير الأساقفة والبابا والروب والتاج والعصا والمذبح والدير والصومعة والرهبنة والعزوف عن الزواج والتطهر بالماء والأجراس والتراتيل والبخور والشخاليل، إلخ. كلها عادات، موروث الحضارة المصرية القديمة.

كذلك المسرح والموسيقى والأدب والشعر والأغاني والمواميل، إلخ. والحكومة والضرائب والمدارس العامة والتعبئة العامة للمشاريع القومية، إلخ. أما ما ورثناه عن الحضارة المصرية القديمة من فن وأدب وعمارة وعلوم وفلك، فلا يتسع المكان لسردها هنا.

16

خاتمة

لقد تركت مصر الخالدة، فجر الضمير، تتحدث عن نفسها، فأرجو أن أكون قد وفقت في تلخيص أهم الأحداث التي مرت بهذا الشعب العظيم، وأن أكون قد بينت روحه المتوثبة وملكاته الخلاقة، وإسهاماته الجبارة التي ليس لها حدود في الحضارة الإنسانية على مدى الأيام وآلاف الأعوام عبر التاريخ. كما أرجو أن تكونوا قد استمتعتم بقراءة كتابي هذا بقدر استمتاعي بكتابته لكم. وأن أكون قد نجحت في فتح شهيتكم لقراءة تاريخنا المجيد وطلب المزيد.

محمد زكريا توفيق
2016/12/5

الفهرس

تعريف بالمؤلف



الاسم: محمد زكريا توفيق

المؤهلات: ماجستير فى الرياضة البحتة من كلية الهندسة جامعة نيويورك 1973م

ماجستير فى علوم الكمبيوتر من كلية العلوم جامعة نيويورك 1983م

دراسات فى الرياضيات التطبيقية تعادل الدكتوراه من معهد كورانت بجامعة نيويورك

الخبرة: أكثر من 40 سنة فى مجال الكمبيوتر حيث كان يعمل مديرا للتخطيط والبرمجة فى عدة بنوك أمريكية منها البنك الفدرالى الأمريكى.

نشرت له العديد من المقالات العلمية والثقافية والسياسية فى صحافة مصر والخارج

يعيش الآن فى مدينة نيويورك

zakariael@att.net